

نظرية الأمانة



د. رشيد الجراح

Certificate of Registration
CopyrightFrance

Copyright Registration Number: 9H2F1R2

CopyrightFrance.com, Website registered under number 2104 by the State Prosecutor of the High Court of Evreux (FRANCE) certifies having delivered the certificate of the original following registration

Name of the registrant: Rasheed Saleem Al-Jarrah

Title or URL of the registered document: https://www.dr-rasheed.com/

Description: Dr. Rasheed's blog documents his lifelong reflections on the Quran, offering linguistic and analytical insights without adhe ring to any specific sect. The goal is to officially archive and le gally protect his writing, ideas and stories presented in the blog.

Date / time of the registration: 15-02-2025 à 20:46

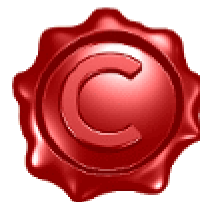
The submitted document has been time stamped by a RGS qualified Certification Authority and ETSI TS 102 023 certified.

Paris (date) 15-02-2025 - The publication manager G.E.E. :

Reminder : (code of the intellectual property, extracts) :

✔ **Point L.335-2.** All publishing of written documents, musical composition, drawing painting or any other totally or partly printed, engraved production regardless of the laws and regulations concerning author's property is a forgery and any forgery is an offence. In France, forgery of published work in France or abroad is punished by 3 years in prison and a 300.000 euros fine. Will be punished the same way selling export and import of counterfeit work.

✔ **Point L.335-3.** Is also considered a forgery offence all reproduction , representation or circulation by any mean, of piece of spiritual work by violating the author's rights, as they are set and regulated by law. Is also considered as a forgery offence the violation one of the owner of the software's rights.



3c14c5091f191db578780f4e846d7a176d3cb058592f3b129f067ba1aa063728

كلمة فريق عمل مدوّنة روح

الحمد لله الذي علّم الإنسان بالقلم، وخصّه بنعمة البيان، وجعل تدبّر كتابه العزيز سبيلًا للهداية.
أمّا بعد،

يمرّ الفكر الديني المعاصر بمنعطفٍ تاريخي يفرض إعادة تأسيس العلاقة مع النصّ المؤسِّس؛ فكثير من المفاهيم والمناهج قد ترسّخت عبر القرون حتى غدت في الوعي العام بمنزلة المسلّمات المطلقة. في خضمّ هذه الحاجة الملحة للمراجعة والتجديد، يأتي مشروع الأستاذ الدكتور رشيد سليم الجرّاح ليقدّم قراءةً مغايرة للقرآن الكريم، قراءةً لا تكتفي بحدود التفسير الموروث بل تتجاوزه نحو فهمٍ جديد يتأسّس على منهجٍ علميٍّ دقيق، يلامس روح النصّ بعمق ويقترب من منطق العقل والفطرة السليمة.

لعلّ في الاسم الذي يحمله الدكتور رشيد سليم الجرّاح إشارةً بالغة الدلالة؛ فهو بحقٍّ يُجري عمليةً جراحية للكلمة القرآنية. إنه يتعامل مع مفردات الوحي برُشدٍ متناهٍ، كأنّه يضعها تحت مجهر الفكر واللغة، فيُريك نسيجها العضوي، ويكشف عن أعصابها الصرفية وعروقها الدلالية، لتتجلّى بذلك أبعادها النفسية والمادية العميقة. هكذا تتحوّل الكلمة في مشروعه من مجرّد رمزٍ صوتي إلى كيانٍ حيٍّ نابضٍ بالمعنى، يحمل إمكانات التأويل التي تنتظر التحرير.

لقد كانت أبحاث الدكتور الجرّاح ومقالاته بمثابة أطروحات نوعية تميّزت بالعمق والجرأة الفكرية، فمثّلت دعوةً صريحةً لإعادة بناء علاقتنا التلقّائية بالوحي، لا على قاعدة التلقّي الجامد، بل على أساس الفهم المتدبّر والتحليل العلمي المحكم. وهي دعوةٌ ضرورية تُعيد إلى النصّ حيويته الجوهرية، وإلى الفكر الديني توازنه المنشود، وتُحيي مسؤولية الباحث في إعمال العقل وكسر حاجز السؤال الموقوف.

وانطلاقًا من قناعتنا الراسخة بأهمية هذا المشروع الريادي، وبضرورة حفظه وتوثيقه ليكون مرجعًا للباحثين والمهتمين، تضافرت جهود فريق المدوّنة. لقد قمنا بجمع هذه المقالات والدراسات المنشورة، ومن ثم تنظيمها وتصنيفها وتحريرها بعناية فائقة، لتصدر الآن في هذا العمل المتكامل الذي نضعه بكل تقدير بين يدي القارئ الكريم.

نحن نؤمن يقينًا بأنّ هذه الكتابات تمثّل إسهامًا محوريًا في مسار الفكر القرآني المعاصر، وأنها تفتح آفاقًا رحبة للتأمّل والمراجعة والتجديد، بما يليق بكتابٍ أنزله الله للعقل قبل التقليد، وللحياة قبل التاريخ.

إنّ هذا العمل ليس سوى نقطة انطلاق في مسارٍ نأمل أن يكون مستدامًا؛ وفاءً لصاحب هذا المشروع العلمي الرائد، وإيمانًا بما قدّمه من اجتهادٍ صادق ورؤيةٍ علمية مغايرة تستحقّ كل التقدير والاحتفاء.

فريق عمل مدوّنة الدكتور رشيد الجراح:

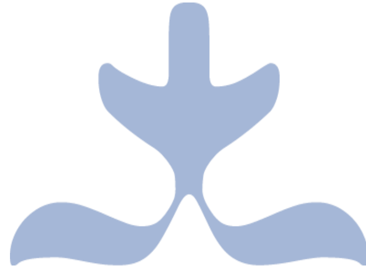
- المهندس **عامر محمد العوض، مهندس نظم المعلومات من مايكروسوفت.**
- المهندس **زكرياء مصباح، مهندس مدني.**
- الأستاذ **مصطفى عيسى، مصمم ديكور ومستشار في العقارات.**
- الأستاذ **محمد عادل الخولي، مستشار في العقارات.**
- الدكتور **يوسف فرمي، مهندس البحث والتطوير في الإلكترونيات الدقيقة والبصريات.**

للإتصال بالفريق : roohblog2025@gmail.com

الفهرس:

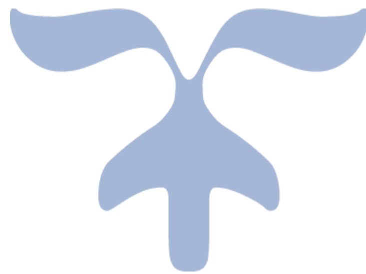
الفهرس

الفهرس



نظرية الأمانة

الجزء الأول



نظرية الأمانة– الجزء الأول

قال تعالى في القرآن الحكيم:

- ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢﴾ [الأحزاب: 72]

هذا الورقة البحثية هي الجزء الأول من مشروع كبير تحت عنوان نظرية الأمانة، حيث التساؤلات الرئيسة التي سنتعرض لها تشمل:

⇐ ما هي الأمانة التي عرضها الله على السموات والأرض فأبين أن يحملها؟
⇐ لماذا عرض الله تلك الأمانة على السموات والأرض بداية؟
⇐ ولماذا تقدم الإنسان ليحمل هذه الأمانة؟
⇐ وكيف كان الإنسان نتيجة لهذا الاستعداد لحمل الأمانة ظلوما جهولا؟
⇐ الخ.

وحتى نصل إلى هدفنا هذا كان لابد من التعرض لقضايا شائكة ذات علاقة بالموضوع نفسه، نظن أنها أشكلت على العامة وأهل العلم على حد سواء، الأمر الذي أدى في النهاية إلى الخروج بتصورات وتخمينات عامة قلما تسمن أو تغني من جوع، لأنها ما كانت (نحن نظن) مدعومة بالدليل الحاسم من كتاب الله نفسه. لذا سنحاول إعادة صياغة تلك الأفكار بما نظن أنه يتلاءم مع الإطار العام للنظرية التي ننوي أن نقترحها، ظانين أنها ربما تشكل بديلا للفكر السائد، ونترك لسادتنا العلماء أهل الدراية تمحيصها وتدقيقها إن هم ظنوا أن فيها ما يستحق إنفاق جزء من جهدهم الثمين عليها. سائلين الله وحده أن يهدينا رشدنا وأن يعلمنا الحق الذي نقوله فلا نفتري عليه الكذب – آمين.

أما بعد،

القضية الأولى: مثل عيسى عند الله كمثل ادم (جزء 1)

تمهيد

بداية يجب أن نجلب انتباه القارئ الكريم أن كاتب هذا البحث يتبني كثيرا من الأفكار التي وردت حول هذه الجزئية في سلسلة مقالات للباحث د. رشيد الجراح تحت عنوان: كيف تم خلق عيسى بن مريم؟ لذا نجد أن الضرورة ربما تستدعي من القارئ الكريم مراجعة ما جاء في تلك السلسلة، وذلك لأننا لن نعيد كثير من تلك الأفكار والتي نظن بصحتها كما وردت في تلك المقالات.

أما بعد،

جاءت الآية الكريمة التالية – محور النقاش في هذه الورقة البحثية الأولى- لتظهر التشابه الجزئي بين آدم من جهة وعيسى بن مريم من جهة أخرى:

- ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾ [آل عمران: 59]

ليكون البحث حول هذا التشابه الذي تجليه الآية الكريمة يتمحور حول سؤالين رئيسيتين، هما:

⇐ كيف يكون مثل عيسى عند الله كمثل آدم؟
⇐ وإذا كان كذلك، فهل يمكن أن نعكس المعادلة فنفترض أن مثل آدم كمثل عيسى؟

هذا ما سنحاول الخوض فيه في هذه الورقة البحثية معتمدين على ما نظن أننا نفهمه من القرآن الكريم كمصدر وحيد للمعلومة (للتفصيل انظر مقالة د. رشيد الجراح تحت عنوان: مصادر التشريع في الإسلام). والمنطق المفترى من عند أنفسنا هو: مادام أننا نستطيع أن نجلب الدليل على ما نزعم من مصدر التشريع الأول وهو كتاب الله تعالى، فإن الحاجة إلى جلبها من مصادر أخرى يصبح من باب التوكيد لا من باب الإقرار، وهذا ما لا نظن أننا قد وصلنا إليه بعد، فنحن بحاجة أن نجلب المعلومة قبل أن نحاول تأكيدها، وعقيدتنا الراسخة هي أن المعلومة الصحيحة التي لا يمكن المجادلة فيها متوافرة في كتاب الله وحده:

- ﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾ [البقرة: 1-2]
- ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ [السجدة: 2]
- ﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ١٥٤﴾ [الأنعام: 154]
- ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا ١٢﴾ [الإسراء: 12]
- ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾ [النحل: 89]
- ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨﴾ [الأنعام: 38]

التساؤلات قيد البحث حول الآية الكريمة مدار البحث:

- ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾ [آل عمران: 59]

⇐ هل فعلا يتطابق خلق عيسى مع خلق آدم؟
⇐ لماذا قال الله (مَثَل) [بفتح الميم و الثاء] ، و لم يقل (مِثْل) [بكسر الميم و سكون الثاء]؟

⇐ ما دلالة عبارة [عِندَ ٱللَّهِ] التي وردت في الآية الكريمة نفسها؟

⇐ على من تعود مفردة [خَلَقَهُۥ] في الآية الكريمة، على عيسى (المشبه) أم على آدم (المشبّه به)؟

⇐ ما دلالة عبارة [كُن فَيَكُونُ] الواردة هنا والتي لم ترد في قصة خلق آدم مطلقا؟

⇐ هل يمكن عكس الآية و نقول [إن مثل آدم كمثل عيسى]؟ ولماذا؟

⇐ الخ.

دعنا نبدأ النقاش عند أبسط الاستنباطات من كتاب الله وهي أن هناك أربعة أنواع من الخلق حصلت للبشرية وهي:

1. خلق آدم
2. خلق زوج آدم
3. خلق المسيح عيسى بن مريم
4. خلق بقية البشر

السؤال الحتمي هو: ما هي خصوصية كل واحده من هذه الطرق المختلفة؟

أولا : خلق آدم عليه السلام

ماء + تراب – طين – طين لازب – حمأ مسنون - صلصال- صلصال كالفخار- خلقه الله بيديه - سواه الله (التسوية) - نفخة الروح (نفخت فيه من روحي) . وانظر – إن شئت- ما جاء في كتاب الله عن خلق آدم:

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ [الفرقان: 54]
- ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الروم: 20]
- ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنعام: 2]
- ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة: 7]
- ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾﴾ [الصافات: 11]
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الحجر: 26]
- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الحجر: 28]
- ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [الرحمن: 14]
- ﴿قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [ص: 75]
- ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر: 29]
- ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [ص: 72]

ثانيا: خلق زوج آدم

زوج آدم مخلوقة من نفس آدم، والأزواج جميعا خلقن من أنفسنا:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: 1]
- ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾ [الروم: 21]

نتيجة مفتراة: لم يمر خلق زوج آدم بمراحل (ماء + تراب - طين- طين لازب - حمأ مسنون - صلصال- صلصال كالفخار- خلقه الله بيديه - سواه الله - نفخة الروح) كما حصل في خلق آدم. لذا فإن الأزواج لسن من الناس (للتفصيل انظر مقالة د. رشيد الجراح تحت عنوان: ثلاثية المرأة، ماذا ستفعل النساء في الجنة.)

ثالثا : خلق عيسى عليه السلام

أنثى (مريم ابنت عمران) - تراب (نفخ فيها) رسول من الله - استقرار في الرحم - وضع (المخاض و الولادة) - صبيا - يكلم الناس في المهد و كهلا و نبيا - توفاه الله، و طهره، و رفعه إليه. وانظر – إن شئت- الآيات الكريمة التي تصور ذلك كله:

- ﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٢﴾ [آل عمران: 42]
- ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٥﴾ [آل عمران: 45]
- ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾ [آل عمران: 59]
- ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢﴾ [التحريم: 12]
- ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾ [الأنبياء: 91]
- ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧﴾ [مريم: 17]
- ﴿۞فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ٢٢﴾ [مريم: 22]
- ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣﴾ [مريم: 23]
- ﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧﴾ [مريم: 27]

- ﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم: 27-33]
- ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [آل عمران: 55]

رابعا: خلق الإنسان (الأناسي)

آدم (النفس الواحدة)، زوجه (جعل منها زوجها) - [من طين] - الذكر و الأنثى - مني يمنى (النطاف) - استقرار في الأرحام- الحمل (فترة الحمل) - تطور النطفة (تكوين الجنين و حتى الطفل) - الوضع (الولادة) - خروج الطفل إلى الحياة - ضعف لا يعلم شيئا - قوة (بلوغ الأشد) - ضعف و شيبة (شيوخا) - الموت (الوفاة و ذهاب النفس لله) - الدفن (عودة الجسد الإنسان للأرض أصله). وانظر – إن شئت- ما جاء في كتاب الله حول هذه الجزئية:

- ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١١﴾﴾ [فاطر: 11]
- ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخٗاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلٗا مُّسَمّٗى وَلَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [غافر: 67]
- ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴿٧﴾﴾ [السجدة: 7]
- ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾﴾ [المؤمنون: 12]
- ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٨﴾﴾ [السجدة: 8]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء: 1]
- ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ [النجم: 45]
- ﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾ [القيامة: 37-39]
- ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ [آل عمران: 6]
- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ

وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾ [الحج: 5]

- ﴿۞ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ [الروم: 54]
- ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ [آل عمران: 185]
- ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾ [الأنبياء: 35]
- ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٥٧﴾ [العنكبوت: 57]
- ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ [الزمر: 42]
- ﴿۞وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ [الرعد: 5]
- ﴿أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ ﴿٣٥﴾ [المؤمنون: 35]
- ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ [المؤمنون: 82]

الاستنباطات المفتراة من عند أنفسنا:

⇐ خلق آدم كان خاصا بـ آدم ولم تتكرر طريقة خلقه نهائيا
⇐ خلق زوجة آدم (أو حواء كما يرغب الناس أن يسمونها مجازا) كانت خاصة لها ولم تتكرر نهائيا، نحن لا نعلم سبب تسمية زوج آدم بحواء إلا ما جاء في تخاريف بني إسرائيل، ونحن لا نقبل بأقل من الدليل الذي يثبت المعلومة .
⇐ خلق المسيح عيسى كانت خاصة به ولم تتكرر نهائيا
⇐ خلق الإنسان كان من خلق سابق (ذرية و سلالة) وهي تتكرر في كل لحظة

نتيجة: نحن نظن أنه يكاد ينعدم وجود تشابه بين هذه الطرق جميعا سوى

⇐ مادة الخلق (من تراب) خلق أدم و عيسى و الإنسان
⇐ و نفخة الروح بين أدم و عيسى
⇐ و وجود أم بين عيسى و الإنسان
⇐ وجود الماء بين آدم و الإنسان.

نتيجة مهمة: وجب علينا التنبيه هنا أن المسيح عيسى بن مريم لم يخلق من (تراب و ماء) مثل آدم، ولكنه خلق من تراب فقط، وخلا منه عنصر الماء، ولو كان في خلقه ماء لقال الله تعالى (نحن نظن) أنه قد خلقه من طين كما جاء بحق خلق آدم على لسان إبليس:

- ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: 12]

لذا، نحن نظن أن الطين هو التراب الممزوج بالماء. ربما يستدعينا هذا إلى الظن لاحقا بأن التراب والماء هما زوجان

افتراء خطير جدا جدا سنحتاج له لاحقا: عيسى بن مريم ليس شيئا، لأن الله قد خلق من كل شيء زوجين اثنين:

- ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات: 49]

السؤال المربك: إذا كان عيسى بن مريم "شيئا" فمن – يا ترى- زوجه؟

رأينا المفترى: لمّا لم يكن لعيسى بن مريم زوج، فهو إذن ليس بشيء حتى يخلق منه زوج مثله، والسبب في ذلك – في ظننا- هو مادة الخلق، فما خلا منه الماء فهو - في ظننا- ليس بشيء، وذلك لأن الماء عنصر الحياة في الأشياء:

- ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: 30]

وهو مصدر خلق كل دابة:

- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور: 45]

السؤال : أذا لم يكن عيسى بن مريم شيئا ، فماذا يكون ؟

جواب : عيسى بن مريم هو أمر مقضيا:

- ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ [مريم: 21]

الدليل :

لنقرأ ماذا قالت مريم ابنت عمران عندما بشرها الله بأنها ستلد ولدا من غير زواج؟

- ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران: 47]
- ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ [مريم: 20-21]

دقق – عزيزي القارئ- في الرد الإلهي في الآية الكريمة التالية:

- ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾ [مريم: 35]

لاحظ التطابق بين الآيتين التاليتين:

- ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة: 117]
- ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ [مريم: 21]

وعندما سنتعرض لاحقا لمسألة الروح سنجد أن الروح هي من أمر الله كما تصوره الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: 85]

ولو حاولنا أن نربط ذلك بالمسيح لوجدنا أن المسيح هو أيضا روح من ربه:

- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء: 171]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: المسيح ليس شيئا ولكنه أمرا مقضيا مادام أنه روح من ربه (وسنتابع هذا الافتراء لاحقا بحول الله وتوفيق منه)

السؤال: إذا كان الماء قد أدخل في خلق آدم ولم يدخل في خلق المسيح عيسى بن مريم (كما نزعم)، فكيف يمكن أن يوجد تشابه بينهما إذن؟

باب : (مَثَلَ) [فتح الميم و الثاء] ، و (مِثْلَ) [كسر الميم و سكون الثاء]

فصل 1 : (مَثَلَ) [فتح الميم و الثاء]

عندما حاولنا أن نتدبر السياقات القرآنية التي وردت فيها هذه المفردة، خرجنا بالاستنباط بأنها تدل على تشابه طرفي المثل تشابها غير كامل، أي يوجد تشابه و تناظر بينهما في جزئية محددة بعينها، فيظلان مختلفان عن بعضهما لانعدام التطابق. لذا مادام أن التشابه بين عيسى وآدم قد صوره القرآن الكريم بمفردة "مثل" (بفتح الميم والثاء) فإن التشابه بينهما يكون تشابها جزئيا في صفة محددة بعينها، وليس تطابقا بين الطرفين. انظر المفردة في الآية الكريمة جيدا مرة أخرى:

- ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾ [آل عمران: 59]

الدليل

نحن نظن أن مفردة مَثَل (بفتح الميم والتاء) تجمع على (أمثال)، وترد هذه المفردة في القرآن الكريم في سياقات كثيرة جدا، فمن الأمثال التي يضربها الله للناس في كتابه، نجد:

- ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧﴾ [الرعد: 17]
- ﴿تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥﴾ [إبراهيم: 25]
- ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ٤٣﴾ [العنكبوت: 43]
- ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾ [الحشر: 21]

ولو تدبرنا جميع هذه السياقات القرآنية لربما وجدنا أن الله يضرب الأمثال (التشابه بين طرفين) ليعطينا عظة و عبرة من ذلك – و لكن يبقى التساؤل المشروع الذي نحاول أن نبرزه هنا قائما: هل يتشابه طرفي المثل (مَثَلَ) في كل شيء؟ أو بكلمات أخرى هل يحصل التطابق التام بينهما؟

جواب: بالتأكيد لا.

الدليل

⇐ **الإنفاق في سبيل الله :**

- ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [البقرة: 261]

السؤال: فهل يتشابه المنفقون في سبيل الله مع الحبة التي انبتت سبع سنابل تماما؟

جواب: بالطبع لا يتشابهان في الطبيعة و لكنهما يتشابهان في شيء واحد وهو – في ظننا- مضاعفة الخير و الجزاء.

⇐ **الإنفاق في غير سبيل الله**

- ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ١١٧﴾ [آل عمران: 117]

السؤال: هل يشابه المنفقون هنا مع الريح التي فيها صر في كل شي؟

جواب: بالطبع لا ، و لكنهما يتشابهان في النتائج الفاسدة و المضرة

⇐ **أعمال الكفار**

- ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ١٨﴾ [إبراهيم: 18]

السؤال: هل يشابه الذين كفروا بربهم مع الرماد الذي اشتدت به الريح في يوم عاصف في كل شيء؟

جواب: بالطبع لا، و لكنهما يتشابهان في عدم القدرة مما كسبوا على شيء

⇐ **الذين اتخذوا من دون الله أولياء**

- ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٤١﴾ [العنكبوت: 41]

السؤال: هل يشابهه الذين اتخذوا من دون الله أولياء والعنكبوت في كل شيء؟

جواب: بالطبع لا ، ولكنما يتشابهان في الصفة المميزة لبيت العنكبوت وهي الوهن.

⇐ **الذين يحملون الكتاب و لا يأخذون به**

- ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥﴾ [الجمعة: 5]

السؤال: هل يتشابه الذين حمّلوا التوراة ولم يحملوها مع الحمار في كل شيء؟

جواب: بالطبع لا ، ولكنهما يتشابهان في العقلية التي لا تستفيد مما حمِّلت

نتيجة مفتراة: نحن نظن أن مفردة مَثَل (بفتح الميم والثاء) تدل على تشابه بين طرفين في خاصية محددة بذاتها، لذا ينعدم التطابق بين الطرفين.

فصل 2 : (مِثْلَ) [كسر الميم و سكون الثاء]

لكن – بالمقابل- نحن نظن أنه حيثما وردت مفردة مِثْلَ (بكسر الميم وتسكين الثاء) فهي تدل -ربما بما لا يدع مجالا للشك- بالتماثل التام بين الطرفين – أي التطابق في كل شيء سواء في الطبيعة أو الأفعال، الخ.

الدليل:

⇐ **حديث الرجل المؤمن من آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه**

- ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [غافر: 28-33]

تدبر – عزيزي القارئ- ما قاله هذا الرجل الذي كان يكتم إيمانه، ألا تجد أنه يحذِّر قومه من أن يحدث فيهم مِثْل (بكسر الميم وتسكين الثاء) ما حدث في قوم نوح (الطوفان) و عاد (قطع دابر القوم الكافرين) و ثمود (أخذتهم الصيحة)؟

تساؤلنا: أليس من اليسير على الله أن يفعل بهؤلاء القوم مِثْل ما فعل بتلك الأقوام السابقة تماما؟ ألا تدل مفردة مِثْل (بكسر الميم وتسكين الثاء) على التطابق في العذاب إن هو حصل؟

⇐ **الذين ينكرون البعث بعد الموت**

- ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [المؤمنون: 81-85]

ألا ترى – عزيزي القارئ- تطابقا بين قول الأولين و قول الآخرين؟ - ألم يقل الآخرون مِثْل (بكسر الميم وتسكين الثاء) قول الأولين تماما؟ أليست هل العبارة نفسها (أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ) قالها الطرفان؟ أليس هذا هو التطابق التام بعينه؟

⇐ الذين كذبوا الرسل

- ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يونس: 101-103]
- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ۙ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنفال: 31]

أليس هذا هو التطابق التام؟

⇐ الظالمون و أصحابهم و الكافرون

- ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾﴾ [الذاريات: 59]
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [المائدة: 36]
- ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾ [الرعد: 18]
- ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الزمر: 47]

أليس في هذا تطابقا تاما؟

⇐ توعد الله العذاب للأمم التي تعرض مثل من سبقها من الأمم التي أعرضت

- ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت: 13]
- ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾﴾ [هود: 89]

⇐ الرزق

- ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات: 22-23]

⇐ طلب الأقوام الآيات من الرسل

- ﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ١٢٤﴾ [الأنعام: 124]
- ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ٤٨﴾ [القصص: 48]
- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨﴾ [البقرة: 118]
- ﴿۞مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦﴾ [البقرة: 106]

⇐ المعاقبة

- ﴿وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ فَعَاقَبۡتُمۡ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ١١﴾ [الممتحنة: 11]
- ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤﴾ [البقرة: 194]
- ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾ [النحل: 126]
- ﴿۞ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ٦٠﴾ [الحج: 60]

⇐ التمني

- ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩﴾ [القصص: 79]

⇐ الهدى

- ﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣﴾ [آل عمران: 73]
- ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧﴾ [البقرة: 137]

⇐ قتل الصيد

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ٩٥﴾ [المائدة: 95]

⇐ النبأ الأكيد

- ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾ [فاطر: 14]

⇐ الدفن

- ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾ [المائدة: 31]

⇐ الربا

- ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥﴾ [البقرة: 275]

⇐ الظلم و الشك في آيات الله

- ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٩٣﴾ [الأنعام: 93]
- ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣﴾ [البقرة: 23]
- ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦٩﴾ [الأعراف: 169]
- ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣٨﴾ [يونس: 38]
- ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣﴾ [هود: 13]
- ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾ [الإسراء: 88]
- ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠﴾ [الأحقاف: 10]

⇐ اليهود و النصارى

- ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١١٣﴾ [البقرة: 113]
- ﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ٣٤﴾ [الطور: 34]

⇐ المطلقات

- ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنۡ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗاۚ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٢٨﴾ [البقرة: 228]

⇐ الوالدات

- ﴿۞وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٢٣٣﴾ [البقرة: 233]

⇐ الرؤية

- ﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ١٣﴾ [آل عمران: 13]

⇐ الابتلاء و القرح

- ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠﴾ [آل عمران: 140]
- ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ [آل عمران: 165]

⇐ الخوض في آيات الله

- ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ١٤٠﴾ [النساء: 140]

⇐ الحسنات و السيئات و الجزاء

- ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠﴾ [الأنعام: 160]
- ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۢ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧﴾ [يونس: 27]
- ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧﴾ [النور: 17]

- ﴿لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ٦١﴾ [الصافات: 61]
- ﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٤٠﴾ [غافر: 40]
- ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾ [الشورى: 40]

⇐ الرسل بشر

- ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ٢٧﴾ [هود: 27]
- ﴿۞قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٠﴾ [إبراهيم: 10]
- ﴿قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١١﴾ [إبراهيم: 11]
- ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف: 110]
- ﴿لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ٣﴾ [الأنبياء: 3]
- ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤﴾ [المؤمنون: 24]
- ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ٣٣﴾ [المؤمنون: 33]
- ﴿وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ٣٤﴾ [المؤمنون: 34]
- ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ٤٧﴾ [المؤمنون: 47]
- ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٥٤﴾ [الشعراء: 154]
- ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ١٨٦﴾ [الشعراء: 186]
- ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ١٥﴾ [يس: 15]
- ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦﴾ [فصلت: 6]

⇐ الحق و الباطل

- ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧﴾ [الرعد: 17]

⇐ الخلق و كلمات الله

- ﴿۞أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلٗا لَّا رَيۡبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورٗا ٩٩﴾ [الإسراء: 99]
- ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩﴾ [الكهف: 109]
- ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤﴾ [الأنبياء: 84]
- ﴿وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ٤٢﴾ [يس: 42]
- ﴿أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨١﴾ [يس: 81]
- ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٤٣﴾ [ص: 43]
- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق: 12]

⇐ الميراث

- ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١﴾ [النساء: 11]
- ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ١٧٦﴾ [النساء: 176]

دقق -عزيزي القارئ- في هذا الدليل الذي نظن أنه حاسما، ألا يأخذ الذكر مقدار ما تأخذه الأنثى مرتين تماما بلا زيادة أو نقصان؟

⇐ الذات الإلهية (الله تعالى)

- ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: 11]

ألا ينفي الله عن نفسه التطابق الكلي مع غيره وإن وجدت بعض التشابهات مع غيره؟ أليس الله بأحسن الخالقين؟

جواب: صحيح أن هناك خالقين غير الله مادام أن الله هو أحسنهم لكن يستحيل أن يوجد خالق مِثل الله:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ۝٣﴾ [فاطر: 3]

ربما لهذا نظن أن الله قد أثبت التشابه الجزئي لنوره في الآية التالية:

- ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ۝٣٥﴾ [النور: 35]

ولكنه نفى التشابه الكلي في الآية التالية:

- ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: 11]

وذلك لأن ضرب الأمثال جائز وضروري، مادام أن فيه إلقاء الضوء على أشياء قد لا نعرفها أصلا (كنوره مثلا)، فضرب الله الأمثال لمحاولتنا تدبّر الفكرة ووضوح الرؤية.

للتفصيل حول هذه الجزئية انظر مقالة د. رشيد الجراح: جدلية المجاز والحقيقة في القرآن الكريم

نتيجة: هناك تشابه جزئي بيننا وبين الإله، فالله يقدر و نحن نقدر – والله يعلم و نحن نعلم – والله يريد و نحن نريد – والله يشاء و نحن نشاء –الخ. ولكن بالرغم من هذا كله، هل تصبح قدرتنا وعلمنا وإرادتنا ومشيئتنا (مهما عظمت) تتطابق مع ما هو للخالق نفسه؟

جواب: بالتأكيد لا يمكن ذلك، لأنه ليس كمثله شيء ، لاستحالة حدوث التماثل الكلي (أي التطابق) بالرغم من وجود التشابه الجزئي..

نتيجة: عندما يحدث تشابه بين كينونتين (أو لنقل طرفين)، فإن هذا التشابه إما أن يكون تشابها جزئيا أو أن يكون تشابها كليا، فإذا كان تشابها جزئيا جاءت المفردة التي تبرز التشابه على صيغة مَثَل (بفتح الميم والثاء) وإذا كان تشابها كليا جاءت المفردة على صيغة مِثْل (بكسر الميم وتسكين الثاء).

عودة لعيسى و آدم

مادام أن الآية الكريمة التي تبرز التشابه بين عيسى وآدم قد صوَّرت ذلك باستخدام مفردة مَثَّل (بفتح الميم والثاء)، فإننا نتجرأ على الظن بأنه لا يوجد تشابه كلي (أي تطابق) بين عيسى و آدم، وأن التشابه بينهما هو تشابه في صفة محددة بعينها وليس في جميعها، فهما – في ظننا- يتشابهان فقط في :

1- النفخة (نفخة من روح الله تعالى)

وانظر – إن شئت- الآية الكريمة نفسها مرة أخرى:

- ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عمران: 59]

أما بخصوص مادة الخلق، فهي مختلفة في الحالتين؛ ففي حين أن خلق آدم قد بدأ من تراب إلا أن هذا التراب قد جبل بالماء حتى أصبح طينا:

- ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ۝٧١﴾ [ص: 71]

بينما لم يجبل تراب عيسى بن مريم بالماء فبقي ترابا، أنظر الآية الكريمة مرة أخرى:

- ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عمران: 59]

السؤال: من الذي خلق من تراب كما تشير الآية الكريمة هنا؟ أليس هو عيسى؟

سؤال : إذا كان لا يوجد تماثل كلي بين عيسى من جهة و أدم من جهة أخرى وأن التشابه بينهما (كما نظن) هو تشابه جزئي محدد في النفخة من روح الله ، فما هي وجاهة و حكمة ضرب الله المثل بينهما؟

هذا ما سنحاول أن ننقب عنه من خلال النص القرآني ، و لكن قبل البحث في هذا الموضوع لابد أن نلتفت إلى عبارتين وردتا في الآية نفسها، وهما :

1. عبارة (عِندَ ٱللَّهِ)
2. عبارة (كُن فَيَكُونُ)

- ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عمران: 59]

لنطرح من خلالهما تساؤلات ثلاثة:

⇐ على من تعود عبارة (كُن فَيَكُونُ)؟ هل تعود على عيسى أم على آدم ؟
⇐ ما هي دلالة عبارة (عِندَ ٱللَّهِ) في هذه الآية الكريم ؟
⇐ وكيف تكوَّن كل واحد منهما؟

السؤال الأول: ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ

بداية، نحن نتبنى الافتراء الذي جاء في بحث د. رشيد الجراح (كيف تم خلق عيسى بن مريم؟) بأن هذه العبارة (كُن فَيَكُونُ) تعود على عيسى مادام أنه هو محور الخطاب فيها، ولكننا نضيف على ذلك بالقول بأن الدليل واضح تماما إذا ما استدعينا السياقات القرآنية الخاصة بخلق آدم، ولكن كيف ذلك؟

جواب: لو تدبرنا السياقات القرآنية الخاصة بخلق آدم جميعها لوجدنا أن هذه العبارة (ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ) لم ترد مطلقا في خلق آدم، وذلك لأن الله تعالى (نحن نظن) لم يخلق آدم بـ (كن فيكون) ولكنه خلقه بيديه:

- ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ۝٧٥﴾ [ص: 75]
- ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩﴾ [الحجر: 29]

ولكن – بالمقابل- خلق الله عيسى بإرسال التراب مع رسوله (روح من عنده) لينفخه في مريم ابنت عمران ليكون عيسى بن مريم بعد أن كان المسيح:

- ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ۝١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ۝١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ۝١٩﴾ [مريم: 17-19]

تصورات مسبقة: جاء في مقالة د. رشيد الجراح (كيف تم خلق عيسى بن مريم؟) في هذا الجانب ما مفاده أن الله قد مسح بيده على التراب الذي أرسله إلى مريم ليُنفخ فيها حتى يكون المسيح عيسى بن مريم، فكان مسيحا قبل النفخ بسبب أن الله هو الذي مسح على ذلك التراب بيده، وما أن دخل ذلك التراب في مريم حتى خرج كينونة جديدة بـ (كن فيكون)، فكان عيسى بن مريم، فأصبح منذ ذلك الحين يسمى بـ **المسيح ابن مريم**:

- ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٧٥﴾ [المائدة: 75]

نتيجة: كان خلق عيسى يتطلب كما اقتضت الحكمة الإلهية قول (كن فيكون)، ليتحول من تراب مسح الله عليه بيده إلى كينونة بشرية اسمه عيسى بن مريم. فكيف كان المسيح؟

جواب: يعتقد د. رشيد الجراح أن الآية الكريمة التالية تجيب على هذا التساؤل:

- ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾ [النساء: 171]
- ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٥﴾ [آل عمران: 45]

المسيح عيسى بن مريم هو إذن:

⇐ رسول الله
⇐ وكلمته ألقالها إلى مريم
⇐ وروح منه

السؤال قيد النقاش هنا: ما معنى أن يكون المسيح عيسى بن مريم (وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ) أو (بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ)؟

جواب: إنها كن فيكون، وانظر - إن شئت- الآية نفسها قيد البحث:

- ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾ [آل عمران: 59]

باب : خلق آدم

إذا كان الله قد خلق المسيح عيسى بن مريم بكن فيكون، فإن الله قد باشر خلق آدم بنفسه بيديه و نفخ فيه من روحه مباشرة بلا وسيط، فمر خلق آدم بثلاث مراحل أساسية، وهي:

1- خلقه بيده: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥﴾ [ص: 75]

ونحن نتخيل عملية الخلق هذه على نحو أن جعل الله التراب الذي أضاف إليه الماء طينا لازبا، ثم حمأ مسنون، ثم صلصال كالفخار، ثم صور (شكل) آدم بهيئته و صورته [الجسد].

2- سواه: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر: 29]

ونحن نتخيل ذلك على نحو أن الله قد أدخل فيه كينونة جديدة وهي النفس، فجعل فيه النفس التي هي محرك عمل لهذا الجسد الذي كان قد خلقه الله بيديه، ومن تلك النفس خلق الله لآدم زوجه (خلقت من نفسه). فلم تمر زوج آدم بمرحلة الخلق باليدين

3- نفخ فيه من روحه: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [ص: 72]

ونحن نتخيل ذلك على نحو أن الله قد نفخ (الحرارة) في ذلك الجسد والنفس، فدبت بهما الحياة، فتشكلت هيئته التي سكن بها الجنة، وأصبحت سوأته (أي كامل جسده) مواراة عنه بسبب تلك النفخة فيه، فاكتسب آدم النورانية مادام أن الله (مصدر النفخ) هو نور السموات والأرض:

- ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور: 35]

وما انطفأت تلك النورانية إلا عندما استطاع الشيطان أن ينزع عن آدم وزوجه لباسهما (للتفصيل انظر مقالات د. رشيد الجراح تحت عنوان: أين كانت جنة آدم؟ ما يؤكل وما لا يؤكل)

بناء على هذه الافتراءات، فإن التساؤلات الرئيسية هنا هي:

⇐ كيف تمت تسوية آدم؟ ولماذا؟
⇐ وكيف حصل النفخ فيه؟ ولماذا؟

باب التسوية : فَإِذَا سَوَّيْتُهُ

الافتراء الخطير: نحن نظن أن التسوية تحصل بعد وجود الشيء، فالتسوية مرحلة لاحقة للوجود، فالله قد سوى آدم بعد أن جهز مكوناته (أي جسده الذي حضره من الطين).

الدليل

تسوية السماوات

- ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة: 29]

ألا ترى -عزيزي القارئ- أن الآية الكريمة تبيّن بأن السماء كانت موجودة فعليّا (أي خلقا) بنص الآية (هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا) قبل أن تسوّى (ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ)، بدليل أن الله قد استوى إليها قبل أن يسويهن سبع سماوات؟

ثم، ألا ترى أن هناك لفته عجيبة في الآية الكريمة نفسها حيث يقول الله أنه (ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ) ثم يقول (فَسَوَّىٰهُنَّ)؟ ألم يستوي الله إلى سماء واحدة؟ فكيف يسويهن سبع سموات مادام أنه استوى إلى سماء واحدة؟ أليس من المفترض أن يقول (سواها سبع سموات) كما في الآية التالية؟

- ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾﴾ [النازعات: 27-28]

السؤال: لماذا قال الله هنا (فَسَوَّاهُنَّ) ؟

جواب مفترى: نحن نظن بأن السماء كانت مخلوقة كاملة ولكن كان ينقصها شيء واحد وهو التسوية، فكيف تم ذلك؟

جواب: نحن نظن أن الآية الكريمة التالية (كما نفهمها) ربما تقدم لنا الإجابة:

- ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: 12]

السؤال: كيف تتم التسوية إذن؟

جواب مفترى: نحن نظن أن التسوية تعني أن تصبح الكينونة قابلة للعمل كما يريدها الله:

- ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: 11-12]

السؤال: وكيف يكون ذلك؟

جواب: انظر التناوب اللفظي في الآيتين الكريمتين اللاتين تتحدثان عن السموات السبع:

- ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة: 29]
- ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: 12]

السؤال: ما الفرق بين أن يسوي الله السموات سبعا (فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ) وأن يقضيهن سبعا (فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٍ)؟

جواب مفترى خطير جدا: بعث النفس فيها.

تصوراتنا: مما لا شك فيه عندنا أن أي كائن يمر بمرحلتين: مرحلة الحياة ومرحلة اللاحياة، فلا يصبح كائنا قابلا للحياة إلا أن تتواجد النفس فيه، فوجود الجسد في داخله كل الأعضاء و الأجهزة اللازمة تبقيه كائنا ينقصه الحياة (أي جسدا)، ولا تتحصل له القابلية للحياة (أي جسما) إلا بعد التسوية. وهذه التسوية تعني بمفرداتنا المفتراة هنا إدخال النفس في ذلك الكائن ليصبح كائنا حيا.

السؤال: كيف تحصل الوفاة أو الموت؟

جواب: في مقالته تحت عنوان وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه، يحاول د. رشيد الجراح جاهدا أن يبين بأن النفس هي محرك الحياة، وأن الوفاة أو الموت تحصل عندما تخرج النفس من الجسم فيصبح جسدا، فدخول النفس في الجسم وخروجها منه تودي بتلك الكينونة إلى التحول من حالة إلى حالة، فتتناوب بين أن تكون جسما (فيه نفس) وجسدا (لا نفس فيه). فيستعرض د. رشيد الجراح الآية الكريمة التالية لإثبات ظنه هذا:

- ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٢﴾ [الزمر: 42]

فيفتري بناء على فهمه لهذه الآية الكريمة بأن الوفاة بالنوم أو بالموت – كما يظهر من صريح اللفظ القرآني- تحصل للنفس (ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ).

لذا، في حالة وفاة النفس بالنوم أو بالموت ، لا نجد أية أو إشارة على مساحة النص القرآني كله تفيد بأن الله يميت أو يتوفي الأجساد، بل على العكس فنحن نشاهد بأم أعيننا مئات الملايين من الحالات البشرية اليومية في كل أصقاع الأرض وهي بأجسام مريضة معتلة وربما ناقصة أو مقطعة ولكن الحياة مازالت تدبّ فيها، والسبب في ذلك – في رأينا- هو أن النفس ما زالت موجودة في الجسم، و إن لم يكن في حالة طبيعية كاملة، وما أن تخرج النفس من ذلك الجسم حتى يصبح جسدا (حالته في أحسن أحوالها كحالة عجل السامري):

- ﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ۝٨٨﴾ [طه: 88]

يستطيع تحريك أعضاءه، ولكنه يبقى فاقد الأهلية خاصة في الكلام أو في رجع القول (كحالة النائم مثلا):

- ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ١٤٨﴾ [الأعراف: 148]
- ﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ٨٩﴾ [طه: 89]

(للتفصيل انظر سلسلة مقالات د. رشيد الجراح تحت عنوان: باب السامري)

تسوية الأناسي (الإنسان)

لنقرأ قوله تعالى فيما يتعلق بمراحل خلق الإنسان:

- ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ٣٧﴾ [الكهف: 37]

لاحظ - عزيزي القارئ- اقتران التسوية بالرجولة (ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا)، أي تحديد جنس المخلوق، ألا ترى أن الذكورة تحدث بالتسوية.

نتيجة مفتراة: التسوية تحتم تحديد جنس المخلوق بعد مرحل خلقه. فكيف يتم ذلك؟

جواب: مما لا شك فيه أن الأجساد البشرية (ومثلها جميع الأشياء الأخر) – تتمايز إلى جنسين (ذكور – إناث):

- ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٤٩﴾ [الذاريات: 49]

السؤال: من أين خلق الزوجين الاثنين؟

جواب مفترى: من نفس واحدة

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: 1]

نتيجة مفتراة خطيرة جدا: الرجل والمرأة جسدان بنفس واحدة. فقد كان آدم وزوجه جسدان (سوآتان) مخلوقان من نفس واحده:

- ﴿فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١﴾ [طه: 121]

(للتفصيل انظر مقالات د. رشيد الجراح ثلاثية المرأة، وماذا ستفعل النساء في الجنة؟ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه)

الحواس

افتراء خطير: التسوية تسبق النفخ والحواس

- ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٩﴾ [السجدة: 9]
- ﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٢٣﴾ [الملك: 23]

يفتري د. رشيد الجراح الظن بأن الأعضاء (الآذان والأعين والقلوب) لا تستطيع القيام بمهامها، أي الحواس (السمع والبصر والتعقل) إلى بعد التسوية (أي إيداع النفس في الجسد البشري). فتلك التسوية وذلك النفخ هو ما يمكن الأعضاء (الآذان ، والأعين، والقلب) من القيام بتلك الحواس (يسمع، يبصر، يعقل).

و هنا يبرز سؤال مهم يتعلق بالمشاهدة التالية: هناك الملايين من البشر الذين فقدوا حاسة أو أكثر مثل (عدم الرؤية [ضرير] – عدم السمع [أصم] – أو عدم النطق و الكلام [أبكم] – أو عدم السمع و عدم الكلام [أخرس) و الكثير من هذه الإعاقات ، بل و حتى نرى الكثير ممن فقدوا قدرة الحركة (الشلل) و غيرها من هذه الإعاقات، و السؤال هنا : هل من فقد حاسة أو أخرى من حواس جسده تكون نفسه (محرك جسده) معطوبة أو بها عيب أو ناقصة ؟

جواب مفترى: نحن نظن أن من تعطلت عندهم حاسة أو أكثر فقد خسر شيئا من نفسه، ومن تعطلت عنده كل هذه الحواس فقد خسر نفسه كلها:

- ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف: 179]

نتيجة: من كان له قلب لا يفقه وأعين لا تبصر وآذان لا تسمع فأولئك كالأنعام (بل هم أضل).

السؤال: لماذا يبقى حيا من تعطلت حواسه؟

جواب: لأن فيه النفخ، وهذا ما سننتقل إليه بعد قليل

نتيجة: الأنفس هي التي تحاسب لأنها هي المكلفة، ولا يقع تكليف على ما فقد منها:

- ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة: 281]
- ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٥﴾ [آل عمران: 25]
- ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٣٠﴾ [آل عمران: 30]
- ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ١٦٤﴾ [الأنعام: 164]
- ﴿۞يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١١١﴾ [النحل: 111]
- ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١﴾ [ق: 21]

أما من فقد شيئا من أعضاء جسده (كاليد أو الرِجل، الخ)، فإنه يبقى مكلفا لأن نفسه (المشغّلة لحواسه) لم ينقص منها شيء.

باب النفخ

- ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٩﴾ [السجدة: 9]

يظن د. رشيد الجراح أنه ما أن انتهى الإله من تسوية الإنسان بإدخال النفس في الجسد الذي حضّره من طين حتى جاءت الخطوة الثالثة والأخيرة وهي النفخ فيه. فيصبح تكوين الإنسان قد مرّ بثلاثة مراحل مفصلية:

1. مرحلة الطين (الخلق)
2. مرحلة التسوية (النفس)
3. مرحلة النفخ (الروح)

ما أن ينفخ في ذلك الكائن حتى تدب الحياة فيه، ولا يتوقف عن العمل حتى تنطفئ تلك النفخة منه. إن هذا الظن يقودنا إلى تقديم النتيجة الخطيرة جدا التالية: قد تخرج النفس من الجسد وتبقى الوظائف في الجسد تعمل بكامل طاقتها كما يحصل في حالة النائم:

- ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٤٢﴾ [الزمر: 42]

نحن نتخيل – كما ظن د. رشيد الجراح- بأن النفس ربما تخرج من الجسد كما في حالة الذي توفّى اللهُ نفسَه بالنوم، ولكن بالرغم أن نفسه متوفاة عند ربها إلا أن أعضاء جسم صاحبها تبقى عاملة بكامل طاقتها، فالنائم يستطيع أن يحرك يده ورجله ورأسه، الخ. باستثناء شيء واحد وهو تكليم من حوله أو إرجاع القول لهم (كما في حالة عجل السامري).

السؤال: متى تتوقف أعضاء الجسم عن العمل ويتحول الجسم إلى كائن غير حي؟

جواب: يظن د. رشيد الجراح أن الكائن تنتهي الحياة فيه عندما تنطفئ النفخة منه:

- ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٩﴾ [السجدة: 9]

لذا وجب التفريق بين التسوية (إدخال النفس في الجسد) والنفخ (وجود الحياة في الجسم)

السؤال: ما هو النفخ؟

جواب مفترى: يظن د. رشيد الجراح أن النفخ هو الحرارة المتواجدة في الجسم:

- ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ٩٦﴾ [الكهف: 96]

فالنفخ – نحن نظن- هو عبارة عن رفع لدرجة الحرارة إلى المستوى المطلوب بلا زيادة أو نقصان

السؤال: ما الذي كان يفعله المسيح عيسى بن مريم ليخلق من الطين طيرا؟

جواب: انظر الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٤٩﴾ [آل عمران: 49]

ألا ترى – عزيزي القارئ- أن المسيح كان يقوم بعملية النفخ فقط؟ ألا ترى أن المسيح لم يكن يقوم بعملية التسوية؟

السؤال: لماذا كان المسيح يقوم بالنفخ بالطين فيكون طيرا؟ ولماذا لم يكن يسوّي الطين طيرا قبل أن ينفخ فيه؟

جواب مفترى: يظن د. رشيد الجراح أن السبب في ذلك يعود إلى أن المسيح كان يستطيع أن يدخل الحياة في الجسد إلا أنه لم يكن يستطيع أن يدخل فيها النفس، وبكلمات أكثر دقة نقول أن عيسى بن مريم كان يقوم بعمليتين فقط هما:

1. الخلق
2. النفخ

ولكنه لم يكن يستطيع القيام بالعملية الفاصلة بينهما وهي التسوية. وهذا هو – برأينا الفرق الجوهري بين عيسى بن مريم كخالق ورب عيسى بن مريم كأحسن الخالقين، لأن الله (الذي هو أحسن الخالقين) كان يستطيع القيام بثلاث عمليات، وهي:

1. الخلق
2. التسوية
3. النفخ

واقرأ – إن شئت- قوله تعالى:

- ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ۝٢٨ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩﴾ [الحجر: 28-29]

السؤال: لماذا لم يكن يستطيع عيسى أن يسوّي ما كان يخلق من الطين طيرا؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: لأنه لو كان عيسى بن مريم يستطيع أن يدخل في ذلك الكائن الذي خلقه نفسا لأصبحت تلك الأنفس مكلّفة، ولأصبحت بما كسبت رهينة ولأصبحت محاسبة على فعلها، والأهم من ذلك كله، لأصبحت مدانة لعيسى بن مريم بالعبودية ومن ثم بالعبادة:

- ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨﴾ [الشعراء: 78]

السؤال: ما هي الكائنات التي كان يخلقها عيسى بن مريم؟

جواب مفترى خطير جدا: نحن نظن – كما يظن د. رشيد الجراح- أنها مخلوقات منفوخ فيها ولكن لا نفس لها. (للتفصيل انظر سلسلة مقالات د. رشيد الجراح تحت عنوان: كيف تم خلق عيسى بن مريم؟)

تساؤلات ذات صلة بالموضوع:

سؤال1: ماذا يحدث عندما توفى الله نفس الإنسان بالموت؟ (ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا)

جواب: تنتهي الحياة من الإنسان بالكامل

سؤال2: ماذا يحدث عندما تتوفى نفس الإنسان بالنوم؟ (ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَا)

جواب: تبقى الحياة تدب فيه

السؤال المحوري: ما الذي يحدث؟ أو ما الفرق بين الحالتين؟

جواب مفترى من عند د. رشيد الجراح: لو راقبنا حرارة جسم الإنسان في حالة النوم لوجدنا أن تلك الحرارة تبقى مستقرة عند مستواها الطبيعي (37° مئوية)، ولكن في حالة الموت تنحدر درجة الحرارة على الفور. لذا فإن أول ما يفحص في الميت هو حرارته، فمتى ما انطفأت تلك الحرارة المشغلّة للجسم فإن الموت هو مصيره، فيتوقف المحرك (النفس) عن العمل.

وهذا بالضبط – نحن نتخيل- ما كان يستطيع المسيح عيسى بن مريم أن يفعله وهو أن يدخل الحرارة في الكائن فيصبح حيا، ويفعل ذلك بطريقة النفخ.

ولكن الله الذي هو أحسن الخالقين، فإنه يقوم بشيئين اثنين بعد إيجاد الشيء بالخلق وهما:

1. التسوية
2. النفخ

- ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٩﴾ [السجدة: 9]

فالتسوية تكون بإدخال النفس في الكائن، والتسوية تحدث – برأينا- بإدخال النفس في الكائن، والنفخ يكون –برأينا- بأن تدب فيه الحرارة ليشتغل. وبالمشابهة فإننا نفتري القول بأن التسوية هي وضع المحرك في السيارة، وأن النفخ هو شعلة الاحتراق التي تحرق الوقود في خزانها ليبدأ العمل، وما أن تنطفئ تلك الشعلة حتى يتوقف المحرك عن العمل.

السؤال: أين الدليل أن التسوية تحدث للنفس؟

جواب: نحن نظن أن الدليل متوافر في الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨﴾ [الشمس: 7-8]

السؤال: أين الدليل أن التسوية تحدث بعد الخلق:

جواب: لنقرأ الآية الكريمة التالية:

- ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣﴾ [الأعلى: 2-3]
- ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧﴾ [الانفطار: 7]

السؤال: كيف تكون تسوية النفس التي خلقها الله ؟

الجواب: نحن نظن أن ذلك يحدث بما تنص عليه الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨﴾ [الشمس: 7-8]

فتكون نتيجة تسوية النفس بأن يلهمها الله فجورها وتقواها، فهي تحدث الفجور والتقوى من تلقاء نفسها. فلا أحد يستطيع أن يجبرها على سلوك طريق التقوى أو سلوك طريق الفجور إلا هي بذاتها، فحتى خالقها – نحن نفتري الظن- لا يتدخل بذلك. وهنا بالضبط تبدأ جدلية التسيير والتخيير. فنفس الإنسان غير مجبرة على شيء على الإطلاق لأنها هي المحرك للاختيار بين الفجور والتقوى.

وهنا ندعو القارئ الكريم إلى مراجعة ما جاء في مقالة د. رشيد الجراح تحت عنوان: مقالة في التسيير والتخيير لأن تفسيرات عديدة ستبنى على هذا التصور المفترى من عند أنفسنا. ومن ثم الانتقال إلى سلسلة مقالات د. الجراح تحت عنوان: هل لعلم الله حدود؟ جدلية القلب والعقل.

الدليل

تسوية الأجنّة في بطون أمهاتهم

لنقرأ الآية الكريمة التالية:

- ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨﴾ [القيامة: 38]

فالله – بصريح اللفظ- قد خلق العلقة من النطفة، ثم سواها أي أودع فيها النفس لتصير جنينا تدب فيه حياة :

- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝١٤﴾ [المؤمنون: 12-14]

و لكن السؤال الذي ربما يثار هنا هو: إذا كانت العلقة هي من المراحل الأولى في خلق الأجنة في الأرحام كما يمكن أن نفهم من الآية الكريمة التالية:

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٥﴾ [الحج: 5]

فمتى إذن تتم تسوية الجنين؟ أي متى يتم إدخال النفس في الجنين؟

جواب مفترى خطير جدا: نحن نظن أن النفس تودع في الأجنّة في الأرحام في مرحلة العلقة .

نحن نعتقد جازمين بأن هذا الظن المفترى من عند أنفسنا ربما يخرجنا كليا من دائرة الفكر الموروث، فليعذرنا سادتنا العلماء أهل الدراية والرواية أن نخالفهم الرأي. ونحن نطلب من القارئ الكريم

خاصة إن كان من العامة من الناس (من مثلنا) أن يعطينا بعض الوقت حتى نحاول تجلية ما يدور في خلدنا حول هذه الجزئية.

أما بعد،

إن ما يهمنا إثارته هنا (بناء على فهمنا لكتاب الله بالطبع) هو أن الجنين عندما يصير (علقة) و هي أولى مراحل تكوين الأجنة يودع الله به النفس (أو شيئا من نفسه):

فيصير بذلك بشرا، وهناك بالضبط يتحدد جنسه:

- ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾ [الكهف: 37]

لو خرج هذا الكائن من بطن أمه في تلك اللحظة كائنا مكتمل البناء لخرج (نحن نؤمن) على العهد الذي أخذه على نفسه أمام ربه عندما كان لازال ذرية في ظهر آباءه:

- ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: 172]

وبكلمات أكثر دقة نحن نزعم القول بأنه لو حصل الأمر على تلك الشاكلة، لربما خرجنا جميعا من بطون أمهاتنا كما خرج عيسى بن مريم من بطن أمه، ننطق بالحق منذ اللحظة الأولى:

- ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [مريم: 30-34]

ولكن، لما مكث الإنسان في بطن أمه فترة الحمل الطبيعية (تسعة أشهر)، وأخذ يعيش في تلك الظلمات الثلاث، وأخذ يتحول من خلق إلى خلق آخر هناك:

- ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾ [الزمر: 6]

ولما أصبحنا نتغذى هناك على الأذى الذي كان من المفترض أن يخرج بالحيض (وهو الدم الواصل للجنين عن طريق السرة):

- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: 222]

لذا نحن نظن أن عيسى بن مريم لم يكن له سرة، مادام أنه لم يكن ليتغذى من ذاك الدم. فالمخاض لم يأتي مريم إلا بعد أن وضعت المسيح كلمة الله عند الشجرة:

- ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ [مريم: 23]

للتفصيل انظر مقالة د. رشيد الجراح: كيف تم خلق عيسى بن مريم؟

وذلك بسبب انقطاع الدورة الشهرية عند الحامل منذ اللحظة الأولى في حملها، ابتلينا بالنسيان، لأن النسيان الذي حصل لنا كان سببه ذلك الدم الذي وصل إلينا عن طريق السرة، فخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئا:

- ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: 78]

بالرغم أننا قد شهدنا على أنفسنا عندما كنا ذرية في ظهور آبائنا:

- ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: 172]

فكانت الوسائل الوحيدة للتذكر هي استخدام تلك الحواس (السمع والبصر والفؤاد).

ولما كانت النفس هي المشغلة لهذه الحواس، وجب على الإنسان تزكيتها لتستطيع القيام بذلك.

ثانيا، التسوية تشمل تحديد جنس المولود

نحن نظن بأن جنس المولود يتحدد بعد مرحلة النطفة، في مرحلة العلقة على وجه التحديد، قال تعالى:

- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [غافر: 67]
- ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾﴾ [القيامة: 38]

ألا تلاحظ – عزيزي القارئ- أن العلقة هي مرحلة مفصلية في تكوين و خلق الأجنة؟ ألا ترى أنها تكاد تكون المرحلة الأهم و الأخطر على الإطلاق؟ ألا ترى أنه لو فشلت تلك المرحلة لتم إسقاط الجنين و انتهي الحمل كليا؟

تصورنا لما يحصل: نحن نظن أن مرحلة العلقة هي النتيجة الحتمية لالتقاء نطفة الرجل في رحم الأم مع بويضة المرأة، وهناك يحدث الإخصاب (أي التلقيح) وهو ما نظن أنه ما جاء في الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ۝٤٦﴾ [النجم: 45-46]

فإذا ما أمنيت النطفة (أي التصقت نطفة الرجل ببويضة الأنثى، فكانت علقة) حتى كانت التسوية - الذكر والأنثى:

- ﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣٩﴾ [القيامة: 37-39]

وما أن أمنيت نطفة الرجل (المني اليمنى) حتى تصبح علقة تدب الحياة فيها على الفور.

- ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨﴾ [القيامة: 38]

السؤال: لماذا؟

رأينا: في هذه اللحظة تحدث عملية جديدة وهي عملية الجعل:

- ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣٩﴾ [القيامة: 38-39]
- ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ۝٣٧﴾ [الكهف: 37]

السؤال: لماذا تدبّ الحياة في تلك العلقة مباشرة؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن هناك يحدث النفخ، أي رفع حرارة تلك الكينونة (العلقة) لتصبح النفس التي سويت فيها قابلة للتشغيل.

السؤال: وكيف يحدث ذلك؟

جواب مفترى: نحن نظن أن نطفة الرجل (مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ) كانت حية منفوخ فيها قبل أن تمنى بدليل أن الله قد أشهد تلك الذرية على أنفسهم، فشهدوا له بالوحدانية:

- ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ۝١٧٢﴾ [الأعراف: 172]
- ﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣٩﴾ [القيامة: 37-39]

ولكن بويضة الأنثى تكون هامدة، أي غير منفوخ فيها، وما أن يصبها ذلك الماء الدافق الذي يخرج من بين الصلب والتراب:

- ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ [الطارق: 5-7]

حتى تمنى تلك النطفة (أي تلتصق ببويضة الأنثى، فيتحدد جنس الجنين)، وتدب الحياة فيه:

- ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ۝٤٦﴾ [النجم: 45-46]

ثم يتبعها خروج الطفل (مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا)

مما سبق نخرج بدلالات نظن أنها خطيرة جدا:

1- أن نطفة الرجل حية منفوخ فيها قبل أن تنزل في رحم المرأة (وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ)

2- أن تلك النطفة مسوّاة، أي تحمل نفسا (فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ)

3- أن النطفة اليمنى إذا ما أمنيت فإنها تلتصق ببويضة الأنثى، لتكون علقة. فتكتسب الحياة من نطفة الرجل لأنها هي المنفوخ فيها. (وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ۝٤٦)

4- أن الرجل هو من يحدد جنس الجنين : فنحن نظن أن نطفة الرجل – كما نفهم ذلك من كتاب الله- هي التي تحمل الحياة، وهي التي حصل فيها النفخ،

تصورات مفترة من عند أنفسنا: ما أن أعد الله الطين الذي خلق منه آدم:

- ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧﴾ [السجدة: 7]

حتى جاءت الخطوة التالية وهي التصوير :

- ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝١١﴾ [الأعراف: 11]

و ما أن تم تصويره حتى جاءت مرحلة التسوية :

- ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩﴾ [الحجر: 29]

وما أن تمت تسويته حتى تم النفخ فيه من روح الله نفسه:

- ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩﴾ [الحجر: 29]

وما أن انتقل خلق الإنسان (النسل) إلى النطفة (من ماء مهين) بعدما كان طينا:

- ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨﴾ [السجدة: 7-8]

حتى كانت تلك المخلوقات (النطف) قد اكتسبت الحرارة (بسبب النفخ)، فأودعها الله في ظهور الآباء:

- ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ۝١٧٢﴾ [الأعراف: 172]

لذا، نحن نتصور مفترين القول من عند أنفسنا بأنه ما أن تدخل تلك المخلوقات (نطف الرجال) في أرحام النساء حتى تجد (ما يسميه أهل المعرفة) بويضة المرأة لا حياة (أي لا حرارة) فيها لأنها (أي بويضات المرأة) لم تتلقى النفخ المباشر من الله، وما أن يتم قذفها بنطفة الرجل ذات الحرارة حتى تشعل خمولها، فتشعل جذوة الحياة فيها.

نتيجة: تدب الحياة في بويضة المرأة الهامدة بسبب نطفة الرجل ذات الحرارة (أي المنفوخ فيها أصلا).

الدليل

بعد تفقد السياقات القرآنية، صعب علينا أن نجد (حسب ما نفهمه من النص القرآني) ذكرا أو إشارة إلى نطفة المرأة في كتاب الله:

- ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣٩﴾ [القيامة: 36-39]
- ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ [الطارق: 5-7]

السؤال: بعيدا عن التأويلات المتضاربة لمعاني مفردات (دافق و الصلب و الترائب) في هذه الآيات الكريمة، يبرز السؤال الحتمي وهو: من أين يأتي الماء الدافق؟ هل يأتي من الرجل أم من المرأة؟

قبل أن نجيب، انظر ما جاءنا من عند بعض سادتنا أهل الدراية:

قال ابن القيم رحمه الله في أعلام الموقعين مائلاً إلى أن المقصود بالترائب هنا ترائب الرجل: ولا خلاف أن المراد بالصلب صلب الرجل، واختلف في الترائب فقيل: المراد بها ترائبه أيضاً، وهي عظام الصدر ما بين الترقوة إلى الثندوة، وقيل: المراد بها ترائب المرأة، والأول أظهر لأنه سبحانه قال: يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ [الطارق:7]، ولم يقل يخرج من الصلب والترائب، فلا بد أن يكون ماء الرجل خارجاً من بين هذين الملتقين، كما قال في اللبن: يخرج من بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ [النحل:66].

تفسير الطبري (356-354/24) .وهذا الذي اختاره إمام المفسرين : من أن المراد به : صلب الرجل ، وترائب المرأة ، وهو موضع القلادة منها ، هو الذي اختاره الإمام القرطبي في تفسيره (343/16 ،5/20) ، والحافظ ابن كثير في تفسيره (375/8) ، واختاره أيضا : العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله ، قال:

"اعلم أنه تعالى بين أن ذلك الماء ، الذي هو النطفة ، منه ما هو خارج من الصلب ، أي : وهو ماء الرجل ، ومنه ما هو خارج من الترائب ، وهو ماء المرأة ، وذلك قوله جل وعلا : (فَلْيَنظُرِ الإنسان مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصلب والترآئب) الطارق/5-7 لأن المراد بالصلب : صلب الرجل ، وهو ظهره ، والمراد بالترائب : ترائب المرأة ، وهي موضع القلادة منها . ومنه قول امرىء

"إعلام الموقعين" (146-145/1) .وهو اختيار الشيخ ابن عاشور ، وابن سعدي ، وابن عثيمين ، كما في "لقاء الباب المفتوح" (رقم/45) ، وانظر نحوا من ذلك في "اللقاء الشهري" (رقم/45) .ونقل القرطبي عن الحسن البصري رحمه الله أن : " المعنى : يخرج من صلب الرجل وترائب الرجل ، ومن صلب المرأة وترائب المرأة "

مختصر ابن كثير:وقوله تعالى: خلق من ماء دافق يعني المني يخرج دفقاً من الرجل ومن المرأة، فيتولد منهما الولد بإذن الله عزَّ وجلَّ، ولهذا قال: يخرج من بين الصلب والترائب يعني صلب الرجل وترائب المرأة وهو (صدرها)،وقال ابن عباس: صلب الرجل وترائب المرأة أصفر رقيق لا يكون الولد إلا منهما،وعنه قال: هذه الترائب ووضع يده على صدره،وعن مجاهد: الترائب ما بين المنكبين إلى الصدر،وعنه أيضاً: الترائب أسفل من التراقي،وقال الثوري: فوق الثديين، وقال قتادة: يخرج من بين الصلب والترائب من بين صلبه ونحره

جواب: أليس الرجل هو مصدر الماء الدافق؟ من يدري؟!!!

و لا ننسى أيضا أن نذكر هنا بأن بداية الخلق كانت من نفس واحدة وهي نفس آدم التي خلق الله منها زوجها، ثم صار الخلق بالتناسل (سلالة)

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: 1]
- ﴿۞هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٨٩﴾ [الأعراف: 189]
- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ٩٨﴾ [الأنعام: 98]
- ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٦﴾ [الزمر: 6]

- ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢﴾ [المؤمنون: 12]
- ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٨﴾ [السجدة: 8]

إن هذا يقودنا إلى افتراء القول بأن الرجل (الذكر، الإنسان) هو الأصل وأن المرأة (الأنثى) هي الفرع، و لا يمكن أن يحدد الفرعُ الأصلَ ، لأن من الطبيعي أن يكون الأصل هو من يحدد الفرع.

مما سبق نخرج بالاستنباطات التالية:

مر خلق الإنسان بثلاث مراحل رئيسية:

1- مرحلة الإعداد (التصوير): التراب، الطين، الصلصال، الحمأ المسنون. فتكوّن الجسد (أو body بالمفردات الأعجمية)

2- مرحلة التسوية: وهي تعني (برأينا) إيداع النفس في ذلك الجسد لإعطائها التكليف: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨﴾ [الشمس: 7-8]، فتحول ذلك الجسد إلى جسم

3- مرحلة النفخ: وهي إدخال الحرارة في ذلك الكائن ليبدأ العمل: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٤٩﴾ [آل عمران: 49]. فأصبح كائنا تدب الحياة فيه.

باب : دور المرأة

إن طرحنا هذا يثير على الفور التساؤل الكبير التالي: ما دور المرأة في تكوين الأجنَّة إذن؟

جواب: غالبا ما ظننت (أنا محمد السيسي) بأن للمرأة دور هام في عملية تكوّن الأجنّة، و لكن البحث أعياني لتحديد هذا الدور الذي تلعبه المرأة في عملية تكوين الأجنة. فظل السؤال يطاردني: هل يعقل أن الله تعالى لم يذكر دور المرأة في عملية التناسل؟ هل اقتصر دور المرأة على الحمل في رحمها والولادة والرضاعة؟ هل دورها يقتصر إذن على تكبد الأعباء في حين أن الشهوة والمتعة من نصيب الرجل؟!

- ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤﴾ [لقمان: 14]

- ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: 15]

السؤال: هل يعقل أن يكون دور الرجل الذي يقدم النطفة هو متعة و لذة و سعادة و راحة، بينما دور المرأة التي تحمل هو كرها و وهنا على وهن؟ أهذا كل شيء؟!

جواب مفترى: نحن نظن أننا قد وجدنا في الآية الكريمة التالية معلومة غاية في الخطورة والأهمية عن دور المرأة في عملية التناسل:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الحج: 5]

السؤال : وأين تلك المعلومة التي تظن أن لها علاقة بدور المرأة في مرحلة تكوّن الأجنّة؟

جواب: نحن نظن أننا نجد ذلك في نهاية الآية الكريمة في قوله تعالى (وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ) على وجه التحديد.

السؤال: ما علاقة ذاك بتلك؟

الجواب : دعنا نتدبر التماثل الذي تصوره الآية الكريمة بين عملية تكون الأجنة في أرحام النساء بما يحصل في حالة تكون الحياة بعد نزول الماء من السماء على الأرض، لتكون الصورة المبسّطة في مخيالنا على النحو التالي: ما أن ينزل الماء من السماء على الأرض حتى يحدث اهتزاز للأرض، فتربو وتنبت من كل زوج بهيج، أليس كذلك؟

السؤال: كيف يمكن فهم آلية تكون الأجنّة ودور المرأة في ذلك ضمن هذا الإطار؟

جواب مفترى: نحن نتخيل الأمر على النحو التالي: يقوم الرجل بإنزال (أو لنقل صب) الماء الذي خرج من بين الصلب والتراب في رحم المرأة:

- ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾﴾ [الطارق: 5-7]

وما أن ينزل ذلك الماء في رحم المرأة حتى يبعث الحياة في ما كان هامدا (أي بويضة المرأة)، بالضبط كما يبعث الماء النازل من السماء الحياة في الأرض الهامدة:

- ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: 30]

فيحدث التزاوج بين الماء (الذكر) والأرض (الأنثى)، فتكون نطفة الرجل قد أمنيت (﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [النجم: 46])، فيبعث الماء الحياة في ما كان هامدا، فتهتز وتربو وتنبت. فبويضة المرأة - نحن نتخيل- هي الأرض (أو لنقل التراب) الهامدة التي تنتظر نطفة الرجل (أو الماء) ، لتشتعل بها جذوة الحياة، و تبدأ من هناك عملية تكوين الجنين.

نتيجة مفتراة وخطيرة جدا سنحتاج إليها لاحقا: لو تدبّرنا العملية أكثر، لوجدنا أن الماء النازل من السماء وتراب الأرض هما زوجان تماما مثل الذكر والأنثى:

- ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: 30]

السؤال: ما هو العقم؟

قال تعالى:

- ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: 49-50]

نحن نظن أن العقم هو عبارة عن ما يشبه الشيء الذي يدفع (كالريح) أو كمني الرجل الذي إذا ما أتى على شيء حتى جعله كالرميم

- ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ [الذاريات: 41-42]

ونحن نعتقد أن الرميم هو عبارة عن تفتيت الشيء إلى جزيئاته المكونة له:

- ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ [يس: 78]

فما الذي يحصل في حالة الرجل العقيم؟

تصورات مفتراة: نحن نظن أن ماء الرجل ينحدر في رحم الأنثى بقوة دافعة (كحالة الريح)، فإذا كان الرجل عقيما كانت عملية القذف تشبه حركة الريح العقيم، فتأتي على بويضات المرأة كلها، وبدل أن تلقّحها

لتربو وتهتز وتدب بها الحياة، تقوم بتفتيتها لتجعلها كالرميم، أي تحيل بويضات المرأة إلى ركام هامد، عندها يصحب من الاستحالة بمكان أن يحدث الحمل.

فمن يستطيع تصليح الأمر؟

- ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: 78-83]

وهذا ما سنتحدث عنه لاحقا متى ما أذن الله لنا الإحاطة بشيء من علمه، فالله وحده نسأل أن يعلمنا ما لم نكن نعلم وأن يجعل فضله علينا عظيما – آمين.

أما النتيجة مفتراة والخطيرة جدا التي سنحتاج إليها لاحقا من هذا النقاش فهي: لو تدبّرنا العملية أكثر، لوجدنا أن الماء والأرض هما زوجان تماما مثل الذكر والأنثى:

- ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: 30]

الدليل :

بداية، دعنا ندقق في علاقة الماء بالأرض:

1- لا يمكن حفظ الماء إلا في الأرض

- ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [المؤمنون: 18]
- ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ [الرعد: 17]
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾﴾ [الزمر: 21]

2- الماء يحي الأرض بعد موتها

- ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوۡمٍ يَسۡمَعُونَ ٦٥﴾ [النحل: 65]
- ﴿وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةً مَّيۡتًاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ١١﴾ [الزخرف: 11]
- ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٦٣﴾ [العنكبوت: 63]
- ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ ٢٤﴾ [الروم: 24]
- ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ ١٦٤﴾ [البقرة: 164]
- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالًا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٥٧﴾ [الأعراف: 57]
- ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩﴾ [فصلت: 39]

3- الماء النازل من السماء لانبات الزروع

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرًا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنۡ أَعۡنَابٍ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهًا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ ٩٩﴾ [الأنعام: 99]
- ﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ٩﴾ [ق: 9]
- ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ٦٣﴾ [الحج: 63]
- ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٌ وَحُمۡرٌ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ٢٧﴾ [فاطر: 27]
- ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعًا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرًّا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢١﴾ [الزمر: 21]
- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقًا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ٣٢﴾ [إبراهيم: 32]

- ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [النمل: 60]
- ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: 22]
- ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾﴾ [طه: 53]
- ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ [لقمان: 10]

وهناك الكثير من الآيات تتحدث و تربط بين الأرض و الماء الذي ينزل عليها فيحييها، وتنبت من كل الزروع و الثمرات من كل شيء زوجين.

4- الأرض (هامدة – خاشعة – ميتة)

جاء في كتاب الله وصف للأرض على أنها هامدة وخاشعة وميتة:

- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت: 39]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الحج: 5]
- ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [يس: 33]

لو راقبنا هذه الآيات الكريمة لوجدنا أنها الحياة والبعث

فما دلالة ذلك على عملية تناسل الإنسان و دور الرجل و دور المرأة ؟

جواب: نحن نفهم من هذه الآيات الكريمة بأن عملية البعث تحدث كما يحدث إحياء الأرض الميتة بعد نزول الماء من السماء عليها:

- ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾﴾ [فاطر: 9]

وربما يكون دلالة ذلك – كما نفهمه- أن دور الرجل يقتصر على إنزال الماء (النطفة – المني - الماء الدافق)، وأن دور المرأة (كما الأرض) الحاضنة.

نتيجة خطيرة جدا: هناك ماء وهناك أرض (تراب) يقابله على التوازي رجل وامرأة كما في الجدول التالي:

رجل	ماء
امرأة	تراب

خروج عن النص: الذرية

لو تتبعنا السياقات القرآنية لوجدنا أن الذرية خاصة بالرجال، فالرجال هم من لهم الذرية. وأنظر – إن شئت- في الآيات الكريمة التالية:

- ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤﴾ [البقرة: 124]
- ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ٢٦٦﴾ [البقرة: 266]
- ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ٩﴾ [النساء: 9]
- ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨﴾ [آل عمران: 38]
- ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٨٧﴾ [الأنعام: 87]
- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ٣٨﴾ [الرعد: 38]
- ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾ [الفرقان: 74]
- ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ١٥﴾ [الأحقاف: 15]

ويستثنى من ذلك حالة واحدة فقط على مساحة النص القرآني وهي مريم ابنت عمران، الأمر الذي يدفعنا أن نطرح السؤال التالي على الفور: لماذا كانت مريم من دون نساء العالمين هي من لها ذرية؟

جواب: نحن نظن أن ذلك له علاقة باصطفاء مريم وطهارتها:

- ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران: 42-43]

ولكن كيف يكون ذلك؟

جواب: دعنا نعود إلى قصة مريم من بدايتها، خاصة في اليوم الذي وضعتها فيه أمها. فانظر في قول امرأة عمران وفي الرد الإلهي على قولها في الآية الكريمة التالية:

- ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ [آل عمران: 36]

هذه الآيات تطرح أسئلة هامة جدا

⇐ لماذا قالت امرأة عمران (رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا)؟
⇐ هل كانت امرأة عمران تعلم تماما بأن حملها سيتم على خير وتلد؟
⇐ لماذا قالت امرأة عمران (رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ) ؟ ، أليس الله أعلم بما وضعت؟
⇐ لماذا قال الله (وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ)؟
⇐ من قال (وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ)؟ الله تعالى أم امرأة عمران ؟ و لماذا؟
⇐ لماذا سمّت امرأة عمران ابنتها التي وضعتها باسم (مريم)؟
⇐ لماذا قالت امرأة عمران (وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا)؟
⇐ لماذا لم تقل (وَإِنِّي أُعِيذُهَا وَذُرِّيَّتَهَا بك)؟
⇐ و كيف عرفت امرأت عمران أن مريم سيكون لها ذرية؟
⇐ و هل يكون للنساء ذرية؟
⇐ الخ.

من أجل محاولتنا الإجابة على هذه التساؤلات، دعنا نعود قليلا إلى قصة خلق آدم، لنجد أن الله لم يخلق آدم من تراب فقط، ولكنه أضاف له الماء بدليل أن مادة الخلق قد تحولت إلى طين:

- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الروم: 20]
- ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾ [ص: 71]

لذا من أجل أن يتم الخلق كان لابد للتراب (مادة الخلق الأساسية) من أن يصب عليه الماء، لتدب فيه الحياة:

- ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: 30]

وما أن تجهز ذلك المخلوق الجديد من مادة الطين حتى سوّاه ربه بأن وضع فيها تلك النفس الواحدة:

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: 1]
- ﴿۞ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾ [الأعراف: 189]

نتيجة: تم خلق آدم من طين (تراب وماء) وتمت تسويته بإيداع النفس فيه وأخيرا نفخ الله فيه من روحه

السؤال الحتمي: كيف تم خلق المسيح عيسى بن مريم؟

جواب: ربما لا يستطيع الكثيرون المجادلة في أن المسيح قد خلق من تراب:

- ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: 59]

السؤال: هل أودع الله في المسيح النفس؟

جواب: نعم، بدليل ما جاء في الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة: 116]

خروج بسيط :

حصل الاصطفاء الإلهي لهؤلاء:

- ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران: 33]

وحصل الاصطفاء الإلهي لمريم ابنت عمران

- ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٢﴾ [آل عمران: 42]

السؤال: لماذا حصل الاصطفاء الإلهي لمريم على وجه التحديد؟

جواب: لو رجعنا إلى الوراء قليلا لوجدنا أن مريم من آل عمران، فمادام كذلك، فلِمَ تحتاج مريم لاصطفاء إلهي جديد؟ نحن نتساءل

جواب: ها هي امرأة عمران تنذر ما في بطنها محررا لربها:

- ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٥﴾ [آل عمران: 35]

وما أن تضع امرأة عمران ما في بطنها حتى تأتي الصاعقة في أن ما وضعت كانت أنثى:

- ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٣٦﴾ [آل عمران: 36]

ونحن لا نقرأ قول امرأة عمران (قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ) على أنه من باب إخبار ربها بما وضعت وذلك لأن الله (أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ). فامرأة عمران – نحن نظن- لا تحتاج أن تخبر ربها الذي يعلم السر وأخفى بجنس المولود، ولكننا نفهم أن قولها ذلك قد جاء من باب التعجب، ولكن لماذا؟

رأينا المفترى: نحن نظن جازمين أن امرأة عمران كانت تعي بأن وراثة النبوة هي في الذكور من المواليد:

- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾ [الأنبياء: 7]
- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠٩﴾ [يوسف: 109]
- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣﴾ [النحل: 43]

وأن الرسالة (لو حصلت) لن تكون إلا في الناس:

- ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝٧٥﴾ [الحج: 75]

لذا فهي (أي امرأة عمران) تعلم أن مريم (الأنثى) لن يحصل لها اصطفاء بالرسالة مادام أنها أنثى (أي ليست من الناس):

- ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾ [آل عمران: 14]

نتيجة: مادام أن النساء لسن من الناس فلن تكون أحد من النساء ممن يصطفيهن الله للرسالة

(للتفصيل انظر مقالات د. رشيد الجراح الخاصة بالنساء تحت عنوان: ثلاثية المرأة و ماذا ستفعل النساء في الجنة؟)

نتيجة: نحن نظن أنّ قول امرأة عمران (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ) كان من باب الدهشة والتعجب والحيرة، ولكن لماذا؟

تخيلات من عند أنفسنا: نحن نظن أن امرأة عمران كانت تقصد من قولها (رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا) أن تضع مولودا ذكرا من آل عمران ليكون وريث النبوة والكتاب، ولكن عندما وضعت ما في بطنها وتبين لها بأنها أنثى، اندهشت و تحسرت لأنها ربما أيقنت بأن وراثة النبوة والكتاب قد ذهبت من آل عمران إلى غير رجعة. فيكون المشهد كما نتخيله على النحو التالي:

يموت عمران فيترك امرأته حاملا، ولم يكن لهما ذرية من الذكور ليكون وريث النبوة والكتاب، ولما كانت امرأته تعلم جيدا بأن الله قد اتخذ على نفسه عهدا باصطفاء آل عمران (إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)، ظنت يقينا أن ما في بطنها كان غلاما ذكرا، فوضعت يدها (كما نقول في العامية الأردنية) في الماء البارد، منتظرة هذا المولود ليكون هو وريث سلالة النبوة في آل عمران. ولكن نزلت المفاجأة كالصاعقة على رأسها عندما رأت أن ما وضعته لم يكن غلاما ذكرا بل أنثى، فما كان منها إلا أن تتوجه إلى ربها على الفور متسائلة:

- ﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦﴾ [آل عمران: 36]

فجاء الرد الإلهي المباشر (وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ) معترضا خطابها:

قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ	وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ	وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ
قول امرأة عمران	قول إلهي	قول امرأة عمران

لكن يبقى تساؤل آخر ربما يشكك بمصداقية هذا الطرح كله وهو الآية الكريمة التالية:

- ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨﴾ [مريم: 28]

السؤال: ألم تكن مريم هي أخت هارون؟ فإذا كان كذلك، فإن هذا يعني أن هناك ذرية من الذكور في بيت عمران مؤهلة لأن ترث النبوة والكتاب، فما الداعي أن ترتبك امرأة عمران أو أن تتفاجأ (وربما تتحسّر) عندما وجدت أنها قد وضعت أنثى؟

جواب: بعيدا عند التأويلات المجازية التي ذهبت إلى القول بأن هارون هذا ليس بأخ مريم وإنما هو هارون أخ موسى (كما جاء عند بعضهم) ، ومن أراد المجادلة فلينظر في إصحاحات العهد القديم خاصة في سفر الخروج وسفر اللاويين ليرى بأم عينه من أين مصدر تلك الموروثات التي انتهت إلى بطون أمهات كتب التفسير.

ثم أن صيغة النداء هذا (كما يرغبون تسميتها) هي من باب المداعبة كقولهم "يا أخ العرب" مثلا، فإننا نكاد نجزم الظن بأن هناك أخ لمريم اسمه هارون، وأن هذا الكلام كلام حقيقي ليس مجازيا.

السؤال: كيف يمكن إذن التوفيق بين ظنك بأن هناك أخ لمريم اسمه هارون وأن بيت عمران قد خلا من الذرية من الذكور كما تزعم؟

جواب: نحن نجد الجواب في الآية الكريمة التالية:

- ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥﴾ [آل عمران: 35]

لقد دعتنا هذه الآية الكريمة لطرح السؤال التالي على الفور: ما الداعي أن تنذر امرأة عمران ما في بطنها محررا (إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا)؟

باب النذر

نحن نظن أن هناك سيناريوهين اثنين على الأقل للخروج من هذا المأزق الذي وضعنا فيه أنفسنا، سنضعهما بين يدي القارئ ونترك له حرية التفكر فيهما حتى يأذن الله لأحد من عبادة بشيء من علمه فيه، فالله نسأل أن يعلمنا ما لم نكن نعلم إنه هو الواسع العليم – آمين

أما بعد،

السيناريو الأول:

نحن نعتقد أن عمران كان له ولد اسمه هارون، وقد عاش هذا الفتى في كنف والده حتى كبر وأصبح معروف بين الناس بالصلاح والتقوى، ولكن الموت لم يمهل هذا الشاب حتى يكبر ليرث النبوة والكتاب من بعد والده عمران، فتوفاه الله بالموت قبل أن يتوفى والده عمران، فما كان من عمران أن يقنط من رحمة ربه، فما مات حتى تحصلت له الذرية في بطن امرأته هذه، فكانت مريم، ولكنه لم يعيش حتى اليوم الذي

تولد فيه مريم. فقد جاء نذر امرأت عمران ما في بطنها ليكون محررا بعد وفاة والده عمران. ولو دققنا في السياقات القرآنية جيدا، لوجدنا بأن زكريا قد خاف الموالي من ورائه:

- ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥﴾ [مريم: 5]

لذا، كانت امرأة عمران تطلب – نحن نتخيل- أن لا يكون ما في بطنها من الموالي. (للتفصيل انظر سلسلة مقالات د. رشيد الجراح تحت عنوان: كيف تم خلق عيسى بن مريم؟)

ولو تفكرنا في السياق القرآني التالي لوجدنا أن والد مريم (عمران) لم يشهد ولادتها بدليل أن الكفالة كانت مستحقة لمريم حينئذ:

- ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٧﴾ [آل عمران: 37]

فلو لم يكن والدها قد توفاه الله بالموت، لما كانت مريم (نحن بظن) لكفالة من أحد.

السيناريو الثاني

لو دققنا في النص القرآني جيدا لوجدنا أن التعريف بمريم كان على نحو أنها أخت هارون:

- ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۝٢٨﴾ [مريم: 28]

السؤال: لماذا لم يتم التعريف بها على أنها ابنت عمران؟ لماذا جاء التعريف بها هنا (عندما جاءت بالغلام تحمله) على وجه التحديد على أنها أخت هارون؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن هذا الموطن فيه شيء من الشك "بقدسية" مريم من قبل القوم الذين وقفوا يتساءلون عن ما أتتهم به مريم تحمله، لذا يستحيل أن يتبادر إلى ذهن من كان حاضرا من بني إسرائيل حينئذ أن من تقوم بهذا الفعل (أي من تأتي بغلام بهذه الطريقة) يمكن أن تكون من نسل عمران الذي يعرفونه، فـ ابنت عمران يستحيل – في ظنهم- أن تفعل شيئا كهذا:

- ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۝٢٨﴾ [مريم: 28]

فعمد القوم إلى نسبتها إلى أخيها هارون هنا على وجه التحديد، وأظن أن السبب في ذلك ربما يعود لأنه يمكن – نحن نظن فقط- أن يقع (على الأقل من الناحية النظرية) تشكيك في نسب هارون هذا، في الوقت الذي يستحيل (من الناحية النظرية أو العملية) أن يحصل تشكيك في ذرية عمران نفسه، ليكون السؤال الذي يجب إثارته على الفور هو: من هو هارون هذا؟

نحن نظن أن هارون هذا هو أخ مريم ولكنه ليس ولد عمران، فكيف يكون ذلك؟ يتساءل صاحبنا.

تخيلات من عند أنفسنا: نحن نظن أن هارون كان فعلا أخ مريم من أمها وليس من أبيها كما كان هارون القديم هو أخ موسى من أمه ولم يكن أخاه من أبيه:

- ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ٩٤﴾ [طه: 94]
- ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥٠﴾ [الأعراف: 150]

فيكون المشهد في مخيالنا على النحو التالي: كان عمران نبيا في قومه، ولم ينجب ذرية من الذكور، وكان يقوم بكفالة الأيتام كما كان يفعل زكريا مثلا، لأن الكفالة واجبة في شريعة بني إسرائيل في ذلك الوقت، كما يمكن لنا أن نستشعره من الآية الكريمة التالية:

- ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ٤٤﴾ [آل عمران: 44]

فقام عمران في يوم من الأيام (نحن نتخيل) بكفالة هارون، فتزوج بأمه، التي أصبحت لاحقا أم مريم أيضا، وما أن تزوج عمران من أم هارون حتى حملت أم هارون بمريم، ومات عمران تاركا وراءه امرأته الحامل بذرية منه مع ابنها هارون (الذي أصبح أخ مريم غير الشقيق لأنه لم يكن من ذرية والدها عمران)، و لما كان هارون قد تربى في بيت نبوة كبيت عمران، فقد نشأ الفتى مثالا للتدين والأخلاق، ولكن لما كانت امرأة عمران تعلم بأن الله قد اصطفى آل عمران، فهي تعلم أن وراثة النبوة والكتاب يجب أن تكون في ذرية عمران نفسه، لذا يستحيل أن تتأتى لابنها هارون لأنه ببساطة ليس من ذرية عمران، فجاء نذرها ما في بطنها لهذه الغاية.

- ﴿... رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ٣٥﴾ [آل عمران: 35]

ولكن ما أن وضعت امرأة عمران ما في بطنها وتبين لها أنها أنثى حتى كانت الدهشة والحيرة بادية لا يمكن إخفائها، فقالت على الفور:

- ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦﴾ [آل عمران: 36]

(للتفصيل في باب الكفالة: انظر مقالة د. رشيد الجراح قصة موسى: فرعون الطفولة و ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته: باب النعجة)

و هنا يثور السؤال المحوري في الموضوع نفسه وهو: لماذا قال الله (وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ)؟

تساؤلات

- ⇐ ما معنى هذه العبارة (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ)؟
- ⇐ ألم تعلم امرأة عمران ما وضعت؟
- ⇐ ألم يعلم الناس جميعا ما وضعت؟
- ⇐ فما دلالة أن يكون الله هو أعلم بما وضعت؟
- ⇐ فهل علم الله في هذه الجزئية يختلف عن علم غيره؟
- ⇐ أم هل هي مجرد أن علم الله سابق لعلم غيره؟
- ⇐ الخ.

رأينا: بناء على ما جاء في سلسلة مقالات د. رشيد الجراح تحت عنوان: كيف تم خلق عيسى بن مريم؟ فإننا نتبنى الرأي المبدئي المشار إليه هناك بأن عيسى بن مريم لم يكن يوما (نطفة) في ظهر رجل، أليس كذلك؟

السؤال: كيف إذن تمت عملية خلق المسيح عيسى بن مريم؟

جواب: إن هذا السؤال يعيدنا على الفور إلى الآية الكريمة التي بدأنا فيها النقاش في هذا الجزء من المقالة وهي قوله تعالى:

- ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عمران: 59]

السؤال: لماذا جاء في الآية الكريمة التأكيد على أن خلق المسيح على وجه التحديد كان من تراب؟

رأينا: نحن نظن أن هذا وجه اختلاف وليس وجه تشابه مع آدم وذلك لأن خلق آدم كان من طين:

- ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ۝٧١﴾ [ص: 71]

السؤال: إذا كان عيسى بن مريم قد خلق من تراب، فكيف دبت فيه الحياة؟ وبكلمات أكثر دقة نحن نسأل: كيف تمت تسويته لإيداع النفس فيه؟

جواب: لابد من وجود الماء لتحصل الحياة:

- ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ۝٣٠﴾ [الأنبياء: 30]

سؤال: من أين جاء الماء الذي سيبعث في المسيح (التراب) الحياة؟

جواب: من مريم نفسها

منطقنا المفترى: إذا كان خلق البشرية يتم بإنزال الرجل الماء المنفوخ فيه في رحم الأنثى (الحرث) لتهتز وتربو وتنبت، ويتكون الجنين، فيكون مصدر الماء هو الرجل وتكون المرأة هي عبارة عن التربة التي تنتظر ذلك الماء لتدب فيها الحياة فلا تعود خاملة:

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥﴾ [الحج: 5]

فإن خلق عيسى قد بدأ من التراب الذي نفخ في مريم، فكانت مريم (في ظننا) بمثابة الماء الذي بعث الحياة في ذلك التراب، فأصبحت مريم تقوم بدور الرجل أكثر منها بدور المرأة، لذا جاء في ظننا قول الحق عبارة (وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ) في الآية الكريمة نفسها التي ظهرت فيها حيرت امرأة عمران في أنها قد وضعت أنثى وليس ذكرا كوريث النبوة والكتاب في آل عمران:

- ﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦﴾ [آل عمران: 36]

فيكون المشهد حسب فهمنا له على النحو التالي: بالرغم أن امرأة عمران ترى بأم عينها أن ما وضعته هي أنثى (بكامل التفاصيل الفيزيائية للأنثى) إلا أنها لم تكن تدرك أن هذه الأنثى تختلف عن كل نساء العالمين، إنها الأنثى المؤهلة للاصطفاء الإلهي، إنها الأنثى القادرة أن تحمل كلمة الله في بطنها، إنها الأنثى التي لم تغادر المحراب على طهارتها، إنها الأنثى التي لم تعاني من الآم المحيض إلا بعد أن وضعت المسيح كلمة الله وروح منه، فتمنت أنها ماتت قبل هذا:

- ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣﴾ [مريم: 23]

إنها الأنثى التي كان يأتيها رزقها من عند ربها:

- ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٧﴾ [آل عمران: 37]

إنها الأنثى التي استحقت الاصطفاء الإلهي مرتين:

- ﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٢﴾ [آل عمران: 42]

إنها مريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها، فكانت مؤهلة لأن ينفخ فيها:

- ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢﴾ [التحريم: 12]

إنها الأنثى التي استحقت الاصطفاء الإلهي مرتين:

- ﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٢﴾ [آل عمران: 42]

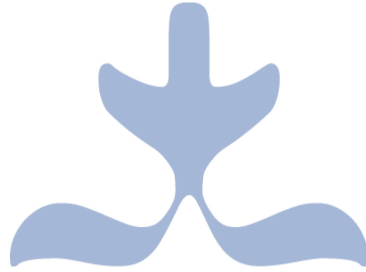
إنها:

- ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢﴾ [التحريم: 12]

والله أعلم

وللحديث بقية

المدّكرون: رشيد سليم الجراح & محمد عبد العزيز السيسي & علي محمود سالم الشرمان
بقلم: م. محمد عبد العزيز السيسي & د. رشيد الجراح
المراجعة والتدقيق: د. رشيد الجراح
20 آذار 2014



نظرية الأمانة

الجزء الثاني



نظرية الأمانة: الجزء الثاني

تضع امرأة عمران ابنتها مريم اليتيمة بعد أن كانت قد نذرت ما في بطنها محررا لله:

- ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ٣٥﴾ [آل عمران: 35]

ولمّا كانت امرأة عمران من المتقين، تقبّل ربها منها ما كانت قد نذرت له، مصداقا لقوله تعالى (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ) كما جاء في قصة ابني آدم اللذين قربا قربانا إلى ربهما، فما تقبل الله إلا ممن كان منهم من المتقين:

- ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ٢٧﴾ [المائدة: 27]

فكانت مريم – نحن نتخيل- بمثابة القربان الذي تقربت امرأة عمران به إلى ربها. وكانت تظن – حسب ما زعما سابقا- أنها ستضع مولودا ذكرا ليكون وريث النبوة والكتاب في آل عمران الذين اصطفاهم الله، مادام أنهم ذرية بعضها من بعض:

- ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ٣٣ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ٣٥﴾ [آل عمران: 33-35]

وعندما تبين لها أن ما وضعته كانت أنثى وليس ذكرا، أصيبت (نحن نتخيل) بالدهشة، فقالت على الفور (قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ) من باب الحيرة وليس من باب الإخبار:

- ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦﴾ [آل عمران: 36]

فكان الرد الإلهي على قولها بأنه هو أعلم بما وضعت (وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ)، فزعمنا القول - بناء على فهمنا المفترى في ذلك- بأن مريم ابنت عمران كانت تختلف عن جميع نساء العالمين، فجاء الاصطفاء الإلهي لها على نساء العالمين في النص القرآني مرتين:

- ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ٤٢﴾ [آل عمران: 42]

فكانت تُهيّأ (أي يتم تجهيزها) لتحمل في بطنها تراب المسيح:

- ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾ [آل عمران: 59]

وتم ذلك بطريقة النفخ فيها بالرغم أنها كانت قد أحصنت فرجها:

- ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾ [الأنبياء: 91]
- ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢﴾ [التحريم: 12]

فكانت هي بمثابة الماء الذي جبل به هذا التراب ليكون طينا في بطنها مادام أن الماء هو ما يجعل منه كل شيء حي:

- ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠﴾ [الأنبياء: 30]

وما كان هذا ليحصل لها لولا أن الله قد تقبلها بقبول حسن بعد أن نذرت أمها ما في بطنها محررا لله، عندها جاء الأمر الإلهي بأن يكون زكريا هو من يكفلها:

- ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٧﴾ [آل عمران: 37]

فتزوج زكريا بمريم ليتحصل على كفالة مريم، فيصبح قادرا على الدخول عليها في أي وقت شاء مادام أنه قد أصبح هو زوج أمها (انظر مقالة د. رشيد الجراح: كيف تم خلق عيسى بن مريم؟)، فنبتت مريم كالنبات الحسن الذي ينزل عليه الماء من السماء، وما أن انتهت أمها (نحن نتخيل) من إرضاعها حتى توفاها الله بالموت، وعندها كان المحراب هو المكان الذي استقرت فيه مريم، وكان الرزق يأتيها من عند ربها إلى محرابها:

- ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٧﴾ [آل عمران: 37]

فنشأت هناك، وجاءت الدعوة الإلهية لها على النحو التالي:

- ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾ [آل عمران: 43]

وهنا نتوقف لنطرح على الفور بناء على هذا السياق القرآني السؤال التالي: لماذا كانت مريم تستطيع أن تركع مع الراكعين؟ أليست بأنثى؟ وهل يحق للأنثى أن تركع مع الراكعين من الذكور؟ ألم يأتي هذا التكليف للبالغين المكلفين من الرجال؟

- ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾ [البقرة: 43]

فما بال مريم تُؤمر – نحن نسأل- أن تركع مع الراكعين؟

جواب: عندما أسندت كفالة مريم إلى زكريا بأمر من ربها (وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا)، كان تواجدها في المحراب شبه دائم، وهناك كان يأتيها رزقها مباشرة من السماء:

- ﴿.... كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ ...٣٧﴾ [آل عمران: 37]

وهناك في المحراب أيضا كانت مريم – نحن نظن- تقيم صلاتها كما كان يفعل زكريا نفسه:

- ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩﴾ [آل عمران: 39]
- ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ١١﴾ [مريم: 11]

وهناك – نحن نظن- كانت تستطيع مريم أن تركع مع الراكعين، أليس كذلك؟

- ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾ [آل عمران: 43]

السؤال: كيف كانت مريم تركع مع الراكعين؟ فهل يجوز لأنثى أن تقف في المحراب لتركع مع الراكعين من الرجال؟ من يدري؟!!!

ثانيا، لو دققنا في الآية الكريمة السابقة نفسها لوجدنا أنه قد طُلب من مريم أن تقنت لربها، أليس كذلك؟

- ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾ [آل عمران: 43]

لكنّ الملفت للانتباه (نحن نظن) هو ما جاء في الآية الكريمة التالية فيما يخص قنوت مريم على وجه التحديد:

- ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢﴾ [التحريم: 12]

ليكون السؤال الذي نظن أنه يجب أن يطرح على الفور هو: لماذا كانت مريم " مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ " (بصيغة المذكر)؟ لِم لَم تكن "من القانتات" (بصيغة التأنيث) كما في الآية الكريمة:

- ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥﴾ [التحريم: 5]

نتيجة مهمة جدا: كانت مريم تركع مع الراكعين (وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ) كما كانت من القانتين (وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ) ولم تكن من القانتات. فلماذا – يا ترى- كانت مريم كذلك؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن في هذا جوابا لما جاء في قوله تعالى (وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ) فيما يتعلق بمريم في الآية الكريم التالية:

- ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٣٦﴾ [آل عمران: 36]

ولكن، كيف ذلك؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن مريم كانت تختلف عن نساء العالمين، فهي لم تكن امرأة تماما، لقد كان في مريم (نحن نظن) من الصفات ما ينطبق على الرجال – كلا خطير جدا جدا، أليس كذلك؟

الدليل

نحن نظن أن الاختلاف الفيزيائي (الجسمي) الذي نحاول أن نفتريه من عند أنفسنا على مريم ابنت عمران كان – في رأينا - تجهيزا لها، لإعدادها لما خلقت من أجله، وهو حمل كلمة الله المسيح. الذي كان من تراب:

- ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عمران: 59]

الذي لم يأتي خلقه من ماء دافق كما هو خلق الناس الّذين انتقل خلقهم من مرحلة التراب إلى مرحلة النطفة:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥﴾ [الحج: 5]

فلم يدخل عيسى في مرحلة النطفة بعد التراب كما يحصل لكل واحد منا، لذا فإن الآية الكريمة التالية لا تنطبق على المسيح عيسى بن مريم من دون البشر أجمعين:

- ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ۝٣٧﴾ [الكهف: 37]

نتيجة 1: لم يدخل عيسى في مرحلة النطفة وبقي في مرحلة التراب.

والحالة هذه، لم يدخل في مرحلة الأزواج كذلك:

- ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝١١﴾ [فاطر: 11]

نتيجة2: لم يُجعل لعيسى بن مريم زوجا.

والحالة هذه، لم يكن عيسى من الناس لأن من أبسط خصائص من كان من الناس أن يأتي خلقه من ذكر وأنثى:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝١٣﴾ [الحجرات: 13]

نتيجة 3: لم يكن عيسى من الناس

والحالة هذه، لم يكن يحتاج أن يأكل مما في الأرض حلالا طيبا:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝١٦٨﴾ [البقرة: 168]

نتيجة 4: عيسى كان يأكل مما ينزل عليه ربه من السماء

والحالة هذه، كان عيسى بن مريم بشرا خالصا:

- ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝١٧﴾ [مريم: 17]

كما كان آدم:

- ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ٧١﴾ [ص: 71]

فجاء يتكلم في المهد صبيا:

- ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٤٦﴾ [آل عمران: 46]
- ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١١٠﴾ [المائدة: 110]
- ﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ٢٩﴾ [مريم: 29]

فكان عبدا خالصا لله:

- ﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ٢٩ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٣٥ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٣٦﴾ [مريم: 29-36]

كما حصل في حالة آدم، الذي أنبأ الملائكة بأسمائهم منذ اللحظة الأولى لخلقه:

- ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣﴾ [البقرة: 33]

ولو راقبنا السياقات القرآنية الخاصة بقصة الخلق الأول، لما وجدنا في واحدة منها أن الله قد طلب من آدم وزوجه أن يعبدوا ربهم في الجنة التي أسكنهم إياها. وكان جلّ ما طلبه منهم هو أن يأكلا منها رغدا حيث شاءا باستثناء شجرة واحدة:

- ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾ [الأعراف: 19]

وما أن أكلا من الشجرة حتى أصبحا من الظالمين، وعندها بدأت رحلة العذاب في الأرض:

- ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف: 23]

السؤال: لماذا لم يطلب الله من آدم وزوجه أن يعبدا ربهما في الجنة؟

جواب: لأن آدم كان يملك علم الأسماء الذي تلقاه مباشرة من ربه:

- ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٣١﴾ [البقرة: 31]

وما أن ظلم آدم وزوجه نفسيهما بالاقتراب والأكل من الشجرة حتى حصل الظلم، فكانت النتيجة النسيان:

- ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ١١٥﴾ [طه: 115]

السؤال: ما الذي نسيّه آدم؟

جواب: الأسماء التي علمها إياه ربه.

سؤال: ما نتيجة ضياع ذلك؟

جواب: أُخرجا من الجنة:

- ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ... ٢٧﴾ [الأعراف: 27]

السؤال: كيف حصل ذلك؟

جواب: نزع عنهما الشيطان لباسهما، فبدت سوءاتهما.

- ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٢٧﴾ [الأعراف: 27]

سؤال: ما الذي فقده آدم وزوجه إذن عندما نزع الشيطان عنهما لباسهما؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: لقد فقد آدم وزوجه النفخ مادام أن الله هو نفسه من نفخ في آدم بعد أن خلقه وصوره وسوآه:

- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ٢٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٢٩﴾ [الحجر: 28-29]

السؤال: وكيف تم النفخ؟

جواب: اكتساب المنفوخ فيه (وهو آدم) شيئا من روح الله

السؤال: وكيف تم ذلك؟

جواب: نحن نظن أن ذلك حصل بعد أن انطفأ ذلك النور الرباني الذي اكتسبه آدم من النفخ المباشر من الله، لأن الله هو نور السموات والأرض:

- ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥﴾ [النور: 35]

السؤال: وماذا أصبحت نتيجة نزع الشيطان عن آدم وزوجه لباسهما؟

جواب: خسران النفخ، أي خسران ذلك النور الإلهي الذي جاءه مباشرة من روح الله

سؤال: وماذا كانت نتيجة خسران ذاك النور من روح الله؟

جواب: استطاع الشيطان أن ينزع عنهما لباسهما فبدت لهما سؤاتهما:

- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧﴾ [الأعراف: 27]

سؤال: وماذا كانت نتيجة ذلك؟

جواب: خسران الجنة بأكملها

- ﴿فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣﴾ [طه: 121-123]

سؤال: وكيف يكون ذلك؟

جواب: باستعادة ذلك النور من خلال النور الذي جاءنا به رسوله :

- ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥﴾ [المائدة: 15]

وكيف ذلك: القرآن هو كلام الله:

- ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ [التوبة: 6]

وقد نزل به الروح الأمين:

- ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣﴾ [الشعراء: 192-193]

السؤال: ما علاقة هذا كله بالمسيح عيسى ابن مريم؟ أي كيف كان ذلك في حالة المسيح ابن مريم؟

جواب: انظر الآية الكريمة التالية:

- ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝١٧١﴾ [النساء: 171]

نتيجة: المسيح هو كلمة الله (كما أن القرآن هو كلام الله) وهو روح منه (كما الروح الذي نزل بالقرآن على قلب محمد)

سؤال خطير جدا: ما هو المسيح عيسى بن مريم إذن؟

جواب مفترى: هو كما القرآن

عيسى بن مريم = القرآن

تبعات هذا الظن

لعلي أجزم القول بأن تبعات مثل هذا الافتراء الذي هو من عند أنفسنا ستكون هائلة جدا. فدعنا نبدأ النقاش في هذا الموضوع من الآية الكريمة التالية:

- ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ۝١٧٢﴾ [النساء: 172]

فالربط هنا حاصل بين المسيح من جهة والملائكة المقربين من جهة أخرى على أنهم جميعا من عباد الله الذين لن يستنكفوا عن عبادته، وقد أخبرنا الله في كتابه الكريم ما سيكون لعباده المقربين (كالمسيح مثلا) في الآية الكريمة التالية:

- ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ۝٨٩﴾ [الواقعة: 88-89]

لنخلص إلى النتيجة البسيطة التي يصعب المجادلة فيها وهي أن الله قد أعدّ لعباده المقربين أشياء ثلاثة وهي:

1. روح فَرَوۡحٞ
2. ريحان وَرَيۡحَانٞ
3. جنة نعيم وَجَنَّتُ نَعِيمٖ

وأن الروح ملازمة لجنة النعيم، وأن خسران جنة النعيم يعني بالضرورة خسران الروح والريحان. ولكن كيف يكون ذلك؟

جواب: للإجابة على هذا التساؤل، لابد بداية (نحن نظن) من إثارة تساؤلات كثيرة نذكر منها:

⇐ كيف يمكن أن نفهم أنه سيكون لعباده المقربين روح؟
⇐ كيف يمكن أن نفهم أنه سيكون لعباده المقربين ريحان؟
⇐ كيف يمكن أن نفهم أنه سيكون لعباده المقربين جنة نعيم؟
⇐ وكيف تختلف هذه المكتسبات الثلاثة (الروح والريحان وجنة النعيم) عن بعضها البعض؟ فما معنى ذلك كله؟
⇐ وما علاقة هذا كله بالمسيح؟
⇐ ما علاقة هذا كله بالتنزيل الذي نزل به الروح الأمين على قلب محمد؟
⇐ الخ.

هذه هي التساؤلات التي سنحاول أن نضع بين يدي القارئ الكريم تصوراتنا المفتراة للإجابة عليها في هذا الجزء من المقالة.

أما بعد،

باب : الروح

إن طرحنا السابق (على ركاكته) يقودنا إلى إثارة تساؤلات عديدة تتعلق بالروح، نذكر منها:

⇐ ما هو الروح؟
⇐ ما هي النفس؟

⇐ وما الفرق بينهما؟

فإذا كان الله قد خلق آدم بيديه و صوره جسدا كاملا ثم سواه، فلماذا (نحن نتساءل) نفخ فيه من روحه بعد ذلك؟

- ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩﴾ [الحجر: 29]

بداية، نود أن نشير بأن موضوع الروح ربما يكون من أدق الأمور التي أُشكلت على العامة وأهل العلم ربما (نحن نظن) بسبب التصورات المجازية التي نسجوها من خيالهم حول ماهية الروح.، حتى أصبح من المتعذر على الإنسان العادي (من مثلي) أن يدخل في نقاش مع أهل العلم حول هذه الجزئية. ولمّا كان موقفنا المبدئي هو نفي المجاز جملة وتفصيلا عن كلام الله الحقيقي المقصود بذاته (انظر مقالة د. رشيد الجراح تحت عنوان: جدلية المجاز والحقيقة في القرآن الكريم)، سنقحم أنفسنا في هذه الجدلية الكبيرة جدا، لنحاول أن نبيّن (بحول الله وتوفيق منه) ماهية الروح بمفردات حقيقية يمكن أن توضع على طاولة النقاش لتكون مدار تمحيص وتدقيق. ولن نراوغ في الكلام كلما أعيتنا الحيلة عن تقديم الإجابة لكل سؤال يمكن أن يطرح، فنحن من أصحاب العقيدة التي مفادها أنه مادام أن هذا كلام من عند الله فلا بد أن يكون صحيحا مقنعا لكل ذي لب شريطة أن يكون الاستنباط الذي نفتريه من عند أنفسنا صحيحا. فكلام الله هو الحق بعينه، ونحن من نعجز عن توصيل مراده لأنفسنا ولغيرنا. فالعجز في قدراتنا على فهم كلام الله وليس في قدرة الإله على توصيل مراده. فسبيل الله بيّن لا لبس فيه، ونحن من يجب أن نطلب من الله أن يهدينا إلى نوره الذي أبى إلا أن يتمه ولو كره الكافرون الذين ما انفكوا يوما عن محاولاتهم اليائسة لإطفاء نور الله بأفواههم. ملفتين الأنظار في الوقت ذاته إلى عواقب مثل هذه الأفهام المفتراة من عند أنفسنا على العقيدة برمتها. سائلين الله وحده أن يهدينا رشدنا ، وأن يعلمنا الحق الذي نقوله فلا نفتري عليه الكذب، إنه هو الواسع العليم – آمين.

(دعاء: اللهم ربنا نسألك وحدك أن تنفذ أمرك بمشيئتك وإرادتك أن تهدينا إلى نورك الذي أبيت إلى أن تتمه ولو كره الكافرون

- آمين)

أما بعد،

بعد تفقد السياقات القرآنية على مساحة النص القرآني كله وجدنا أن مفردة "الروح" قد وردت في آيات قرآنية معرّفة بأداة التعريف (ال):

- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥﴾ [الإسراء: 85]
- ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ [المعارج: 4]
- ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ۝٣٨﴾ [النبأ: 38]

- ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾ [القدر: 4]
- ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾ [غافر: 15]

كما وجدنا أنها قد وردت غير معرفة "روح" في السياقات التالية:

- ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة: 89]
- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: 52]

وجاءت معرفة بالإضافة مثل (روحه – روحي - روح منه – روحنا - روح الله) في السياقات التالية:

- ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [السجدة: 9]
- ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر: 29]
- ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [ص: 72]
- ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء: 171]
- ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ [مريم: 17]
- ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنبياء: 91]
- ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم: 12]
- ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: 87]
- ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: 22]

وجاءت بصيغة "رَوْحِ اللَّهِ" (بفتح الراء) في الآية الكريمة التالية:

- ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾ [يوسف: 87]

وجاءت المفردة مقترنة بالقدس في الآيات التالية:

- ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ٨٧﴾ [البقرة: 87]
- ﴿۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ٢٥٣﴾ [البقرة: 253]
- ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١١٠﴾ [المائدة: 110]
- ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ١٠٢﴾ [النحل: 102]

وجاءت مقترنة بمفردة الأمين في الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣﴾ [الشعراء: 192-193]

السؤال: ما الاستنباطات التي يمكن أن نخرج بها من هذه السياقات القرآنية؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: بعيدا عن التفسيرات المجازية التي قدّمت في هذا الصدد والتي نظن أنها قلما تسمن أو تغني الباحث عن الحقيقة من جوع، نود أن نشير اعتمادا على الآيات السابقة فقط إلى نقاط مهمة جدا ستشكل الإطار النظري لبحثنا هذا، نذكر منها:

1- أن الروح كينونة
2- أن الروح كينونة واحدة متعددة و ليست واحدة منفردة، بمعنى أنها كيان كبير مكوّن من عدة كيانات فرعية
3- أن الروح كينونة منفصلة تماما عن الذات الإلهية و ليست جزء منه
4- أن الروح كينونة منفصلة عن الملائكة
5- أن الروح لا تخضع إلا لله وحده
6- أن الروح من أمر الله تعالى وحده
7- الخ.

الدليل

دعنا نبدأ البحث عن الدليل في الآية الكريمة التالية:

- ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ [النبأ: 38]

ربما لا يستطيع أحد – بعد قراءة هذه الآية الكريمة- مجادلتنا في أن الروح كينونة منفصلة تماما عن الذات الإلهية، وهي تختلف عن الملائكة، وذلك لأن الروح والملائكة سيقومون جميعا صفا، حيث لا يستطيع أحد منهم أن يتكلم إلا بعد الإذن الإلهي له بذلك، وإذا ما أذن الله له بالكلام فلن يقول إلا الصواب، أليس كذلك؟

نتيجة مهمة جدا: لعل من أهم الفروقات بين الفكر الإسلامي من هذا المنظور الذي نفتريه من عند أنفسنا والفكر المسيحي السائد مثلا هو أن الروح – كما نظن- كيان منفصل عن الذات الإلهية تماما (مثل الملائكة)، ويؤكد ظننا هذا ما جاء في الآيات الكريمة التالية:

- ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج: 4]
- ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾ [القدر: 4]

إن التصور بأن الروح كيان منفصل تماما عن الذات الإلهية يمكّننا أن نتصور كيفية عروج (أي صعود) الملائكة والروح في السماء ونزولهم منها. وهذا ما حصل بالضبط في حالة رسول رب مريم إليها (روحنا):

- ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ [مريم: 17]

ثانيا، نحن نظن أن من أولى نتائج الفصل بين الذات الإلهية والروح هو نفي الولد لله، فلقد وقع كثير من أهل الكتاب – في ظننا- في الفخ الذي نصبه له علماؤهم عندما نسبوا الولد لله وذلك لأنهم افترضوا أن الروح جزء من الذات الإلهية. فالظن بأن الروح جزء من الذات الإلهية يعزز نظرية أن يكون المسيح هو ولد الله:

- ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة: 30]

فهذا ليس إلاّ إفكهم الذي قاتلهم الله على قوله، لأنهم – لا شك- كاذبون:

- ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الصافات: 151-152]

موقفنا المبدئي: نحن نظن أنه على الرغم من محاولة أهل الفكر الإسلامي السائد مخالفة النصارى في ظنهم هذا، إلا أنهم وقعوا في الفخ نفسه، لأنهم (نحن نفتري القول) لم يستطيعوا أن يبتعدوا عن التفسيرات المجازية لقضية "الروح". فلقد امتلأت مكتبة التراث الإسلامي بآلاف الأطنان من المرويّات (وربما الخزعبلات) حتى وجدنا كبار علمائهم قد كتبوا مؤلفات (مثل كتاب الروح لابن القيم) يصفون بها الروح بأوصاف غريبة عجيبة ما أنزل الله (في رأينا) بها من سلطان. وإلى الذين سيشتاطون غضبا من كلامنا هذا دفاعا عن ما ألفوا عليه آباءهم، فإننا ندعوهم إلى التريث قليلا لمقارنة العلم الغزير الذي ورثوه في بطون تلك الكتب "القيّمة" مع الافتراءات التي سنسوقها من عند أنفسنا في هذا المجال، ونترك الحكم بيننا لمن أراد، منصاعين جميعا إلى قول الحق في الآيات الكريمة التالية:

- ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٥ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ۝٢٦﴾ [سبأ: 25-26]
- ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝١٥﴾ [الشورى: 15]

(دعاء: ربنا اجمع بيننا، ثم افتح بيننا بالحق، إنك أنت الفتاح العليم – آمين)

ثالثا، لا شك عندنا أن الروح كينونة منفصلة عن الملائكة، فهناك فرق جليّ بين الملائكة من جهة والروح من جهة أخرى، فكل واحد منهما منفرد منفصل ، كل له وظائفه وأوامره التي وكّل بها:

- ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ [المعارج: 4]
- ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ۝٣٨﴾ [النبأ: 38]
- ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤﴾ [القدر: 4]

رابعا، نحن نظن أنه بالرغم أن الروح هي كينونة منفصلة عن الذات الإلهية وهي منفصلة كذلك عن الملائكة، إلا أنها ليست كينونة جامدة، فهناك تقسيمات في هذه الكينونة نفسها، فهناك فرق – في ظننا- بين الروح وروح القدس والروح الأمين. فكل (نحن نفتري القول) منفصل بذاته، له من الصفات ما يميّزه عن غيره، و له من الوظائف ما يقوم به وحده دون غيره.

الدليل :

أولا، إن "الروح" بكليته من أمر الله:

- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥﴾ [الإسراء: 85]

(دعاء: اللهم أسألك أن تنفذ مشيئتك وإرادتك لي الإحاطة علما بالكثير من ذلك القليل، إنك أنت السميع العليم – آمين)

وانظر – إن شئت – في الآيات الكريمة التالية إن أردت أن تعلم ما هو أمر الله:

- ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٣٣﴾ [النحل: 33]
- ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ١٠١﴾ [هود: 101]
- ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ٧٦﴾ [هود: 76]
- ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥٠﴾ [الأعراف: 150]
- ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ٦٤﴾ [مريم: 64]

السؤال: ما هو أمر ربك؟

جواب: انظر الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٧٨﴾ [غافر: 78]

نتيجة خطيرة جدا جدا: يحصل القضاء بمجيء الأمر الإلهي (أي الروح)

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ٤٧﴾ [النساء: 47]
- ﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ٣٧﴾ [الأحزاب: 37]

- ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ٣٨﴾ [الأحزاب: 38]
- ﴿وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ١٠٦﴾ [التوبة: 106]
- ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ٤٣﴾ [هود: 43]
- ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣﴾ [هود: 73]
- ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ١١﴾ [الرعد: 11]
- ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ٢﴾ [النحل: 1-2]
- ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٧٨﴾ [غافر: 78]
- ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩﴾ [الحجرات: 9]
- ﴿يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ١٤﴾ [الحديد: 14]
- ﴿ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ٥﴾ [الطلاق: 5]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا خطيرة جدا: لكي تتحقق الأمور على الأرض (أي القضاء) فلابد أن يأتي (أو أن يجيء) أمر الله:

- ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣﴾ [يس: 82-83]

الاستنباط المفترى من عند أنفسنا: الروح هو الذي ينفّذ قول الله. فيصبح تنفيذ إرادة الله في واحدة من مشيئته متى ما صدر قوله فيه هو من أمر الله، ويقوم بتنفيذ ذلك القول على أرض الواقع الروح:

مشيئة ← إرادة ← قول = الأمر الإلهي (يتحقق بواسطة الروح)

(للتفصيل أنظر مقالة د. رشيد الجراح: مقالة في التسيير والتخيير)

ويكفينا هنا الربط بين القضاء وأمر الله (الروح)، لنزعم الظن مفترينه من عند أنفسنا بأن أمر الله (الروح) هو ضرورة لا بد منها لكي يحصل القضاء (أي تنفيذ قول الله على أرض الواقع). أما عن الكيفية فهذا ما سنحاول أن نتحدث عنه لاحقا إن شاء الله، سائلين الله وحده أن يعلمنا ما لم نكن نعلم، إنه هو العليم الحكيم – آمين.

ثانيا : نحن نظن (مفترين القول من عند أنفسنا) بأن روح القدس هو الموكّل بتأييد الأنبياء و الرسل في الأرض، ويظهر هذا جليا في حالة المسيح عيسى بن مريم على وجه الخصوص:

- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة: 87]
- ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: 253]
- ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ [المائدة: 110]

ووردت عبارة "روح القدس" مرة واحدة في سياق الحديث عن ما نزل على محمد (القرآن")

- ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: 103-102]

السؤال: ما هو روح القدس؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن روح القدس هو كينونة من "الروح" تتنزل في مكان محدد بعينه وهو "القدس". ومنه – نحن نظن- جاءت تسمية المدينة الواقعة في الأرض المباركة، أي مدينة القدس. فتلك هي المدينة التي ينزل بها "روح القدس". وهذا هو نفسه الذي كان "سريّا" لمريم عندما وضعت المسيح:

- ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾ [مريم: 24]

وهذا هو الذي كان حاضرا في النار عندما جاء موسى إليها في لقاء ربه الأول:

- ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨﴾ [النمل: 8]

(للتفصيل انظر مقالاتنا تحت عنوان: أين كانت جنة آدم؟ و أين حصلت مناداة الله نبيه موسى؟).
وسنعاود الحديث عن ذلك عندما يصل الحديث إلى نقطة الربط بين لمسيح وموسى.

وهذا هو الذي نزل "الكتاب" دفعة واحدة في ليلة الإسراء:

- ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ٦﴾ [النجم: 1-6]

فالكتاب نزل جملة واحده في تلك الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم:

- ﴿حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ٥﴾ [الدخان: 1-5]
- ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥﴾ [القدر: 1-5]

نتيجة مفتراة: روح القدس هو الذي أيد الرسل بالكتاب الذي نزل جملة واحدة

ثالثا : أما الروح الأمين، فهو الموكّل بالتنزيل الحكيم ، أي إيصال التنزيل الحكيم (الكتاب) على قلب الرسل:

- ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٩٦﴾ [الشعراء: 192-196]

فهو الذي جاء ليقرأ القرآن مفرقا على محمد ليتبعه:

- ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨﴾ [القيامة: 16-18]

نتيجة مفتراة: الروح الأمين هو الذي كان يقرأ على محمد ما كان في قلب محمد من الكتاب

تخيلات مفتراة: يحصل أن يسري الله بنبيه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليريه من آياته هناك:

- ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء: 1]

وفي تلك الليلة يهوي النجم:

- ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: 1-4]

فكانت تلك هي الليلة المباركة التي أنزل الله فيها الكتاب جملة واحدة ليؤيد به رسوله:

- ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥﴾ [الدخان: 1-5]

وكانت تلك هي ليلة القدر:

- ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥﴾ [القدر: 1-5]

فيأتي روح القدس حاملا ذلك الكتاب كله جملة واحدة:

- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ۝٣٢﴾ [الفرقان: 32]

فلو تدبرنا هذه الآية الكريمة لما وجدنا نفي إلهي من أن هذا القرآن قد نزل أصلا جملة واحدة بدليل قوله (كَذَٰلِكَ). ولكن النبي محمد يؤمر بأن لا يحرك لسانه بشيء منه حتى يقرأ عليه، فكان قرآنا مفرقا

- ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ۝١٨﴾ [القيامة: 16-18]

فيتوكل الروح الأمين بقراءته مفرقا ليتبع محمد ما قرء عليه شيئا فشيئا.

للتفصيل انظر سلسلة مقالات د. رشيد الجراح لماذا قدم نبي الله لوط بناته بدلا من ضيوفه؟ ابتداء من الجزء الحادي عشر)

رابعا، أما روح الله – روحنا – روح من عندنا – روح من أمرنا ، فنحن نظن أنها نسخ فرعية متعددة من الروح الكلية، فهي عدة كيانات تشكل في النهاية ما يسمى بالروح. فمردة الروح هي في ظننا تدل على الجمع والمفرد. فالملائكة والروح ستقوم جميعا صفا صفا لأنها جمع (أكثر من واحد):

- ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ۝٣٨﴾ [النبأ: 38]
- ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤﴾ [المعارج: 4]

- ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾ [القدر: 4]

بينما من أرسله الله إلى مريم فقد كان روحا واحدا (مفرد):

- ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ [مريم: 17]

وكذلك كان الروح الذي أرسله الله إلى نبينا:

- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: 52]

الدليل

فهذا يعقوب النبي يطلب من أبناءه أن يذهبوا إلى أرض مصر ليتحسسوا فيها من يوسف، طالبا منهم في الوقت ذاته أن لا ييأسوا من رَوح الله (بفتح الراء):

- ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: 87]

السؤال : كيف سيتحسس أخوة يوسف من يوسف ومن أخيه؟ ولماذا طلب منهم أبوهم يعقوب أن لا ييأسوا من رَوح الله؟ ولِم لَم يطلب منهم أن لا ييأسوا من الله نفسه؟ ولم لم يطلب منهم أن لا ييأسوا من رحمة الله مثلا كما في الآية الكريمة التالية؟

- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [العنكبوت: 23]

السؤال الدقيق: ما الرسالة التي أوصلها يعقوب لبنيه عندما طلب منهم أن لا ييأسوا من رَوح الله على وجه التحديد؟

رأينا المفترى: نحن نؤمن أن يعقوب صاحب علم يفوق علم أبناءه الحاضرين عنده جميعا:

- ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [يوسف: 86]

لذا، كان يريد يعقوب النبي (نحن نظن) أن يجلب انتباه من كان حاضرا عنده من أبناءه هناك إلى قضية غاية في الأهمية وهي قضية تواجد الوحي في أرض مصر، فيعقوب يعلم يقينا أن يوسف لازال على قيد الحياة، وما كان سيطلب من أبناءه أن يتحسسوا من يوسف لولا يقينه بأن الذئب لم يأكله:

- ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾ [يوسف: 18]
- ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾ [يوسف: 87]

وهو يعلم – بعد كل سنوات الغياب هذه- بأن يوسف قد بلغ أشده واستوى، وأن الله قد آتاه حكما وعلما:

- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ [يوسف: 22-23]

لأنه يعلم يقينا أن يوسف هو من اجتباه ربه ليتم نعمته عليه:

- ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦﴾ [يوسف: 6]

لذا، فإن يوسف قد وصل الآن إلى السن الذي أصبح فيه مؤهلا لنزول روح من الله عليه لتأييده كرسول:

- ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ٣٤﴾ [غافر: 34]

فأرض مصر الآن (إن كان يوسف موجود فيها – يعتقد يعقوب جازما) مؤهلة لأن تكون بركات السماء قد غطتها بنزول الروح على يوسف الذي يعيش فيها.

ومما لا شك فيه عندنا أن أخوة يوسف هم أبناء بيت النبوة (إبراهيم- إسحق- يعقوب) فهم - بلا شك- لن يخطئوا أن يتحسسوا من يوسف بمتابعة روح الله هناك، فهبطوا أرض مصر غير آيسين من رَوح الله (وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ) فوجدوا يوسف حيث تحلق تلك الروح:

- ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ٨٨ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ٨٩ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١﴾ [يوسف: 88-91]

(للتفصيل انظر مقالة د. رشيد الجراح: تحت عنوان قصة يوسف)

السؤال: إذا كانت روح من الله يحلق هناك تأييدا ليوسف تأييدا له في مصر، فهل يمكن أن نقول بأنه هو الروح الكامل التي هي من أمر الله؟

جواب: كلا، لأن ما كان في أرض مصر (كما جاء في خطاب يعقوب لبنيه) هي روح من الله وليست كل الروح. وانظر – إن شئت- الآية الكريمة نفسها:

- ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٨٧﴾ [يوسف: 87]

السؤال: ما الفرق بين "الروح" و "روح من الله" أو "روح منه"؟

رأينا: لو عدنا إلى قصة الخلق الأول لوجدنا أنه عندما خلق الله آدم، مثلا، لم ينفخ فيه الروح كله، وإنما نفخ فيه "من روحه"، وانظر – إن شئت- السياقات القرآنية الخاصة بالنفخ بآدم جميعها:

- ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩﴾ [الحجر: 29]
- ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩﴾ [السجدة: 9]
- ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٧٢﴾ [ص: 72]

وهذا الكلام المفترى من عند أنفسنا يقودنا على الفور إلى المفارقة الهائلة والغريبة جدا جدا التالية:
انظر - عزيزي القارئ- في الذي حصل في حالة المسيح عيسى بن مريم وحاول أن تقرأ ذلك على الحقيقة (بعيدا عن التحليق في سماء المجازات). ففي حين أن الله قد أرسل إلى مريم الروح (مفرد) كاملا:

- ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ۝١٧﴾ [مريم: 17]

إلا أن النفخ فيها كان من تلك الروح:

- ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝٩١﴾ [الأنبياء: 91]

السؤال: لماذا؟ وكيف حصل ذلك؟

رأينا: عندما أرسل الله إلى مريم روحه كاملا، كانت النتيجة أن تمثل ذلك الروح لها بشرا سويا، أليس كذلك؟

- ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ۝١٧﴾ [مريم: 17]

نتيجة: الروح (رسول الله إلى مريم لديه القدرة على التمثل – أي التشكل كيفما يشاء)، ربما لهذا شاهدت مريم بأم عينها الروح بشرا سويا، فجاء قولها له على النحو التالي:

- ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨﴾ [مريم: 18]

فرد عليها قائلا:

- ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩﴾ [مريم: 19]

نتيجة: كان ذلك الروح كينونة كاملة استطاعت مريم أن تشاهده بأم عينها عندما تمثل لها بشرا سويا، ولكنها لم تخفي خشيتها بأن يكون (ذلك) تقيا.

السؤال: كيف تخشى مريم أن يكون ما تشاهده (بأم عينها بشرا سويا) تقيا؟

- ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨﴾ [مريم: 17-18]

الفكر السائد: غالبا ما ظنّ الناس أن مفردة "تقيا" التي ترد في هذه الآية الكريمة مشتقة من "التقوى-العبادة"، وانظر – إن شئت- فيما جاءنا في الطبري من عند أهل الدراية:

القول في تأويل قوله تعالى : { قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا } يقول تعالى ذكره : فخافت مريم رسولنا , إذ تمثل لها بشرا سويا , وظنته رجلا يريدها على نفسها . 17769 - حدثنا القاسم , قال : ثنا الحسين , قال : ثني حجاج , عن ابن جريج , قوله { إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا } قال : خشيت أن يكون إنما يريدها على نفسها . 17770 - حدثنا موسى , قال : ثنا عمرو , قال : ثنا أسباط , عن السدي { فتمثل لها بشرا سويا } فلما رأته فزعت منه وقال : { إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا } فقالت : إني أعوذ أيها الرجل بالرحمن منك , تقول : أستجير بالرحمن منك أن تنال مني ما حرمه عليك إن كنت ذا تقوى له تتقي محارمه , وتجتنب معاصيه ; لأن من كان لله تقيا , فإنه يجتنب ذلك . ولو وجه ذلك إلى أنها عنت : إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تتقي الله في استجارتي واستعاذتي به منك كان وجها . كما : 17771 - حدثنا ابن حميد , قال : ثنا سلمة , عن ابن إسحاق , عمن لا يتهم , عن وهب بن منبه { قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا } ولا ترى إلا أنه رجل من بني آدم . 17772 - حدثنا أبو كريب , قال : ثنا أبو بكر , عن عاصم , قال : قال ابن زيد : وذكر قصص مريم فقال : قد علمت أن التقي ذو نهية حين قالت : { إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا قال إنما أنا رسول ربك }

رأينا المفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن ما جاء في الطبري (انظر ما وضعنا تحته خط) لا يصح إطلاقا لأنه لو كان الأمر على هذه الشاكلة، فسيثور السؤال التالي على الفور: لم تستعيذ مريم بربها منه إن كان ذا تقوى (كما ظنوا)؟ وهل يمكن لبشر صاحب تقوى أن يعتدي على من كانت في المحراب؟ من يدري؟!!!

السؤال: لماذا استعاذت منه مريم إذن؟ يسأل صاحبنا

رأينا المفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن مفردة "تقيا" في هذه الآية الكريمة ليست مشتقة من "التقوى" بمعنى اجتناب المعاصي كما زعموا، ولكنها مشتقة – في ظننا- من "التقوى" التي تعني محاولة إخفاء العبادة لتكون خالصة لوجه الله فلا يشيبها الرياء، وبكلمات أكثر دقة نقول أن مفردة "تقيا" في الآية الكريمة السابقة مشتقة من التقوى المشتقة أصلا من "التقاة" (أي التخفي). وانظر – إن شئت- قوله تعالى في الآيات الكريمة التالية:

- ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران: 28]
- ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ [المزمل: 17]
- ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [النحل: 81]

فمريم – نحن نظن- تخشى أن يكون هذا الذي تمثل لها بشرا سويا تقيا، أي بمعنى (نحن نزعم) أن لديه القدرة على التخفي عن الآخرين، فلا يستطيعون أن يرونه بأم أعينهم، أي يستطيع أن يخفي نفسه عن الناظرين باستثناء من أراد هو (الروح) أن يبين له. ولكن لماذا؟ وكيف يستقيم ذلك؟

رأينا: لو عدنا إلى المكان الذي جاء الروح (رسول رب مريم) إليها لوجدنا أنه الحجاب، أليس كذلك؟

- ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ [مريم: 17]

فكان ذلك الحجاب – برأينا- هو بمثابة المكان الذي تنام فيه مريم، ولا شك عندنا أن هذا المكان كان محصّنا بطريقة يصعب على من كان من "البشر العاديين" أن يدخله دون أن يراه الآخرون لأن المكان يقع (نحن نتخيل) دون المحراب الذي كانت تقيم فيه مريم قنوتها وسجودها وركوعها مع الراكعين:

- ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران: 43]

فالمحراب هو المكان الذي كان يأتيها فيه رزق ربه، وهو المكان الذي كان يدخل عليها زكريا فيه:

- ﴿... كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: 37]

السؤال: إذا كان هذا هو المحراب، فما الحجاب؟ وكيف يختلف المحراب عن الحجاب؟

جواب: من أجل محاولتنا الإجابة على هذا السؤال، وجدنا الضرورة تستدعي طرح التساؤل التالي: لماذا ارتبكت مريم عندما رأت بشرا سويا في حجابها؟

جواب: لأن مريم لم تعتاد أن ترى في حجابها بشرا، فأصبتها الدهشة وربما الخوف من وجوده هناك، فاستعاذت بالرحمن منه إن كان تقيا:

- ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾ [مريم: 18]

ونحن نظن أن السبب ربما يعود لظن مريم حينئذ أنه من الاستحالة بمكان "البشر عادي" أن يدخل ذلك الحجاب دون أن يمر بالمحراب، وهي على يقين أنه لا يمكن لبشر عادي أن يدخل إلى ذلك المكان (أي حجابها) دون أن يمر بالآخرين فيرونه بأم أعينهم، ليكون تساؤل مريم وحيرتها حينها نابعا من التصور التالي: كيف استطاع من هو في هيئة بشر سويا أن يدخل عليها إلى هناك "إلا إن كان تقيا"، أي يستطيع أن يخفي نفسه عن الناظرين؟ فكيف حصل ذلك؟

تخيلات من عند أنفسنا: تتخذ مريم من دون قومها حجابا بعد أن انتبذت منهم مكانا شرقيا:

- ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ [مريم: 16-17]

فيصبح لزاما على من أراد أن يصل إليها هناك أن يمر بقومها، واعتادت مريم أن يدخل عليها زكريا في محرابها، ولكنها لم تكن معتادة دخول أحد عليها في حجابها، لذا وجبت المناداة على النساء من وراء حجاب:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ [الأحزاب: 53]

وفي لحظة ما، لا تسمع مريم نداء من وراء حجاب مادام أنه قد اتخذت حجابا، ولكنها ترى مريم بأم عينها بشرا سويا قائما في حجابها الذي اتخذته من دون قومها، فيحدث ذلك الدهشة والخوف عند مريم، فكانت بمثابة المفاجأة التي لا تستطيع أن تسكت عليها، فما كانت ردة فعلها إلا على النحو التالي:

- ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨﴾ [مريم: 18]

السؤال: لماذا لجأت مريم إلى ربها لتستعيذ به ممن تراه بشرا سويا في محرابها؟ لِم لم تطلب النجدة من قومها؟ لم لم تحاول أن تنادى على قومها ليخلصوها من هذا الذي وجدته متمثلا لها بشرا سويا في حجابها؟ الخ.

جواب: نحن نظن أن مريم كانت شبه متيقنة بأن من تراه بشرا سويا في حجابها هو "تقيا" لأنه استطاع النفاذ إلى هذا المكان دون أن يراه أحد. فتكون ردة فعلها على نحو أن تستعيذ بالرحمن منه إن كان تقيا، لأنه لو لم يكن تقيا (أي يستطيع أن يخفي نفسه عن الأنظار) لما ترددت مريم (نحن نظن) من المناداة على قومها، ليصدوه عنها، لكنها لما شكّت بأن هذا الذي تمثل لها بشرا سويا هو تقيا (أي يستطيع أن يخفي نفسه عن الناظرين) لا يمكن لأحد أن يصده عنها إلا الرحمن، فلجأت مباشرة إلى ربها لتستعيذ به من هذا الذي يقف أمامها بشرا سويا في حجابها:

- ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨﴾ [مريم: 17-18]

ولو أمعنا التفكر في العلاقة بين مريم وأهل السماء لوجدنا أن مريم كانت قد اعتادت أن تجد أهل السماء يحضرون لها رزقها في المحراب:

- ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٧﴾ [آل عمران: 37]

ولكن الذي ربما يصعب المجادلة فيه أن من كان يحضر لها الرزق من السماء هم الملائكة، لأنهم هم من نادوا زكريا وهو قائم يصلي في المحراب ليزفوا له البشرى بيحيى:

- ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩﴾ [آل عمران: 39]

فالملائكة لم تكن تتعدى حدود المحراب. لذا نحن نستبعد أن تظن مريم أن من دخل عليها الحجاب وتمثل لها بشرا سويا هو أحد من الملائكة. فمن يكون – يا ترى؟

جواب: لا يستطيع القيام بذلك إلا "الروح":

- ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤﴾ [القدر: 4]
- ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ٤﴾ [المعارج: 4]

نتيجة مهمة جدا: يستطيع الروح أن يصل إلى مكان لا تصله الملائكة. فعندما تعرج الملائكة إلى الله تصل إلى حد معين لا تستطيع أن تتجاوزه ولكن الروح يستطيع أن يقترب من الذات الإلهية أكثر، انظر ترتيب المفردات:

- ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ٤﴾ [المعارج: 4]

وبالمنطق نفسه، نحن نفتري القول أنه عندما كانت الملائكة تتنزل على مريم كانت تصل إلى محرابها وهناك يكون الحد الذي لا تستطيع الملائكة أن تتجاوزه، ولكن الروح يستطيع أن يتعدى ذلك ليصل إليها من وراء الحجاب، ولو راقبنا الآية الكريمة التالية لوجدنا أن الرسول الذي يوحي بإذن الله (وهو الذي نظن أنه الروح) يستطيع أن يتجاوز الحجاب:

- ﴿۞وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ٥١﴾ [الشورى: 51]

تلخيص ما سبق: كان الله هو من أرسل إلى مريم روحه كاملا:

- ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧﴾ [مريم: 17]

فكان ذلك الروح هو رسول ربها إليها:

- ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩﴾ [مريم: 19]

فكان ذلك الرسول يستطيع أن يتمثل (أي تشكل)، فتمثل لمريم بشرا سويا

- ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧﴾ [مريم: 17]

كما كان يستطيع أن يكون تقيا (أي يخفي نفسه عن الناظرين، فلا يراه إلا من أرسل إليه):

- ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨﴾ [مريم: 18]

فما أبدت مريم مقاومة لأنها أيقنت أن الأمر خارج عن نطاق سيطرت أحد من البشر مادام أن الله قد جعله أمرا مقضيا:

- ﴿قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٧﴾ [آل عمران: 47]

- ﴿قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ٢١﴾ [مريم: 20-21]

السؤال الكبير جدا: كيف كان المسيح أمرا مقضيا؟

رأينا: للإجابة على هذا السؤال لابد من إثارة التساؤل التالي: كيف وهب رسول رب مريم (وهو الروح) لها غلاما زكيا؟ أي كيف كانت آلية ذاك "الوهب"؟

جواب مفترى من عند أنفسنا ندعوكم أن لا تصدقوه إذا لم تجدوا الدليل من كتاب الله يثبته: لقد دخل شيء من ذاك الروح (الذي تمثل لها بشرا سويا) في فرج مريم بطريقة النفخ:

- ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾ [الأنبياء: 91]
- ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢﴾ [التحريم: 12]

السؤال: وكيف حصل ذلك؟

تخيلات من عند أنفسنا: أرسل الله روحه كاملا إلى مريم (فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا)، فتمثّل لها في حجابها الذي اتخذته من دون قومها بشرا سويا (فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا). استغربت مريم أن يصل بشرا إلى هذا المكان، فاستعاذت بالرحمن منه إن كان تقيا، أي لا يستطيع الآخرون رؤيته (قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا). هدأ الروح من خوف مريم بأن أخبرها بهويته على أنه رسول ربها (قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ)، وأن مهمته تكمن في أن يهب لها غلاما زكيا (لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا)، استغربت مريم أن يكون لها غلام ولم يمسسها بشر ولم تكن بغيا (قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا)، فأكد لها رسول ربها بأنه كذلك (قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ)، أي سيكون له غلاما زكيا دون أن يمسسها بشر، وأن هذا هين على ربها (كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ). فكيف حصل ذلك.

جواب: كان المسيح أمرا مقضيا (وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا)، وأنظر- إن شئت- السياق القرآني كاملا:

- ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ٢١﴾ [مريم: 17-21]

السؤال: وكيف تم ذلك؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا الذي نطلب من القارئ الكريم أن لا يصدقه ما لم يجد أن الدليل من كتاب الله يثبته: نحن نفتري القول أن ذلك حصل عندما انفصل جزء من الروح (المتمثل لها بشرا سويا)، وتحرك بطريقة النفخ (كحركة الدخان الذي يتصاعد من النار)، ودخل ذلك الجزء المنفصل عن الروح في فرج مريم حاملا معه ذاك التراب الذي مسح عليه الرب بنفسه (المسيح)، فأصبح بعد ذلك المسيح عيسى بن مريم - رسول الله- كلمته التي ألقاها إلى مريم وروح منه:

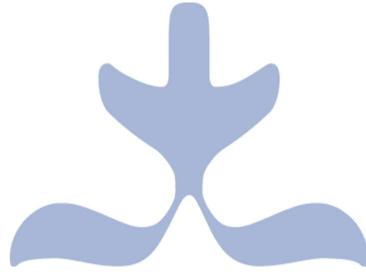
- ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾ [النساء: 171]

فأصبح في المسيح شيء من روح الله، استطاع من خلاله أن ينفذ مراده بما لم يقدر عليه سواه من البشر:

- ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٤٩﴾ [آل عمران: 49]

وللحديث بقية

المدّكرون: رشيد سليم الجراح & محمد عبد العزيز السيسي & علي محمود سالم الشرمان
بقلم: د. رشيد الجراح & م. محمد السيسي
27 آذار 2014



نظرية الأمانة

الجزء الثالث



نظرية الأمانة: الجزء الثالث

حاولنا في الجزء السابق بعد قراءتنا للآيات الكريمة التالية:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ١٣﴾ [الحجرات: 13]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ٥﴾ [الحج: 5]

أن نخرج بالافتراءات التالية التي هي لا شك من عند أنفسنا:

1. لم يكن عيسى ابن مريم من الناس لأن خلق الناس جاء من ذكر وأنثى (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ) وهذا الشرط لم يتحقق في حالة المسيح بن مريم

2. عيسى بن مريم لم يكن من الناس لأن خلقه من تراب لم ينتقل إلى مرحلة النطفة فالعلقة فالمضغة كما في خلق الناس أجمعين (ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ). وهذا الشرط لم يتحقق في حالة المسيح بن مريم أيضا.

كما افترينا الظن بعد قراءتنا للآية الكريمة التالية:

- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ٨٥﴾ [الإسراء: 85]

بأن الروح كينونة منفصلة عن الذات الإلهية، تجمع وتفرد على نفس اللفظ (روح)، فالروح قد يكون كينونة واحد، وقد يكون أكثر من واحد، والروح (سواء كان مفردا أم متعدد) هو الموكّل بتنفيذ قول الله أمرا مقضيا:

- ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧﴾ [البقرة: 117]

فلكي يتحقق المراد الإلهي فلابد أن يريد الله واحدة من بين الخيارات المتاحة (أي المشيئة)، فيصدر قوله في تنفيذ ذلك الخيار:

- ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس: 82]

وهنا تأتي مهمة الروح (تلك الكينونة التي هي من أمر الله) لينفذ قول الله ليكون أمرا مقضيا.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نتجرأ على الظن بأن الروح هو الموكل بتنفيذ قول الله ليكون أمرا مقضيا، كما نتجرأ على الظن بأن الروح لديه الاستطاعة على التشكل (أي أن يركب نفسه في أي صورة شاء) ولديه الاستطاعة على التقية (أي التخفي عن أعين الناظرين).

الدليل

ها هو (أي الروح) يأتي مريم رسولا من ربها:

- ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ١٩﴾ [مريم: 19]

وقد تمثل لها (أي تشكل بالصورة) بشرا سويا في حجابها:

- ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ١٧﴾ [مريم: 17]

فما كان رد مريم أكثر من الاستعاذة بالله منه إن كان تقيا (أي لا يستطيع غيرها أن يراه):

- ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ١٨﴾ [مريم: 18]

نتيجة مفتراة (1): الروح هو رسول من رب العالمين
نتيجة مفتراة (2): الروح يستطيع أن يتمثّل (أي يظهر بأي صورة يشاء)
نتيجة مفتراة (3): الروح يكون تقيا (أي يستطيع التخفي عن الآخرين)
نتيجة (4): الروح يمكن أن يكون أكثر من واحد، أي يمكن أن يأتي كمجموعة (كأن يكون مجموعة من الرسل مثلا.

الدليل

ها هم رسل ربك يأتون إبراهيم بالبشرى:

- ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ٦٩﴾ [هود: 69]

وهم الذين أرسلوا إلى قوم لوط لينزلوا بهم العذاب:

- ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٣١﴾ [البقرة: 31]

- ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ۝٥٧ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ۝٥٨ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٩ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ۝٦٠﴾ [الحجر: 57-60]

فما كان من إبراهيم إلا أن ينكرهم (أي لا يستطيع أن يتعرف على هويتهم الحقيقية):

- ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۝٧٠﴾ [هود: 70]

وكذلك فعل لوط عندما جاءوه:

- ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ۝٦١ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ۝٦٢﴾ [الحجر: 61-62]

وما أن أخذ إبراهيم يجادل رسل ربه في قوم لوط:

- ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ۝٧٤﴾ [هود: 74]

جاء الرد الإلهي الحاسم على النحو التالي:

- ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۖ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ۝٧٦﴾ [هود: 76]

السؤال: ما معنى أن أمر رب إبراهيم قد جاء في تلك اللحظة؟

جواب مفترى خطير جدا: نحن نظن أن أولئك الرسل الذين جاءوا لتنفيذ قول الله في عذاب قوم لوط هم الروح الذي هو من أمر ربنا، فتمثلوا لإبراهيم في الشكل والطلعة على أنهم قوم (أي مجموعة من الرجال)، وكذلك فعلوا عندما جاءوا لوطا بدليل أن لوطا قد أنكرهم كذلك (أي لم يستطع التعرف على شخصيتهم الحقيقية). لذا، عمد إبراهيم عندما راءهم على تلك الهيئة التي تمثلوا بها والعدد إلى أن يقدم لهم عجلا حنيذ:

- ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۝٦٩﴾ [هود: 69]

لذا نحن نظن أن عددهم كان كثيرا، بدليل أن إبراهيم قد قرب إليهم عجلا سمينا:

- ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۝٢٦﴾ [الذاريات: 26]

ولكن لما رأى أيديهم لا تصل إلى الطعام، عندها فقط نكرهم إبراهيم وأوجس منهم خيفة، لأنه – في ظننا- قد أدرك حينها أنهم متمثلين له على أنهم قوم وهو في الحقيقية ليسوا كذلك، وهناك هدئوا من روعه، وبشروه بالغلام، وبالمهمة التي أرسلوا بها:

- ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ٧٠﴾ [هود: 70]

وانظر – إن شئت- في السياق الأوسع:

- ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٢٧ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ٢٨﴾ [الذاريات: 24-28]

وعندما وصلوا إلى قوم لوط، نكرهم لوط كذلك:

- ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٦١ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٦٢﴾ [الحجر: 61-62]

ولكن ما يهمنا هنا هو أنهم أخبروا لوطا بقدرتهم على التقية (أي التخفي عن أعين الناظرين) إلا من أرادوا هم أن يطلع عليهم كـ إبراهيم وامرأته التي كانت قائمة وكـ لوط"، بدليل أنه عندما ضاق لوط ذرعا بهم خوفا مما سيفعله قومه المجرمون بهؤلاء الرسل:

- ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗاۖ وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٣﴾ [العنكبوت: 33]

هدئوا من روعه وأخبروه بأن قومه لن يصلوا إليهم:

- ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ٨١﴾ [هود: 81]

لأن أعين القوم المجرمين قد طمست:

- ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ٣٤ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ٣٥ وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ ٣٦ وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ٣٧﴾ [القمر: 34-37]

فلا يستطيع القوم المجرمون رؤية هؤلاء الرسل لأنهم ببساطة – نحن نظن- كانوا تقيا، كما صورت مريم أمر ربها (الروح) الذي جاءها في محرابه، فكذلك كان هؤلاء الرسل (تقيا).

- ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨﴾ [مريم: 18]

تخيلات: نحن نتخيل (مفترين الظن من عند أنفسنا) أن الروح هو كينونة منفصلة عن الذات الإلهية، يستطيع التمثّل (أي التشكل بصور مختلفة) كما يستطيع التخفي عن أعين الناظرين (تقيا) إلا عن

أعين من أراد هو أن يراه، وقد يأتي على شكل مفرد (روح واحد كالذي جاء مريم) أو روح متعددة (كالذين جاءوا إبراهيم ولوطا)، وتكمن مهمة الروح (بغض النظر عن الهيئة والعدد) في تنفيذ قول الله على أرض الواقع ليكون أمرا مقضيا:

- ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝١١٧﴾ [البقرة: 117]

وهذا ينفي بكل تأكيد القول المفترى على الله كذبا باتخاذه الولد (كما زعمت النصارى):

- ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ [الكهف: 4-5]

لأن الذي نُفِخ في مريم هو جزء من الروح (وليس جزءا من الذات الإلهية)، وهو الذي تمثل لها بشرا سويا، فكان المسيح أمرا مقضيا

- ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٧﴾ [آل عمران: 47]
- ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٣٥﴾ [مريم: 35]

وسنتابع في هذا الجزء من المقالة الحديث عن ماهية خلق المسيح عيسى بن مريم، محاولين بعد ذلك بحول الله وتوفيق منه ربط هذا القضية بمسألة الروح الذي هو من أمر الله. فالله وحده نسأل أن يأذن لنا بعلم لا ينبغي لغيرنا، إنه هو السميع المجيب - آمين.

أما بعد،

يصف الله تعالى في موطن آخر من كتابه الكريم حمل الإنسان في بطن أمه على النحو التالي:

- ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۝١٤﴾ [لقمان: 14]
- ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٥﴾ [الأحقاف: 15]

لذا، لم يكن (نحن نظن) المسيح عيسى بن مريم إنسانا، فهو لم يمر – برأينا- بتلك المراحل (الوهن)، وإلا لمر خلق المسيح في بطن أمه خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث كما تصور ذلك الآية الكريمة التالية:

- ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٦﴾ [الزمر: 6]

ولمر المسيح بمراحل الخلق (تراب- نطفة- علقة- مضغة- خلقا آخر) التي مر بها الناس أجمعون كما تصور ذلك الآية الكريمة التالية

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى... ۝٥﴾ [الحج: 5]

ولخرج (نحن نظن) المسيح من بطن أمه طفلا (وليس غلاما) كما تصور ذلك تتمة الآية الكريمة السابقة:

- ﴿... ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٥﴾ [الحج: 5]

ولو حصل هذا في حالة المسيح وهو ما يهمنا الآن في النقاش، لخرج المسيح من بطن أمه لا يعلم شيئا كما يحصل مع كل من كان من الناس:

- ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٨﴾ [النحل: 78]

بالرغم أن ربنا قد أخذ منا (نحن الناس جميعا) العهد بأنه ربنا عندما كنا لازلنا ذرية في ظهور آباءنا:

- ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ۝١٧٢﴾ [الأعراف: 172]

لذا، نحن ننفي جملة وتفصيلا أن يكون المسيح قد مرّ خلقه بهذه المراحل السابقة جميعا، وذلك لأنه خرج من بطن أمه يشهد لربه بالعبادة منذ اللحظة الأولى:

- ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۝٣٢ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۝٣٣ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٣٤﴾ [مريم: 30-34]

وكان يستطيع القيام بالمهام التالية:

- ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [آل عمران: 45-49]

وكان مؤيدا بروح القدس:

- ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ [المائدة: 110]

تساؤلات:

⇐ كيف خرج المسيح من بطن أمه يتحدث منذ يومه الأول؟
⇐ وكيف استطاع المسيح أن يحيي الموتى بإذن الله؟
⇐ وكيف كان يشفي الأكمه والأبرص بإذن الله؟
⇐ وكيف كان ينبئ من حوله بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم؟
⇐ الخ.

جواب مفترى: كان المسيح يستطيع القيام بكل ذلك لأن فيه من روح الله. (الرسول الذي جاء أمه ليهب لها غلاما زكيا). فالمسيح – نحن نظن- كان يستطيع القيام بذلك بما كان يملك في داخله من ذلك الروح. ومَثَل المسيح في ذلك – نحن نعتقد- كمثل آدم قبل المعصية:

- ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: 59]

فلقد كان في آدم من روح الله، جاءه بطريقة النفخ المباشر:

- ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [ص: 71-72]

تخيلات: نحن نتخيل أن الذي حصل في خلق آدم كان على النحو التالي: يأتي القرار الإلهي باستخلاف بشرا في الأرض، فيخبر الملائكة بمشيئته تلك:

- ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ...٣٠﴾ [البقرة: 30]

فتبدي الملائكة عدم سرورها التام بـ (أو لنقل الدهشة والاستغراب من) تلك المشيئة الربانية، فيأتي الاحتجاج على شكل تساؤل، وانظر – إن شئت- في تتمة الآية الكريمة السابقة:

- ﴿... قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ ... ٣٠﴾ [البقرة: 30]

لكن الله كان أعلم من الملائكة بما ستؤول إليه الأحداث. وانظر – إن شئت- في تتمة الآية نفسها:

- ﴿...قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [البقرة: 30]

فيخلق الله ذلك المخلوق من الطين:

- ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ٧١﴾ [ص: 71]

ويشكله من الصلصال من الحمأ المسنون:

- ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٢٨﴾ [الحجر: 28]

وما أن ينتهي من المرحلة الأولى حتى ينتقل إلى المرحلة الثانية وهي التسوية التي ظننا أنها إدخال النفس في ذلك المخلوق، فأصبح آدم مخلوقا فيه نفس، وهذا كما زعمنا في المقالة السابقة هي المرحلة الأخطر التي تميّز الله الذي هو أحسن الخالقين عن غيره من الخالقين كعيسى بن مريم مثلا:

- ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ٧١ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ ... ٧٢﴾ [ص: 71-72]

وما أن يفرغ الإله من تسوية ذلك المخلوق، حتى ينتقل إلى المرحلة الثالثة (وهي مدار بحثنا هنا) وهي مرحلة النفخ في آدم:

- ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٢٩﴾ [الحجر: 29]

وهنا نتوقف قليلا لندقق في المفردات كما وردت بالنص القرآني، لنسأل: ألا ترى - عزيزي القارئ – أن النفخ كان من روح الله (وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي)؟ فكيف تم ذلك؟

تخيلات: نحن نتخيل أن ذلك المخلوق آدم قد كان مسوّى قبل النفخ، وما أن يعمد الإله للنفخ فيه حتى يكون الروح (الذي هو من أمر الله) حاضرا هناك، بالضبط كما حضر عند خلق المسيح في بطن أمه مريم. فيحصل النفخ بأن يدخل شيء من ذلك الروح في ذلك المخلوق المسوّى (آدم)، عندها تدب الحياة (الحرارة) في ذلك الجسم المسوّى، فيتحرك ذلك الجسم حيا، وهناك كان المطلوب من الملائكة جميعا أن يسجدوا لهذا المخلوق الجديد:

- ﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ٣٠﴾ [الحجر: 30]

وما تخلف عن الركب إلا واحد وهو إبليس، وانظر في تتمة السياق القرآني السابق:

- ﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ٣٠ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٣١﴾ [الحجر: 30-31]

نتيجة (2) سنحتاج لها لاحقا بحول الله وتوفيقه: كان المأمورون بالسجود لآدم هم الملائكة وليس الملك
نتيجة (2) كان المأمورون بالسجود هم الملائكة فقط وليس الروح
نتيجة (3) كان إبليس هو من رفض السجود.

السؤال: هل كان إبليس من الملائكة؟

جواب: هذا ما سنتحدث عنه لاحقا بحول الله وتوفيقه، فالله اسأل أن يعلمني ما لم أكن أعلم – إنه هو السميع العليم – آمين.

أما ما يهمنا الحديث عنه هنا فهو قضية النفخ من روح الله، لنفتري الظن بأنه ما أن تم النفخ في آدم من روح الله حتى كان آدم مؤهلا أن يسكن في الجنة، فكانت حياته كلها رغدا:

- ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾ [البقرة: 35]

فما كان يحتاج آدم (نحن نظن) أن يصلّي أو أن يصوم، أن يزكي أو أن يحج، أو أن يقوم بشيء من الشعائر التي تقربه إلى ربه، وذلك لأنه كان أصلا من المقربين:

- ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ٨٩﴾ [الواقعة: 88-89]

وكذلك كان المسيح عيسى بن مريم من المقربين:

- ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٥﴾ [آل عمران: 45]
- ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢﴾ [النساء: 172]

فكانت حياة المسيح – في ظننا- هي روح وريحان وجنة نعيم. فما كان يحتاج المسيح أن يقوم بالشعائر التي تقربه إلى الله مادام أنه من المقربين، لذا جاءت المقاربة في التشبيه بين المسيح وآدم في الآية الكريمة:

- ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾ [آل عمران: 59]

ولكن بدأ الاختلاف يظهر بين الاثنين (عيسى وآدم) عندما تقبل آدم وسوسة الشيطان له ولزوجه، فنسي العهد الأول:

- ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ١١٥﴾ [طه: 115]

وكان نسيانه (نحن نظن) خاصا بعلم الأسماء الذي تلقاه بتعليم مباشر من ربه:

- ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١﴾ [البقرة: 31]

فأصبح مؤهلا لأن يسجد له الملائكة كلهم أجمعون بسبب ما يملك من ذلك العلم الذي نظن أنه به كان يستطيع إخضاعهم جميعا لأوامره:

- ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٢٨ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٢٩﴾ [الحجر: 28-29]

وما استعاد آدم من ذلك العلم بعد خسارته إياه إلا النزر اليسير عندما تلقى من ربه كلمات:

- ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [البقرة: 37]

وما كان آدم سيحصل على ذلك لولا اعترافه بالظلم لنفسه:

- ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف: 23]

لكن تلك الكلمات لم تسعفه بالبقاء في الجنة من المقربين، فخرج منها، فكان الشقاء نصيبه:

- ﴿فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ١١٧﴾ [طه: 117]

وبالفعل استطاع الشيطان أن يوقعها في شركه، فأمرا جميعا بالهبوط من الجنة:

- ﴿قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٢٤﴾ [الأعراف: 24]

فأصابه الجوع والعري والظمأ والضحى بعد أن كان محصّنا منها جميعا في الجنة:

- ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه: 118-119]

ولما لم يعد آدم من المقربين، خسر ما كان يملك وهو الروح والريحان وجنة النعيم.

افتراء خطير جدا جدا: نحن نظن أن السبب الذي أدى بآدم إلى هذه الشقاء هو خسرانه ما كان الله قد نفخه فيه من روحه. ولو أن آدم – نحن نظن- لم يخسر تلك الكينونة (من الروح) لظل من المقربين، ولبقيت حياته نعيما خالصا كما كانت حياة المسيح نفسه، وملخصها قول الحق في الآيات الكريمة التالية:

- ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة: 88-89]

نتيجة مفتراة: لم يعد آدم من المقربين. وانظر – إن شئت الدليل – إلى اسم الإشارة الذي استخدمه الإله نفسه في خطابه مع آدم قبل الوقوع في المعصية وبعد الوقوع في المعصية. فلقد استخدم الإله نفسه في خطابه مع آدم قبل الوقوع في المعصية اسم الإشارة " هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ " ليدل – نحن نظن- على القرب منه:

- ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة: 35]
- ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأعراف: 19]

ولكن الخطاب تحول كليا بعد المعصية، فاستخدم الإله نفسه في خطابه مع آدم اسم الإشارة " تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ " ليدل – نحن نظن- على البعد عنه:

- ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۖ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف: 22]

وهنا نثير تساؤلين اثنين هما:

⇐ كيف كانت حياة آدم وزوجه في الجنة قبل المعصية؟
⇐ وكيف أصبحت بعد الهبوط منها؟
⇐ وما علاقة هذا بقضية الروح؟

نحن نظن (مرة أخرى) أن مفتاح الإجابة على هذه التساؤلات هو ما جاء في الآية الكريمة التالية:

- ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة: 88-89]

باب: فروح و ريحان و جنة نعيم

تساؤلات

⇐ ما هذه المفردات الثلاثة التي وردت في هذه الآيات الكريمة (روح – ريحان – جنة نعيم)؟
⇐ وكيف تختلف عن بعضها البعض؟ وما خصوصية كل واحدة منها؟
⇐ لماذا جاءت هذه المفردات الثلاثة غير معرفة ب (الـ) التعريف؟
⇐ ولماذا جاءت بهذا الترتيب في النص القرآني؟
⇐ الخ.

بداية، لابدّ (نحن نظن) من قراءة هذه الآيات الكريمة في سياقها القرآني الأوسع:

- ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ [الواقعة: 88-94]

لنجد على الفور بأن هذه الآيات الكريمة تصف لنا ما سيكون عليه حال ثلاثة أنواع من المحشورين في يوم القيامة، وهم:

1- المقرَّبون
2- أصحاب اليمين
3- المكذِّبون

وقد جاءت المفردات قيد البحث وهي (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ) لتكون هي جزاء المقربين على وجه الخصوص:

- ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة: 88-89]

وقد كان أكثر الذي يشغلنا في هذه الآية الكريمة هو الترتيب الذي تظهر فيه هذه المكافئات الثلاثة، فالله قد بدأ الحديث عن جزاء المقربين بالروح ثم انتقل إلى الريحان وأخيرا إلى جنة النعيم، ليكون السؤال الذي سنطرحه على الفور هو: لماذا جاءت هذه المفردات (مكافأة للمقربين فقط) على هذا الترتيب (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ)؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نفتري القول بأن هذا الترتيب يعكس حجم الجزاء وبالتالي الأهمية، ولكن كيف ذاك؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن أعظم الجزاء للمقربين هو حصولهم على الروح (فَرَوْحٌ) ثم حصولهم على الريحان (وَرَيْحَانٌ) وأخيرا حصولهم على جنة النعيم (وَجَنَّتُ نَعِيمٍ). ولكن لماذا؟

جواب مفترى: لو حاولنا تفقد الآيات القرآنية التي تتحدث عن جنة النعيم على مساحة النص القرآني لوجدنا على الفور أن جنات النعيم هي الجزاء الذي وعد الله به كل من آمن وعمل صالحا. وانظر – إن شئت- في السياقات القرآنية التالية:

- ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾﴾ [المعارج: 38]
- ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾﴾ [المائدة: 65]
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾ [يونس: 9]
- ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾﴾ [الحج: 56]
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾ [لقمان: 8-9]
- ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات: 40-49]

وهنا يثار التساؤل التالي: إذا كانت جنات النعيم هي جزاء كل من آمن وعمل صالحا، فهل يحصل كل من آمن وعمل صالحا فيها على الروح والريحان الخاص بالمقربين كما تصور ذلك الآيات الكريمة أحسن تصوير:

- ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة: 88-89]

رأينا، كلا وألف كلا، وذلك لأن الروح والريحان خاص بالمقربين فقط.

تخيلات من عند أنفسنا: نحن نتخيل أن الله قد وعد كل من آمن وعمل صالحا بجنات النعيم خالدين فيها:

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾ [لقمان: 8-9]

ولكنه وعد المقربين منهم على وجه التخصيص بجنات النعيم، وأضاف إلى ذلك الريحان والروح بترتيب معكوس:

- ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة: 88-89]

لتكون الأهمية في رأينا تنازلية على نحو أن أعظم الجزاء هو الروح ثم يليه الريحان وأخيرا جنات النعيم.

الدليل

لكي يتحصل لنا الدليل على زعمنا هذا، فلابد من التطرق لمعاني هذه المفردات أولا

باب الروح

نحن نظن- كما زعمنا حتى اللحظة أن وجود الروح تمكن الكائن الذي يمتلك شيئا منه أن يتشكل (بالصورة التي يريد) وأن يتخفى (تقيا) عن أعين الناظرين.

الدليل:

نحن لا نشك قيد أنملة أن المسيح عيسى بن مريم كان فيه شيء من الروح الذي نفخ فيه:

- ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝٩١﴾ [الأنبياء: 91]
- ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ۝١٢﴾ [التحريم: 12]

فكان المسيح نفسه نتيجة ذلك النفخ هو روح من الله:

- ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ۝١٧١﴾ [النساء: 171]

لذا نحن نتخيل أن المسيح كان يستطيع أن يتشكل وكان يستطيع أن يتخفى عن أعين الناظرين.

الدليل

نحن نجد الدليل على ذلك في الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ۝١٥٧﴾ [النساء: 157]

التساؤلات

⇐ لماذا لم يستطع من تآمروا على المسيح أن يقتلوه؟
⇐ لماذا شُبِّه لهم؟
⇐ لماذا اختلفوا فيه؟
⇐ لماذا جاء كل علمهم عنه من باب الظن؟

⇐ الخ

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن مفترين القول من عند أنفسنا أن السبب في ذلك كله ربما يرجع إلى الظن بأن المسيح (بما فيه من ذلك الروح) كان يستطيع أن يتشكل بالصورة التي يريدها، كما أنه يستطيع أن يكون تقيا. لذا لا يستطيع الذين تآمروا عليه أن يقتلوه ولا أن يصلبوه مادام أنه قد شبه لهم.

نتيجة مفتراة: هذه ستكون – نحن نتخيل- واحدة من صفات المقربين في الجنة، إنها القدرة على التشكل والتقية. فأنت في جنة النعيم تستطيع أن تشكل صورتك كيفما تريد كما تستطيع أن تخفي نفسك عن من تريد شريطة أن تكون من المقربين.

ما رأيك – عزيزي القارئ- أليس ذلك جميلا؟ ألن يكون في ذلك متعة عظيمة؟ من يدري؟!!!

باب مفردة (ريحان)

إذا كان هذا ما ستكون عليه حال المقربين أنفسهم، فهل تقتصر متعتهم على ثمثل (أي تشكيل وتقية أنفسهم (أي التخفي عن أعين الناظرين) فقط؟

رأينا: بعد تفقد السياقات القرآنية على مساحة النص القرآني وجدنا أن مفردة (رَيْحَانٌ) قد وردت في موضعين اثنين فقط، وهما:

1- جاءت بصيغة التنكير (بدون الـ التعريف) في الآية الكريمة قيد البحث:

- ﴿فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ۝٨٩﴾ [الواقعة: 89]

2- وجاءت معرفة بـ (الـ) التعريف في الآية الكريمة التالية

- ﴿وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ۝١٢﴾ [الرحمن: 12]

السؤال: ما هو الريحان؟

لنبدأ بما قاله سادتنا العلماء أهل الدراية كما وصلنا في الطبري مثلا:

فصل 1 : الحب ذو العصف والريحان

وقوله : { والحب ذو العصف } يقول تعالى ذكره : وفيها الحب , وهو حب البر والشعير ذو الورق , والتبن : هو العصف , وإياه عنى علقمة بن عبدة : تسقي مذانب قد مالت عصيفتها حدورها من أتي الماء مطموم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل . ذكر من قال ذلك :

25469 - حدثني علي , قال : ثنا أبو صالح , قال : ثني معاوية , عن علي , عن ابن عباس , قوله : { والحب ذو العصف والريحان } يقول : التبن . 25470 - حدثني محمد بن سعد , قال : ثني أبي , قال : ثني عمي , قال : ثني أبي , عن أبيه , عن ابن عباس , قوله : { والحب ذو العصف والريحان } قال : العصف : ورق الزرع الأخضر الذي قطع رءوسه فهو يسمى العصف إذا يبس . 25471 - حدثنا ابن حميد , قال : ثنا يعقوب , عن جعفر , عن سعيد { والحب ذو العصف } البقل من الزرع . حدثنا بشر , قال : ثنا يزيد , قال : ثنا سعيد , عن قتادة , قوله : { والحب ذو العصف } وعصفه تبنه . * - حدثنا ابن عبد الأعلى , قال : ثنا ابن ثور , عن معمر , عن قتادة , قال : العصف : التبن . 25473 - ابن حميد , قال : ثنا مهران , عن سفيان , عن الضحاك { والحب ذو العصف } قال : الحب البر والشعير , والعصف : التبن . 25474 - حدثنا سعيد بن يحيى , قال : ثنا عبد الله بن المبارك الخراساني , عن إسماعيل بن أبي خالد , عن أبي مالك قوله : { والحب ذو العصف والريحان } قال : الحب أول ما ينبت . 25475 - حدثني محمد بن عمرو , قال : ثنا أبو عاصم , قال : ثنا عيسى ; وحدثني الحارث , قال : ثنا الحسن , قال : ثنا روقاء جميعا , عن ابن أبي نجيح , عن مجاهد في قوله : { والحب ذو العصف والريحان } قال : العصف : الورق من كل شيء . قال : يقال للزرع إذا قطع : عصافة , وكل ورق فهو عصافة . * - حدثنا الحسن بن عرفة , قال : ثني يونس بن محمد , قال : ثنا عبد الواحد , قال : ثنا أبو روق عطية بن الحارث , قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : { والحب ذو العصف } قال : العصف : التبن . 25476 - حدثنا سليمان بن عبد الجبار , قال : ثنا محمد بن الصلت , قال : ثنا أبو كدينة , عن عطاء , عن سعيد , عن ابن عباس { ذو العصف } قال : العصف : الزرع. وقال بعضهم : العصف : هو الحب من البر والشعير بعينه . ذكر من قال ذلك : 25477 - حدثت عن الحسين , قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد , قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : { والحب ذو العصف والريحان } أما العصف : فهو البر والشعير .

والريحان

وأما قوله : { والريحان } فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله , فقال بعضهم : هو الرزق . ذكر من قال ذلك : 25478 - حدثني زيد بن أخزم الطائي , قال : ثنا عامر بن مدرك , قال : ثنا عتبة بن يقظان , عن عكرمة , عن ابن عباس قال : كل ريحان في القرآن فهو رزق . 25479 - حدثني محمد بن عمرو , قال : ثنا أبو عاصم , قال : ثنا عيسى ; وحدثني الحارث , قال : ثنا الحسن , قال : ثنا ورقاء جميعا , عن ابن أبي نجيح , عن مجاهد { والريحان } قال : الرزق. 25480 - حدثنا ابن حميد , قال : ثنا مهران , عن سفيان , عن الضحاك { والريحان } : الرزق , ومنهم من يقول : ريحاننا . 25481 - حدثني سليمان بن عبد الجبار , قال : ثنا محمد بن الصلت , قال : ثنا أبو كدينة , عن عطاء , عن سعيد بن جبير , عن ابن عباس { والريحان } قال : الريح . * -حدثنا الحسن بن عرفة , قال : ثني يونس بن محمد , قال : ثنا عبد الواحد , قال : ثنا أبو روق عطية بن الحارث , قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : { والريحان } قال : الرزق والطعام . وقال آخرون : هو الريحان الذي يشم . ذكر من قال ذلك : 25482 - حدثني محمد بن سعد , قال : ثني أبي , قال : ثني عمي , قال : ثني أبي , عن أبيه , عن ابن عباس , قال : { الريحان } ما تنبت الأرض من

الريحان . 25483 -حدثت عن الحسين , قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد , قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : { والريحان } أما الريحان : فما أنبتت الأرض من ريحان . 25484 -حدثنا بشر , قال : ثنا يزيد , قال : ثنا سعيد , عن قتادة , عن الحسن { والريحان } قال : ريحانكم هذا . 25485 - حدثني يونس , قال : أخبرنا ابن وهب , قال : قال ابن زيد , في قوله : { والريحان } : الرياحين التي توجد ريحها . وقال آخرون : هو خضرة الزرع. ذكر من قال ذلك : 25486 - حدثني علي , قال : ثنا أبو صالح , قال : ثني معاوية عن علي , عن ابن عباس , قوله : { والريحان } يقول : خضرة الزرع . وقال آخرون : هو ما قام على ساق . ذكر من قال ذلك : 25487 - حدثنا ابن حميد , قال : ثنا يعقوب , عن جعفر , عن سعيد , قال : { الريحان } ما قام على ساق . وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : عنى به الرزق , وهو الحب الذي يؤكل منه . وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصواب ; لأن الله جل ثناؤه أخبر عن الحب أنه ذو العصف , وذلك ما وصفنا من الورق الحادث منه , والتبن إذا يبس , فالذي هو أولى بالريحان , أن يكون حبه الحادث منه , إذ كان من جنس الشيء الذي منه العصف , ومسموع من العرب تقول : خرجنا نطلب ريحان الله ورزقه , ويقال : سبحانك وريحانك : أي ورزقك , ومنه قول النمر بن تولب : سلام الإله وريحانه وجنته وسماء درر وذكر عن بعضهم أنه كان يقول : العصف : المأكول من الحب والريحان : الصحيح الذي لم يؤكل . واختلفت القراء في قراءة قوله : { والريحان } فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض المكيين وبعض الكوفيين بالرفع عطفا به على الحب , بمعنى : وفيها الحب ذو العصف , وفيها الريحان أيضا , وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين " والريحان " بالخفض عطفا به على العصف , بمعنى : والحب ذو العصف وذو الريحان . وأولى القراءتين في ذلك بالصواب : قراءة من قرأه بالخفض للعلة التي بينت في تأويله , وأنه بمعنى الرزق , وأما الذين قرءوه رفعا , فإنهم وجهوا تأويله فيما أرى إلى أنه الريحان الذي يشم , فلذلك اختاروا الرفع فيه وكونه خفضا بمعنى : وفيها الحب ذو الورق والتبن , وذو الرزق المطعوم أولى وأحسن لما قد بيناه قبل

رأينا: لمّا كانت هذه المرويّات (نحن نظن) لا تسد ظمأ الباحث عن الحقيقة، وجدنا أن هناك متسعا من المكان لأن ندلي بدلونا في هذه الجزئية. لذا أصبح لزاما علينا أن نعيد التفكر بهذه المفردات حتى نستطيع (إن أذن الله لنا بشيء من علمه) أن نخرج بتصور أكثر شمولية، والآلية التي نستخدمها هي المعهودة، أي استدعاء جميع السياقات القرآنية التي نظن أن لها علاقة بالموضوع.

فصل 2- العصف

أولا، لم ترد مفردة (العصف) في السياقات القرآنية إلا في آيتين اثنتين فقط:

- ﴿وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ١٢﴾ [الرحمن: 12]
- ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ٥﴾ [الفيل: 1-5]

السؤال: ربما يصعب علينا بداية أن نخرج بتصور لمعنى عبارة (وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ)، لكن الأمر يمكن أن يكون أكثر سهولة لو حاولنا أن نتدبر كيف يكون "العصف المأكول" بناء على ما يمكن أن نتخيله مما حلّ بأصحاب الفيل عندما أرسل الله عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل؟ ألم يجعلهم نتيجة ذلك " كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ "؟

السؤال: كيف كان حالهم حينئذ؟

تخيلاتنا: نحن نتخيل وبكأنهم قد أصبحوا أشلاء متقطعة متناثرة يصعب إعادة تجميعها

ثانيا، نحن نظن أيضا بأن مفردة "العصف" لها علاقة بمفردة "العاصفات" التي ترد في الآية الكريمة التالية:

- ﴿فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ۝٢﴾ [المرسلات: 2]

السؤال: ما هي العاصفات؟ وكيف تكون العاصفات عصفا؟

رأينا: نحن نظن بأن العاصفات هي جمع لمفردة (عاصف) و ليس جمع لمفردة (عاصفة) مادام أن المفردتين قد وردتا في النص القرآني لتصفان مفردة الريح. انظر التباين في الآيتين الكريمتين التاليتين:

- ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٢٢﴾ [يونس: 22]
- ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ ۝٨١﴾ [الأنبياء: 81]

(للتفصيل في التفريق بين مفردتي الريح والرياح انظر مقالتنا تحت عنوان: ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته: باب الريح)

لكننا نحاول هنا أن نستبين الفرق بين ريح عاصف من جهة وريح عاصفة من جهة أخرى، مثيرين التساؤل التالي: كيف تختلف الريح العاصف عن الريح العاصفة؟

جواب مفترى: نحن نظن أن الريح تكون عاصف عندما تكون مسخرة للعذاب فتأتي من كل اتجاه، بينما لا تكون الريح العاصفة كذلك، وذلك لأنه يستحيل – نحن نظن- التحكم بالريح إن كانت عاصف، بينما يمكن التحكم بالريح العاصفة كما كان يفعل سليمان.

الدليل: الريح عاصف

وردت مفردة عاصف في الآيتين الكريمتين التاليتين:

- ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨﴾ [إبراهيم: 18]
- ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٢٢﴾ [يونس: 22]

فلو تدبرنا قوله تعالى الخاص بأعمال الذين كفروا كما تصوره الآية الأولى لوجدنا أن الله قد شبهها بالرماد (الذي نظن أنه أخف وأهون أنواع التراب) الذي ضربته الريح الشديدة في يوم عاصف فلم يستطيعوا على اللحاق بشيء منه. ولو استدعينا الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ [الفرقان: 23]

لوجدنا أن فكرة التشتت والتبعثر متوافرة (فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا). ولتعززت لنا الصورة الذهنية التي ترتسم في مخيالنا عندما نقرأ ما حلّ بأصحاب الفيل والتي تحدثنا عنها سابقا:

- ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ٥﴾ [الفيل: 1-5]

ولو تدبرنا السياقات القرآنية السابقة أكثر لوجدنا أن الريح عندما تكون عاصف تكون (نحن نظن) قادمة من أكثر من اتجاه، وانظر – إن شئت- ما يحل بالموج عندما تأتي الريح العاصف، ألا يجيء الموج حينها من كل مكان:

- ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٢٢﴾ [يونس: 22]

السؤال: ما الذي يمكن أن يجيء بالموج من كل مكان حول من كانوا في الفلك؟ أليس هو الريح الذي سيأتي من كل اتجاه؟ ولكن كيف ذلك؟

رأينا: عندما تأتي الريح من مكان محدد بذاته، وتذهب باتجاه محدد، ويمكن السيطرة عليها، فإن ذلك يسمى (في رأينا) بالريح "عاصفة" كما كان في حالة سليمان:

- ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ ٨١﴾ [الأنبياء: 81]

فالريح في حالة سليمان هي ريح عاصفة لأنها ببساطة كانت مسخرة، لذا كانت تجري به إلى مكان محدد (الأرض المباركة) بأمره. ولا يتوقف التسخير عند الاتجاه (أي في أي اتجاه تذهب) بل يتعداه إلى السرعة والزمن، فلقد كان سليمان يتحكم بسرعة وزمن الريح العاصفة. وانظر – إن شئت- في السياقات التالية:

- ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ [ص: 36]
- ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [سبأ: 12]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نفتري القول بأنه لو كانت ريح سليمان ريح عاصف لما استطاع سليمان (نحن نظن) أن يسيطر عليها، ولكنها لما كانت "ريح عاصفة" كان يستطيع التحكم بسرعتها وباتجاهها بكل يسر وسهولة.
نتيجة مفتراة (1): الريح تكون عاصف إذا كانت قادمة من أكثر من اتجاه، لذا يصعب السيطرة عليها والتحكم بها
نتيجة مفتراة (2): تكون الريح عاصفة إذا كانت قادمة من اتجاه واحد لذا يمكن السيطرة عليها والتحكم بها كما كان يفعل سليمان

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: عاصف هي جمع (فهي ريح قادمة من أكثر من اتجاه) بينما عاصفة هي مفرد (مادام أنها قادمة من اتجاه واحد).

ثالثا، لو تفقدنا السياقات القرآنية الخاصة بالريح على مساحة النص القرآني، لوجدنا التصنيفات التالية:

1- ريح فيها عذاب أليم

- ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأحقاف: 24-25]

2- ريح فيها صر (صرصر)

- ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [آل عمران: 117]

3- ريح صرصر

- ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ١٦﴾ [فصلت: 16]
- ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ٢٠﴾ [القمر: 19-20]
- ﴿وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ٦ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ٧ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ٨﴾ [الحاقة: 6-8]

4- الريح العقيم

- ﴿وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ٤١﴾ [الذاريات: 41]

5- الريح العاصف

- ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٢٢﴾ [يونس: 22]
- ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨﴾ [إبراهيم: 18]

6- الريح القاصف

- ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ٦٧ أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا ٦٨ أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا ٦٩﴾ [الإسراء: 67-69]

7- الريح العاصفة

- ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ ٨١﴾ [الأنبياء: 81]

8- الريح الهاوية

- ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١﴾ [الحج: 31]

9- الريح التي تسبب الصفرة للزرع

- ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٥٠ وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ ٥١﴾ [الروم: 50-51]

10- الريح المرسلة

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩﴾ [الأحزاب: 9]

11- الريح الساكنة

- ﴿إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ٣٣﴾ [الشورى: 33]

ويمكن لنا أن نستنبط بناء على ما نفهمه من هذه السياقات القرآنية بأن الريح يمكن أن تكون ساكنة ويمكن أن تكون مرسلة ويمكن أن تكون عقيم ويمكن أن تكون صرر عاتية ويمكن أن يكون فيها صر، ويمكن أن تكون هاوية ويمكن أن تكون قاصفة ويمكن أن تكون عاصفة ويمكن أن تكون عاصف. إن السؤال الذي يهمنا هنا هو الفرق بين أن تكون الريح عاصفة (كما في حالة سليمان) أو أن تكون عاصف (كما في حالة العذاب).

رأينا المفترى: نحن نظن أن الريح العاصف هي ريح العذاب وهي التي تأتي من كل مكان فتحيط بالمعذّبين من كل اتجاه، فلا يقدرون على شيء مما كسبوا كما الذين في الفلك:

- ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٢٢﴾ [يونس: 22]

فتذرهم (إن هي أصابتهم) كالعصف المأكول كما حل بأصحاب الفيل:

- ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ٥﴾ [الفيل: 1-5]

وتلك هي في ظننا العاصفات عصفا:

- ﴿فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ٢﴾ [المرسلات: 2]

سؤال: ما هو إذن الحب ذو العصف الذي يرد في الآية الكريمة التالية؟

- ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾﴾ [الرحمن: 12]

وما علاقته بالريح العاصف؟

رأينا: لما كان الحب هو ما يمكن أن ينفلق لينتج منه الحياة من جديد:

- ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأنعام: 95]

فإننا نفتري الظن بأن العصف الذي هو خاص بالحب (وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ) هو ما يحيط بذلك الحب والذي يمكن للريح أن يذهب به بأي اتجاه، فهي إذن – في ظننا- تلك القشرة التي تحيط بالحب والنوى لتحفظه. إنها القشرة (قشور البذور) – أو الشيء الذي يحمي أجنة الحب (البذور) من التلف و الموت و ذلك للتكاثر والتناسل من جديد. وبذلك تظل الحبوب (الحب) و ما بداخلها من أجنة حيّة سليمة لتكاثر المزروعات وتستمر دورة الحياة. وهي التي تكون خفيفة في وزنها لدرجة أن الريح (مهما كانت سرعتها) يمكن أن تذهب بها في كل اتجاه.

باب الريحان

- ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾﴾ [الرحمن: 10-12]

لو تدبرنا ما جاء في هذه الآية الكريمة لوجدنا أنها تتحدث عن أنواع الثمرات التي تتواجد في الأرض والتي وضعها ربنا للأنام. ففيها:

1. فاكهة
2. النخل ذات الأكمام
3. الحب ذو العصف
4. الريحان

السؤال : ما هو الريحان؟

نحن ننفي أن يدخل الريحان ضمن مجموعة (الحب) لأن ذلك يصبح من باب الحشو، ولكن هذا لا ينفي أن يكون الريحان من صفات الحب ، فيصبح العطف هنا بين العصف من جهة والريحان من جهة أخرى، ويشتركان معا في الحب، وإن صح هذا، يصبح للحب صفتان:

⇐ الحب ذو العصف و
⇐ الحب ذو الريحان

أو أن يكون الريحان شيء منفصل تماما عن الحب، ويكون العطف بين الحب ذو العصف من جهة والريحان من جهة أخرى، فتصبح القراءة على النحو التالي:

⇐ الحب ذو العصف و
⇐ الريحان

بداية، نحن نظن أن مفردة (الريحان) لا تدل على تعريف لصنف أو نوع من المزروعات أو النباتات محدد بذاته، بل– نظن – أنها تدل على صفة تجتمع فيها أنواع كثيرة ومتعددة. فالحب مثلا هو الذي ينبت منه أنواع كثيرة من المزروعات، والفاكهة تجنى من أنواع كثيرة من الأشجار، والنخل ذات أكمام متعددة، وهكذا. لذا نحن نفتري القول بأن مفردة الريحان تحمل في ثناياها معنى (التعداد). فهناك أنواع كثيرة من المزروعات تقع ضمن فئة الريحان سواء كان الريحان صفة للحب (الحب ذو الريحان) أو أنه كان منفصلا عنه (الحب ذو العصف من جهة والريحان من جهة أخرى). فما هي؟

رأينا: نحن نفتري القول بأن مفردة الريحان هي جمع لمفردة "ريح" محددة بذاتها، فما هي؟

جواب مفترى: دعنا نقرأ ما جاء في قوله تعالى بخصوص ما وجده يعقوب من يوسف عندما فصلت العير:

- ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ٩٤﴾ [يوسف: 94]

لو تدبرنا هذا السياق القرآني لوجدنا أن يعقوب قد وجد "ريح يوسف"، فلا شك – عندنا إذن- أن ليوسف ريح محددة استطاع يعقوب أن يشتمها بأنفه. فظن من حوله أنه لازال في ظلاله القديم:

- ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ٩٥﴾ [يوسف: 95]

ولكن البشير جاءه بالخبر اليقين:

- ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ ... ٩٦﴾ [يوسف: 96]

فما زاد يعقوب على تأكيده لمن حوله بأنه على علم من ربه:

- ﴿... قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٩٦﴾ [يوسف: 96]

فما كان ممن حوله إلا أن اعترفوا بخطئهم وطلبوا من أبيهم أن يستغفر لهم:

- ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ٩٧﴾ [يوسف: 97]

السؤال: إذا كان ليوسف ريح محددة بذاتها، استطاع يعقوب أن يشتمها وأن يميزها، فماذا يمكن أن نسمي (نحن نسأل) ريح يعقوب أو ريح يوسف معا أو ريح كل أبناءه مجتمعين مثلا؟

السؤال: كيف تجمع مفردة "ريح" التي جاءت خاصة بيوسف في الآية الكريمة؟

- ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ۝٩٤﴾ [يوسف: 94]

جواب: نحن نفتري القول من عند أنفسنا بأن ذلك يسمى ريحان

سؤال: ما علاقة ذلك بالآية الكريمة التي نتدارسها هنا:

- ﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ۝١١ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ۝١٢﴾ [الرحمن: 10-12]

رأينا المفترى: نحن نظن أنه بالإضافة للفاكهة والنخل ذات الأكمام والحب ذو العصف هناك أيضا النباتات العطرية التي تفوح منها الروائح المتنوعة التي تشد الأنام إليها. فكثير من الكائنات الحية (بما فيها الأناسي) تشدّهم روائح تلك النباتات، فمنهم من يتغذى عليها كالنحل مثلا:

- ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ۝٦٨ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝٦٩﴾ [النحل: 68-69]

ومنهم من يستخدمها للزينة كما يفعل كثير من الأناسي، ومنهم من يستخدمها كدواء، الخ. لذا، نحن نفتري الظن هنا أن الريحان (جمع ريح) تشكل بمجموعها فصيلة مستقلة من النباتات تسمى الريحان.

عودة إلى قصة آدم

لو عدنا إلى الخطاب الإلهي الأول الموجه لآدم فيما يخص الجنة لتبين لنا على الفور أن ما وجده آدم وزوجه فيها هو الأكل (ولا شيء غيره):

- ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥﴾ [البقرة: 35]

ولو حاولنا أن نربط هذا بالآيات الكريمة التالية:

- ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ۝٨٩﴾ [الواقعة: 88-89]

لوجدنا بأن الله قد أعد للمقربين (روح و ريحان و جنة نعيم)، ليكون السؤال الآن على النحو التالي: ما الذي يمكن أن يستفيد منه المقربون من وجود الريحان مادام أن الأكل متوافر في جنات النعيم؟

السؤال : ما فائدة أن يعطي الله المقربين روحا وريحان وهم أصلا في جنات النعيم (حيث الأكل وافر)؟

- ﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ٢٥ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ٢٦ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ٢٧ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ٢٨ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ٢٩ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ٣٠ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ٣١ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ٣٣﴾ [الواقعة: 25-33]

جواب مفترى من عند أنفسنا خطير جدا جدا: لأنهم سيخلقون جنّاتهم بأنفسهم حسب رغباتهم وميولهم.

نعم، نحن نظن أن عباد الله المقربين الذين لهم جزاء من الله (روح وريحان وجنة نعيم) سيكون باستطاعتهم خلق أي شيء يمكن أن يخطر على قلوبهم ويشكلونه (الحب) ويلونوه بريح (ريحان) كيفما رغبوا وأحبوا، فتلك هي جنات النعيم.

الدليل

لو تدبرنا الآية الكريمة جيدا لوجدنا أن تلك المفردات الثلاثة (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ) قد جاءت في الآية الكريمة على التنكير:

- ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ٨٩﴾ [الواقعة: 88-89]

السؤال: لماذا جاءت هذه المفردات بصيغة التنكير؟ لماذا لم تأت معرفة بأداة التعريف (ال)؟

جواب: لأن تلك الجوائز ليست مشكلّة مسبقا، وإنما لازالت تنتظر أن تُشكّل حسب ما يراه من يرثها مناسبا:

- ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ٦٣﴾ [مريم: 63]
- ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧٢﴾ [الزخرف: 72]
- ﴿وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥﴾ [الشعراء: 85]

فمن يرث شيئا، يصبح ملكا له و يكون له حق التصرف فيه كيفما يشاء، وذلك – برأينا- هو العطاء غير المجذوذ الذي وعد الله بعض عباده به:

- ﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ١٠٨﴾ [هود: 108]

تخيلات: نحن نعتقد أن الجنة ليست عبارة عن مكان يرتع فيه الإنسان ويلعب، وهي ليست – في ظننا- المكان الذي يكون من يدخله متلقيا فقط لما يقدّم له من خيراتها، لأن ذلك سيصبح بعد فترة من الزمن نشاطا مملا، لا يجد فيه الكثيرون المتعة المنشودة. فلا شك عندنا أن الجنة التي وعد الله بها عباده المتقين هي أكثر من مجرد مكان للأكل واللهو الجنس (كما تصوّرها كتب السلف الصالح – ومن شاء أن يجادل فلينظر في الجزء الرابع من كتاب الترغيب والترهيب. أما من أراد أنيطلع على ما نقول نحن فيها، فله

أن يقرأ مقالتنا تحت عنوان: ماذا ستفعل النساء في الجنة؟). فنحن نتخيل الجنة على أنها المكان الذي يستحيل أن يصيب من كان من أصحابها (والله وحده نسأل أن نكون منهم) الملل والضجر، لأن وارث تلك الجنات – نحن نرى- له حق التصرف فيها، فهو من سيصنعها ويشكلها بنفسه كيفما يريد، فيصبح دوره فيها إيجابيا، ليجد على الدوام ما يقوم فيه في كل لحظة. فلا يصاب بالإحباط والملل. ولو حاولنا أن نعقد مقارنة مع ما يتحصل للإنسان في الحياة الدنيا لوجدنا أن الإنسان لا يمكن أن يشعر بالسعادة الدائمة إن هو وجد نفسه في مكان يقدّم له كل شيء دون أن يبذل هو فيه شيء من الجهد، لأنه سيصاب بالضجر والملل ولو بعد حين، ولكن المتعة الحقيقة تتحصل له (نحن نظن) عندما يستطيع أن يصنع تلك المتعة بنفسه. وهذا بالضبط ما نتخيل أن المقربين من عباد الله الذين سيرثون تلك الجنات يستطيعون فعله في جناتهم تلك. أليس ذلك جميلا؟ ألن يكون في ذلك متعة عظيمة؟ من يدري؟!!!

السؤال: ولكن كيف يكون ذلك؟

جواب: بما آتاهم الله من الروح:

- ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩﴾ [الواقعة: 88-89]

السؤال: وكيف يكون ذلك؟

جواب: بالضبط كما كان يفعل المسيح عيسى بن مريم.

تخيلات: نحن نتخيل أن المقربين في الجنة سيستطيعون القيام بما كان يستطيع المسيح القيام به بسبب تلك الروح التي نفخت فيه.

السؤال: هل سيكون من سيدخل الجنة قادرا على الخلق؟

جواب: نعم، بكل تأكيد؟

سؤال: وكيف سيختلف إذا عن الإله نفسه؟ أليس الله بخالق ؟

جواب: نعم، ولكن الله هو أحسن الخالقين.

السؤال: وماذا يعني ذلك؟

رأينا: لابد إذن من العودة على ما سبق: الروح والنفس

لو تدبرنا الفرق بين قدرة عيسى بن مريم على الخلق وقدرة رب عيسى بن مريم على الخلق لوجدنا أن هناك وجه تشابه وأن هناك وجه اختلاف.

افتراء من عند أنفسنا (1): نحن نظن أن وجه التشابه يكمن في القدرة على النفخ. فكما يستطيع رب عيسى أن ينفخ في الأشياء لتحيا كذلك فعل المسيح نفسه

افتراء من عند أنفسنا (2): نحن نظن أن وجه الاختلاف يكمن في القدرة على التسوية. رب عيسى بن مريم يستطيع تسوية الأشياء لكن لا يستطيع المسيح عيسى بن مريم فعل ذلك.

فعيسى يستطيع أن ينفخ فقط لكن رب عيسى يستطيع أن ينفخ وأن يسوي

الدليل

انظر ماذا فعل رب المسيح عندما خلق آدم:

- ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٧٢﴾ [ص: 71-72]

وانظر بالمقابل ماذا كان يفعل المسيح عندما كان يخلق:

- ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٤٩﴾ [آل عمران: 49]

ألا تلاحظ – عزيزي القارئ- أن عيسى بن مريم كان ينفخ فيما يخلق من الطين فيكون طيرا؟ ولكن ألا تلاحظ أيضا أن عيسى بن مريم لم يكن يسوّي ما يخلقه قبل أن ينفخ فيه كما فعل ربه عندما خلق آدم؟

- ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٧٢﴾ [ص: 71-72]

السؤال: لماذا؟ لماذا لم يكن عيسى بن مريم يستطيع أن يسوي قبل أن ينفخ؟ ولماذا كان ينفخ بعد أن يخلق مباشرة؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: لأن التسوية تحتاج إلى إدخال النفس في الشيء المخلوق

نتيجة خطيرة جدا جدا: نحن نظن أن الفرق بين الله (كأحسن الخالقين) وغيره من الخالقين (كعيسى بن مريم) تكمن في التسوية وليس في النفخ. لأن التسوية تعني – بمفرداتنا- إدخال النفس في المخلوق، ليصبح مكلفا بالعبادة ومحاسبا على أفعاله:

- ﴿كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨﴾ [المدثر: 38]

وتصبح تلك النفس مدانة لخالقها بالعبادة لأنه هو من يستطيع أن يهديها:

- ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨﴾ [الشعراء: 78]

مادام أنه هو من سواها:

- ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾ [الشمس: 7-8]

خلاصة: لا شك عندنا أن هناك خالقين غير الله مادام أن الله هو أحسنهم:

- ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝١٤﴾ [المؤمنون: 14]
- ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ۝١٢٥﴾ [الصافات: 125]

فقد كان بعلا خالقا، كما كان المسيح خالقا:

- ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٤٩﴾ [آل عمران: 49]

ولكن هناك فرقا جوهريا بين "أحسن الخالقين" وهو الله رب العالمين وغيره من الخالقين كعيسى بن مريم مثلا، والفرق يكمن في أنه بالرغم أن كل الخالقين يستطيعون نفخ الروح في المخلوق كما كان يفعل المسيح عيسى بن مريم مثلا إلا أنهم لا يستطيعون أن يسوّوا ما يخلقون (أي أن يضعوا فيه النفس). وهذا – نحن نتخيل- ما عجز السامري أيضا عن فعله السامري عندما أخرج للقوم عجلا جسدا له خوار:

- ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ۝٨٨﴾ [طه: 88]

وهو الذي اتخذه قوم موسى في غيابه عنهم:

- ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ۝١٤٨﴾ [الأعراف: 148]

ولكن لو دققنا في هذا السياق القرآني لما وجدنا أن العجل أكثر من جسد تدب فيه الحياة بدليل أن له خوار، ولكنه لم يصبح جسما وذلك لأن الجسم فيه النفس:

- ﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٤﴾ [المنافقون: 4]

لتكون المقارنة بين أحسن الخالقين وغيره من الخالقين على نحو أن الله (نحن نظن) يستطيع أن يخلق جسما (فيه نفس وروح) لكن غيره من الخالقين لا يستطيعون أن يخلقوا أكثر من جسد (فيه روح فقط لا نفس فيه).

نتيجة خطيرة جدا جدا (1): نحن نظن أن النفس هي التي سواها الله بنفسه (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا)، وهي مناط التكليف لأنه (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)، وهي التي تحول المخلوق من أن يكون جسدا يتحرك فقط (كما النائم المتوفاة نفسه منه) إلى جسم يتحرك ويتصرف (كالمستيقظ من نومه بعد أن تعود إليه نفسه التي كانت متوفاة بالنوم). فالنفس هي التي يتوفاها الله في المنام وفي الموت:

- ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزمر: 42]

وهذا الأمر (أي التسوية) لا يقدر عليه أحد إلا الله الذي هو أحسن الخالقين.

نتيجة خطيرة جدا جدا (2): نحن نظن أن الروح هي تلك النفخة في المخلوق التي تحوله إلى جسد، تدب به الحياة (الحرارة) ولكنه لا يصبح مكلفا. وهذا الأمر يقدر عليه كثيرون من الخالقين كعيسى بن مريم، وكبعل مثلا. ولا يصبح هذا الجسد المنفوخ فيه جسما مكلفا بالعبادة لخالقه ما لم يتم تسويته بإدخال النفس فيه، وهذا الأمر لا يقدر عليه إلا الله الذي هو أحسن الخالقين.

السؤال النهائي: ما هي الأمانة التي أبت السموات والأرض أن يحملنها وأشفقن منها؟ وما هي الأمانة التي حملها الإنسان فكان ظلوما جهولا؟

- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: 72]

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أنه الشيء ذاته الذي يتوفاه الله بنفسه فلا يفرط فيه: إنها الأنفس

- ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزمر: 42]

ففي حين أن كثيرا من مخلوقات الله قد دبت فيها الحياة بالنفخ فيها من روح الله (كما كان يفعل المسيح مثلا عندما كان يصنع من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا) إلا أن نوعا واحدا من الخلائق قد تمت تسويته بوضع النفس فيه:

- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ٢٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٢٩﴾ [الحجر: 28-29]
- ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢﴾ [ص: 71-72]

الدليل

بداية، نحن نجد الفصل واضحا بين الإنسان ونفسه في كل السياقات القرآنية الخاصة بذلك، فهما كينونتان منفصلتان تماما:

- ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ٩﴾ [البقرة: 9]
- ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٥٧﴾ [البقرة: 57]
- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ٤٩﴾ [النساء: 49]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ٦﴾ [التحريم: 6]

ثانيا، نحن نجد أن خلق الأنفس قد سبق خلق الإنسان:

- ﴿۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ٥١﴾ [الكهف: 51]

ثالثا، جاء التكليف للأنفس:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٠٥﴾ [المائدة: 105]

فكانت كل نفس بما كسبت رهينة:

- ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ٣٨﴾ [المدثر: 38]
- ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ١٦٤﴾ [الأنعام: 164]
- ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ٣٠﴾ [يونس: 30]
- ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ٥٤﴾ [يونس: 54]

- ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلْقَوْلِۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٖ ٣٣﴾ [الرعد: 33]
- ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعٗاۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٖۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ٤٢﴾ [الرعد: 42]

رابعا، قضت مشيئة الله أن يجعل على كل نفس حافظا:

- ﴿إِن كُلُّ نَفْسٖ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٞ ٤﴾ [الطارق: 4]

خامسا: عندما تذوق تلك الأنفس الموت

- ﴿كُلُّ نَفْسٖ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ٥٧﴾ [العنكبوت: 57]
- ﴿كُلُّ نَفْسٖ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةٗۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ٣٥﴾ [الأنبياء: 35]
- ﴿كُلُّ نَفْسٖ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران: 185]

يتوفاها الله فيمسكها بنفسه:

- ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٤٢﴾ [الزمر: 42]

لكن ملك الموت هو من يتوفانا نحن (بعيدا عن أنفسنا):

- ﴿۞قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ١١﴾ [السجدة: 11]

نتيجة خطيرة جدا جدا (سنحتاج لها لاحقا بحول الله وتوفيق منه): الله هو من يتوفى الأنفس لكن ملك الموت هو من يتوفانا.

حتى يأتي يوم الحساب لتنظر كل نفس ما كسبت:

- ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمٗا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٖ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة: 281]
- ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٖ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٖ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ٢٥﴾ [آل عمران: 25]
- ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٖ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٖ مُّحْضَرٗا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ ٣٠﴾ [آل عمران: 30]

- ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ١٦١﴾ [آل عمران: 161]
- ﴿لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ٥١﴾ [إبراهيم: 51]
- ﴿۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ١١١﴾ [النحل: 111]
- ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ١٥﴾ [طه: 15]
- ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَـَٔاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَـٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ١٣﴾ [السجدة: 13]
- ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ٧٠﴾ [الزمر: 70]
- ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ١٧﴾ [غافر: 17]
- ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ٢٢﴾ [الجاثية: 22]
- ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ٢١﴾ [ق: 21]

وهناك نقوم نحن (من توفانا ملك الموت) بإخراج أنفسنا (التي توفاها الله):

- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ٩٣﴾ [الأنعام: 93]

لتنظر لتوفى كل نفس ما كسبت

- ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة: 281]

التساؤلات:

⇐ ما هي النفس إذن؟
⇐ متى عرضها الله على السموات والأرض والجبال ليحملنها؟
⇐ كيف أبت السموات والأرض أن يحملنها؟
⇐ لماذا أشفقن منها؟
⇐ متى عرضت على الإنسان؟
⇐ لماذا قبل أن يحملها؟
⇐ لماذا لم يشفق منها؟
⇐ متى كان الإنسان ظلوما جهولا حتى تصدى لحمل تلك الأمانة؟
⇐ الخ.

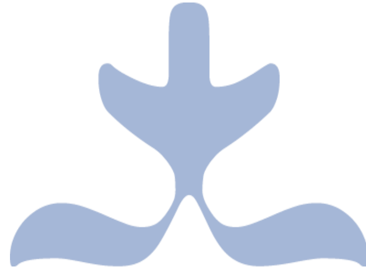
هذا ما سنحاول النبش فيه في الأجزاء القادمة بحول الله وتوفيقه،

فالله وحده أسأل أن يهدينا رشدنا، وأن يعلمنا الحق الذي نقوله فلا نفتري عليه الكذب وأن يعلمنا ما لم نكن نعلم إنه هو الواسع العليم - آمين

وللحديث بقية

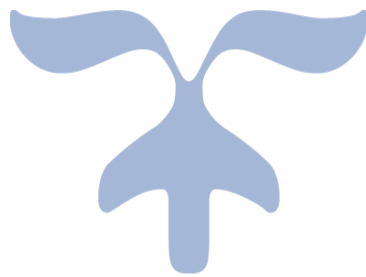
المدّكرون

رشيد سليم الجراح & محمد عبد العزيز السيسي & علي محمود سالم الشرمان
بقلم د. رشيد الجراح & م.محمد عبد العزيز السيسي
31 أيار 2014



نظرية الأمانة

الجزء الرابع



نظرية الأمانة: الجزء الرابع

افترينا القول في الجزء السابق من هذه المقالة أن الأمانة التي عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان فكان ظلوما جهولا هي النفس التي سواها الله، والتي ألهمها فجورها وتقواها:

- ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس: 7-8]

وهي التي يتوفاها الله بنفسه في النوم وفي الموت:

- ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٢﴾ [الزمر: 42]

وحاولنا الفصل بيننا نحن من جهة وبين أنفسنا من جهة أخرى، وذلك لأنه في حين أن الله هو من يتوفى الأنفس بنفسه (ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ) إلا أن ملك الموت هو الذي يتوفانا نحن:

- ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١١﴾ [السجدة: 11]

وهذا الفصل واضح في السياقات التي تتحدث عن ما سيحل بنا في يوم القيامة. فنحن مأمورون حينئذ أن نذهب لنخرج أنفسنا:

- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ۝٩٣﴾ [الأنعام: 93]

السؤال: من نحن؟ وما هي أنفسنا التي سنخرجها؟ وكيف سنخرج (نحن) أنفسنا (تلك)؟

وسيكون ذلك ضرورة لا مفر منها لأن تلك النفس هي التي ستحاسب حينئذ على ما كسبت:

- ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝١٧﴾ [غافر: 17]

وذلك لأننا كنا مأمورين في الحياة الدنيا أن نقي أنفسنا وأهلينا نارا وقودها الناس والحجارة:

- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم: 6]

لتكون النتيجة المفتراة من عند أنفسنا هي أن النفس من ممتلكات الشخص كما الأهل، فنحن مأمورون بصريح اللفظ القرآني بالمحافظة عليها كمحافظتنا على أهلينا (قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا).

وبمثل هذه الافتراءات التي زعمناها من عند أنفسنا بناء على فهمنا للسياقات القرآنية التي ظننا أنها ذات علاقة بفحوى الموضوع، خلصنا إلى طرح التساؤلات التالية:

- ما هي النفس إذن؟
- متى عرضها الله على السموات والأرض والجبال ليحملنها؟
- كيف أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها؟
- لماذا أشفقن منها؟
- كيف أشفقن منها؟
- متى عرضت الأمانة على الإنسان؟
- لماذا قَبِل الإنسان على وجه التحديد أن يحملها؟
- لماذا لم يشفق منها كما السموات والأرض والجبال مثلا؟
- متى كان الإنسان ظلوما جهولا حتى تصدى لحمل تلك الأمانة؟ ألم يعلّم الله آدم الأسماء كلها؟ ألم يسجد له الملائكة؟
- لماذا لم يعرض الله تلك الأمانة على الجن مثلا؟
- ألم تكن الجن (كما الإنسان) ظلوما جهولا؟
- الخ.

هذه جملة التساؤلات التي سنحاول الخوض فيها سائلين الله وحده أن يهدينا رشدنا فلا نفتري عليه الكذب ولا نقول عليه ما ليس لنا بحق – آمين.

أما بعد،

السؤال الأول: ما هي الأمانة؟

جواب: إنها النفس التي ألهمها الله فجورها وتقواها

سؤال: لماذا؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: لأنها هي التي تعطي للإنسان حرية الاختيار فلا يعود مسخرا في شيء. فنحن نفتري الظن من عند أنفسنا بأن الإنسان يمتلك حرية مطلقة في إرادته و مشيئته و أفعاله و أقواله و تفكيره وحتى خلجاته، فلا يؤثر عليه في ذلك أحد حتى الإله نفسه. فالإله يطلع على ذلك كله لكنه لا يتدخل فيه مطلقا. وبهذا ينتفي فعل الإجبار، ويصبح من حق الإله أن يحاسب الإنسان على كل ما بدر منه (للتفصيل انظر مقالاتنا تحت عنوان: جدلية التسيير والتخيير، وهل لعلم الله حدود؟ جدلية العقل والقلب).

ليكون المشهد – كما نفهمه- على النحو التالي: إن قبول حمل الأمانة هو – نحن نزعم القول- ما جعل الإنسان عرضة للمحاسبة، فلو لم يقبل الإنسان حمل الأمانة لما حوسب على ما يصدر منه. وانظر – إن شئت- في السياق الأوسع الذي جاءت فيه آية قبول الإنسان حمل الأمانة:

- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب: 72-73]

نتيجة ما دام أن الإنسان قد حمل الأمانة فإن النتيجة الحتمية هي الفصل بين من لا يصونها (الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ) ومن يرعاها حق رعايتها (الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ).

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: مادام أن حمل الأمانة سينتج عنه التقابل بين فئتين من الناس، لذا وجب مسائلتهم عنها وبالتالي محاسبتهم عليها، فكانوا نتيجة ذلك عرضة للعذاب والثواب. لنخلص إلى القول بأنه لولا قبول الإنسان حمل الأمانة، لما كان – نحن نظن- عرضة للعقاب.

الدليل

لابد من التنبيه بداية أن النفس هي صفة مشتركة بين الإله والإنسان، فكما للإنسان نفس فإن للإله نفس وإن اختلفت في الماهية، وهذا واضحا من سياق الحوار الذي دار بين الإله نفسه وعيسى بن مريم، فانظر – إن شئت- في قوله تعالى:

- ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة: 116]

لذا، نحن سنتجرأ على تقديم الافتراء الخطير جدا التالي: لما قضى الله على كل نفس أن تذوق الموت:

- ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: 185]
- ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: 35]
- ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [العنكبوت: 57]

فإننا لا نستثنى أن تكون نفس الله تذوق الموت كذلك – فهل هناك أخطر من هذا القول؟ من يدري؟!!!

هذا ما سنقحم أنفسنا فيه لاحقا بعد أن تبين مجموعة من منطلقات التفكير التي ننوي أن نضعها بداية بين يدي القارئ الكريم لتمحيصها. وهي التي سيتم بناء عليها محاكمة مثل افتراءاتنا هذه التي لا نشك قيد أنملة بأنها خطيرة جدا لما ستكون عواقبها على العقيدة التي نؤمن بها، والتي لا نطلب من الآخرين الإيمان بها ما لم يجدوا أن الدليل من كتاب الله يثبتها، وبخلاف ذلك لا تعدو أكثر من فلتات فكرية قد لا تساوي ثمن الحبر الذي خطت به ناهيك عن الجهد الذي انفق فيها.

السؤال الثاني: متى عرض الله الأمانة على السموات والأرض والجبال ليحملنها؟

جواب مفترى: بداية لابد من لفت الانتباه إلى أحد الاستنباطات البديهية التي يمكن الخروج بها من الآية الكريمة نفسها، ألا وهو أن عرض الأمانة على السموات والأرض والجبال قد سبق عرضها على الإنسان، وأن قبول الإنسان بحمل الأمانة قد جاء بعد أن أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها. انظر الآية الكريمة جيدا من هذا الجانب، مركزا على تتابع الأحداث الذي يمكن استنباطه منها:

- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: 72]

السؤال: مادام أن قبول الإنسان حمل الأمانة قد جاء بعد أن أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها، فمتى إذن حصل ذلك؟

رأينا: لو دققنا في النص القرآني التالي لوجدنا أن خلق السموات والأرض قد بدأ في يوم من الأيام:

- ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة: 36]

بعد أن كانتا (أي السموات والأرض) رتقا، فتم ذلك بالفتق:

- ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنبياء: 30-32]

وأن ذلك قد استمر ستة أيام:

- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس: 3]

وحصل ذلك عندما كان عرشه على الماء:

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ [هود: 7]

وأن ذلك قد سبق خلق الإنسان، وذلك لأن خلق الإنسان قد جاء بعد أن خلق الله لنا ما في الأرض جمعيا ثم استوى إلى السماء ليسوهن سبع سموات:

- ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٩﴾ [البقرة: 29]

ومن الأرض مثلهن:

- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ۝١٢﴾ [الطلاق: 12]

فلقد تم إعداد الأرض كخطوة تحضيرية لوراثتها من قبل البشر الذي اتخذ الإله قراره أن يستخلفه فيها:

- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [البقرة: 30]

فالقرار الإلهي بخلافة البشر حصل - نحن نظن - بعد كانت الأرض قد وجدت من ذي قبل. وبدليل أن السموات والأرض كانتا موجودتان من ذي قبل عندما علم الله آدم الأسماء كلها وعرضهم على الملائكة:

- ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٣٣﴾ [البقرة: 33]

لذا لابد نحن نفتري القول من عند أنفسنا أن عرض الأمانة على السموات والأرض والجبال قد سبق القرار الإلهي باستخلاف بشر في الأرض، لنخلص من هذا النقاش بالافتراءات التالية:

نتيجة مفتراة (1): يخلق الله السموات والأرض والجبال قبل خلقه البشر
نتيجة مفتراة (2): يعرض الله الأمانة على السموات والأرض والجبال
نتيجة مفتراة (3): تأبى السموات والأرض والجبال أن يحملنها
نتيجة مفتراة (4): يأتي خلق البشر منفصلا عن خلق السموات والأرض في الوقت وفي الغاية

السؤال المحوري في هذا النقاش: لماذا عرض الله الأمانة على السموات والأرض والجبال؟

نحن نظن أن خلق السموات والأرض كان أمرا عظيما بحد ذاته، بدليل أن خلقهن أكبر من خلق الناس:

- ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧﴾ [غافر: 57]

فالذي كان قادرا على خلق السموات والأرض لا يعجزه خلق البشر. وانظر – إن شئت- في السياق القرآني التالي مثلا:

- ﴿۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ۝٩٩﴾ [الإسراء: 99]

نتيجة: مادام أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، ومادام أن من هو قادر على خلق السموات والأرض لا يعجزه خلق من هو دون ذلك، فيجب إذن أن نتدبر بداية الحكمة من خلق السموات والأرض الذي استمر ستة أيام:

- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس: 3]

ولو حاولنا ربط هذه الحقيقة القرآنية مع ما جاء في الآية الكريمة التالية التي تدلنا على أن يوما واحدا عند ربك كألف سنة مما نعد:

- ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٤٧﴾ [الحج: 47]

لخلصنا إلى النتيجة الرياضية البسيطة وهي إن خلق السموات والأرض قد استمر ستة الآلاف سنة مما نعد (6×1000) بالرغم أن هذا الخلق (على كبره) لم يكن ليمس الله من جراءه لغوب:

- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝٣٨﴾ [ق: 38]

إن ما نحاول أن نجهد أنفسنا للوصول إليه هو أن خلق الإنسان (بالمقارنة بخلق السموات والأرض) هو على الله هين:

- ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۝٩﴾ [مريم: 8-9]

السؤال: لماذا قضى الله هذه الفترة الزمنية الطويلة في خلق السموات والأرض مادام أن خلقهما أكبر من خلق الناس؟ ولماذا قضت مشيئة الله بأن يخلق بشرا (كخلق هين عليه) بعد أن كان قد اشتغل بخلق من هو أكبر من ذلك بكثير وهو خلق السموات والأرض؟

رأينا المفترى الخطير جدا الذي نظن أنه غير مسبوق والذي سيكون له عواقب جمة على الفهم: نحن نفتري القول من عند أنفسنا بأن خلق السموات والأرض وما بينهما لم يكن من أجل الإنسان كما يزعم معظم من سبقنا من سادتنا العلماء أهل الدراية والرواية. فالله لم يخلق السموات والأرض – نحن نفتري القول- من أجل الإنسان أبدا.

السؤال المربك: لماذا خلق الله السموات والأرض وما بينهما إذن؟

رأينا: عندما خلق الله السموات والأرض، لم يكن ليتخذ من ذلك لهوا:

- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ۝١٦ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ۝١٧ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ۝١٨ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء: 16-20]

وهو بكل تأكيد لم يكن لاعبا:

- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ۝٣٨ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٩﴾ [الدخان: 38-39]

السؤال: لماذا إذن خلق الله السموات والأرض أصلا؟ يسأل صاحبنا مستعجلا الإجابة.

رأينا المفترى: لكي يعرض عليهن حمل الأمانة:

- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢﴾ [الأحزاب: 72]

نتيجة مفتراة: خلق الله السموات والأرض والجبال كخلق عظيم (أكبر من خلق الناس) وذلك من أجل أن يعرض عليهن حمل الأمانة.

السؤال: كيف حصل ذلك؟

رأينا: ما أن خلق الله السموات والأرض حتى كان ذلك خلقا عظيما بدليل أنه أكبر من خلق الناس، وهناك تمت تسويتهن سبع سموات ومن الأرض مثلهن:

- هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (29)
- ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة: 29]
- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: 12]

وهناك عرض الله الأمانة عليهن:

- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: 72]

السؤال: كيف تمت عملية العرض؟

تخيلات: عندما كانت السموات لازالت دخانا، حصل الاستواء الإلهي إلى السماء، وهناك صدر الأمر الإلهي الأول للسماء وللأرض بأن يأتيا طوعا أو كرها:

- ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ... ﴿١١﴾﴾ [فصلت: 11]

وهناك كان القرار الذي اتخذ من قبل السموات والأرض على نحو أن يأتيا طوعا. وانظر – إن شئت- في تتمة الآية الكريمة السابقة:

- ﴿... قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت: 11]

فما كان من الإله إلاّ أن قضاهن سبع سموات ومن الأرض مثلهن:

- ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢﴾ [فصلت: 12]
- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق: 12]

النتيجة: أتت السموات والأرض طائعين.

نتيجة مفتراة: مادام أن السموات والأرض قد أتين طائعين، لذا لا يمكن لهذه المخلوقات التي أتت طائعة أن تعصي الله في شيء:

- ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ١٦ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٧ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ١٨ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾ [الأنبياء: 16-20]

ولكن لو دققنا في هذه الآية الكريمة جيدا لوجدنا شيئا عجيبا يتمحور حول السؤال المثير التالي: إذا كان من في السموات والأرض لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون (وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ)، أليس الإنسان جزء من ذلك؟ أليس نحن جزء ممن في السموات والأرض؟ فما بالنا نحن (الناس) نستكبر عن عبادته ونستحسر؟

جواب: إننا نفتري القول من عند أنفسنا أننا لسنا جزءا ممن في السموات والأرض مادام أننا يمكن أن نستكبر عن عبادته ويمكن أن نستحسر؟

سؤال: من هم هؤلاء الذين في السموات والأرض الذي لا يستكبرون عن عبادته إذن؟

جواب: نحن نظن أنهم من جاء ذكرهم في الآية الكريمة التالية:

- ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩﴾ [البقرة: 29]

لتكون الصورة على النحو التالي: يخلق الله السموات والأرض من أجل عرض الأمانة عليهن ليحملنها، ثم يخلق لنا ما في الأرض جميعا لكي يكون الإنسان هو خليفة الله في تلك الأرض. فأصبح ما في السموات والأرض قد خلق من أجل أن يسخره الله لنا:

- ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: 20]
- ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجاثية: 13]

فأصبح كل ما في السموات والأرض منزوع الإرادة ليكون مسخرا لخليفة الله في الأرض (البشر). وهذه تشمل كل ما ورد ذكره في الآيات الكريمة التالية:

- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: 164]
- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: 54]
- ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [الرعد: 2]
- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾﴾ [إبراهيم: 32]
- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ [إبراهيم: 33]
- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [النحل: 12]
- ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [النحل: 14]
- ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [النحل: 79]
- ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء: 79]
- ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الحج: 36]
- ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحج: 37]

- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج: 65]
- ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: 61]
- ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: 20]
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [لقمان: 29]
- ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر: 13]
- ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ [ص: 18]
- ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ [ص: 36]
- ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾﴾ [الزمر: 5]
- ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الزخرف: 13]
- ﴿۞ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الجاثية: 12]
- ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجاثية: 13]
- ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾﴾ [الحاقة: 7]

لكن هذا النقاش يوصلنا في نهايته إلى ما نحاول أن نجهد أنفسنا للوصول إليه وهو النتيجة التالية التي نظن أنها مهمة جدا جدا وغير مسبوقة، إلا وهي: بالرغم أن الله قد سخر لنا كل ما في السموات والأرض إلا أنه لم يسخر لنا السموات والأرض أنفسهن. لذا وجب التمييز بين السموات والأرض أنفسهن من جهة وما في السموات والأرض من جهة أخرى. فصحيح أن الله قد سخر لنا ما في السموات والأرض جميعا لكنه في الوقت ذاته لم يسخر لنا السموات والأرض أنفسهن.

السؤال: لماذا لم يسخر الله لنا السموات والأرض أنفسهن؟

جواب: لو دققنا في اللفظ على مساحة النص القرآني جيدا لوجدنا أن تسخير ما في السموات والأرض قد جاء من ذي قبل، لنخرج بالافتراء التالي:

1. خلق الله السموات والأرض ولم يسخرهما لنا

2. خلق الله ما في السموات والأرض وسخره لنا

السؤال: ما الذي يمكن أن نخرج منه من هذا الطرح؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن القرار الإلهي بخلق السموات والأرض وما فيهن قد جاء من أجلين هدفين منفصلين.

1. خلق الله ما في السموات والأرض جميعا وسخر ذلك كله لنا لتكون في خدمة المخلوق الذي اتخذ الله قراره بأن يكون خليفته في الأرض وهو البشر (آدم)
2. خلق الله السموات والأرض من ذي قبل من أجل غاية ما، لذا لم يسخرهما لهذا المخلوق. ليكون السؤال الحتمي هنا هو: لِم خلق الله السموات والأرض أصلا؟

رأينا المفترى: من أجل حمل الأمانة

- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: 72]

السؤال: لماذا أبين أن يحملنها؟

جواب: لأنهن أشفقن منها

السؤال: كيف ذلك؟

باب : أشفقن

نحن نظن مفترين القول من عند أنفسنا بأنه لا علاقة لمفردة "أشفق" المشتقة من الشفقة بالرحمة أو الرأفة على الآخرين، ولكنها تخص شفقة "الكائن" على نفسه. بمعنى أن من يشفق فهو يشفق على نفسه فقط، بسبب وقوع خطر محتمل عليه، قد يسبب له المتاعب وبالتالي العواقب التي ربما تكون وخيمة في نهاية المطاف. فها هم المجرمون مشفقون على أنفسهم مما رءاوه بسبب سوء أعمالهم:

- ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: 49]
- ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾﴾ [الشورى: 22]

فلا أظن أن شفقتهم هذه موجهة لغير أنفسهم.

و هاهم من يخشون ربهم مشفقون منها على أنفسهم

- ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨﴾ [الأنبياء: 28]
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧﴾ [المؤمنون: 57]

ولا شك أن هناك من يخاف يوم الساعة و يشفق على نفسه منها:

- ﴿ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ٤٩﴾ [الأنبياء: 49]
- ﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ١٨﴾ [الشورى: 18]

نتيجة (1): المجرمون والظالمون يشفقون على أنفسهم بعد فوات الأوان، فلا تنفعهم شفقتهم تلك

نتيجة (2) المؤمنون الذين يخشون ربهم يشفقون على أنفسهم قبل فوات الأوان

(دعاء: اللهم أسألك أن أكون ممن يشفق على نفسه قبل فوات الأوان - آمين)

نتيجة مفتراة : نحن نظن أنه عندما تم عرض الأمانة على السماوات و الأرض والجبال، فقد تم ذلك بطريقة العرض (أي التقديم مع الشرح)، فعلمن جميعا ما يمكن أن تكون تبعات حمل الأمانة، عندها أخذتهم الشفقة على أنفسهم من هول ما يمكن أن يحدث لهم إن هم حملوها. و لذلك رفضن رفضا قاطعا لا رجعة بدليل أنهن (فَأَبَيۡنَ)

باب (فَأَبَيۡنَ)

السؤال: لماذا جاء في النص القرآني أن السموات والأرض قد أبين أن يحملنها؟

رأينا: عندما يحدث الإباء من قبل كينونة ما فإن ذلك يدل على الرفض القاطع:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ

﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾ [البقرة: 282]

وهو يدل كذلك على الرفض القاطع الذي لا رجعة فيه، فهذا إبليس هو من أبى السجود لآدم:

- ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة: 34]
- ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٣١﴾ [الحجر: 31]

لذا كان قرار إبليس في هذا الجانب قطعيا لا رجعة فيه، وإلا لربما حصل تراجع من إبليس عن موقفه الأول كما فعل آدم، فلقد وقع آدم في المعصية (التي ربما نظن أنها أكبر من حيث الطبيعة من معصية إبليس)، ولكنه بالرغم من ذلك فهو لم يأب. لذا رجع تائبا إلى ربه فاستغفره فغفر له. ولكن لما كان إبليس قد أبى، فقد استحال مع ذلك احتمالية الرجوع عن ذلك الموقف.

والإباء يكون (نحن نظن) صادرا من العقيدة الراسخة في القلوب:

- ﴿كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨﴾ [التوبة: 8]

ويتم ذلك بعد أن تقدم لهم الآيات، فيعرفونها

- ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ٨٩ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ٩١ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٣﴾ [الإسراء: 89-93]
- ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ٥٠﴾ [الفرقان: 50]

ورؤيتها:

- ﴿۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [الإسراء: 99]
- ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾﴾ [طه: 56]

وقد يأتي فعل الإباء بعد القيام بأفعال معاكسة متكررة، فالله هو من يأبى إلا أن يتم نوره بعد أن أصر الظالمون على أن يطفئوا نور الله بأفواههم:

- ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة: 32]

ليصبح المشهد في أذهاننا على النحو التالي:

يخلق الله السموات والأرض وما بينهن فيسويهن سبعا:

- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: 12]

يتم عرض الأمانة على السموات والأرض والجبال، فيأتي القرار من قبل هذه المخلوقات العظيمة بالرفض القاطع، ويكون السبب في ذلك هو إشفاقهن منها:

- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: 72]

نتيجة مفتراة خطيرة جدا: تختار السموات والأرض والجبال أن لا يتحملن تبعات حمل الأمانة بالثواب والعقاب، فتبقى الأمانة (معلقة) لا حامل لها.

انتهى هذا المشهد، ويبدأ فصل جديد في الخلق وهو القرار الإلهي باستخلاف بشر في الأرض، فيكون القرار الإلهي على نحو أن يكون هذا المخلوق هو خليفة الله في الأرض:

- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: 30]

ويكون ذلك ليس من أجل الأرض نفسها ولكن من أجل ما في الأرض جميعا:

- ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٢٩﴾ [البقرة: 29]

وهنا تظهر الملائكة دهشتها واستغرابها وربما بعض الاحتجاج على ذلك:

- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٠﴾ [البقرة: 30]

ولكن الله الذي هو أعلم، يعمد إلى تعليم آدم بنفسه:

- ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٣١﴾ [البقرة: 31]

وبعد أن أقر الملائكة لآدم بهذا الفضل الإلهي، فسجدوا له، جاء القرار الإلهي أن يسكنه وزوجه الجنة، فيطلب منها أن يأكلا منها رغدا حيث شاءا باستثناء الاقتراب من شجرة واحدة:

- ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾ [البقرة: 35]

ويحذر آدم في الوقت ذاته من عداوة الشيطان له ولزوجه:

- ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ١١٧﴾ [طه: 117]

لكن آدم ينزل عند رغبة الشيطان فيذوق وزوجه الشجرة:

- ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٢٢﴾ [الأعراف: 22]

عندها يأتي العقاب الإلهي لآدم وزوجه على فعلتهما تلك على نحو الهبوط منها:

- ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٣٨﴾ [البقرة: 38]
- ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ١٢٣﴾ [طه: 123]

تنتهي القصة هناك

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: كانت معاقبة آدم وزوجه على فعلتهما هي الهبوط من الجنة، وكفى.

السؤال: كيف سيعود آدم وزوجه إلى تلك الجنة التي هبطا منها؟ وكيف سيتحصل آدم على العلم الذي نسيه مرة أخرى؟

رأينا المفترى: نحن نعتقد أن آدم لم يكن يستطيع العودة إلى الجنة التي فقدها وذلك لأنه قد خسر العلم الذي كان يؤهله للسكن فيها ألا وهو علم الأسماء الذي جاءه بتعليم مباشر من ربه.

تخيلاتنا: نحن نظن أن الذي حصل كان على النحو التالي: خلق الله ما في الأرض جميعا لآدم وزوجه، وجعل آدم خليفته في الأرض، فسخر له ما في الأرض جميعا وإن لم يكن قد سخر له الأرض نفسها. ومن أجل ذلك قام بتعليمه علم الأسماء كلها، فأسجد له الملائكة جميعا ليكونوا تحت تصرفه، يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه، فتخلف عن الركب إبليس فقط. عندها حذر الله آدم وزوجه من النزول عند رغبة الشيطان بالاقتراب من تلك الشجرة وذلك لأن إبليس قد صرّح في رده على سؤال الإله بعداوته لآدم:

- ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: 12]

لكن آدم وزوجه نزلا عند رغبة الشيطان، فذاقا الشجرة وأكلا منها. فحصلت الكارثة عندما لم يكن لآدم عزم، فقد نسي ما علمه الله إياه:

- ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه: 115]

جاء القرار الإلهي بأن يهبط آدم وزوجه من تلك الجنة مادام أنهما قد خسرا العلم

انتهت القصة

نتيجة مفتراة خطيرة جدا: كان بإمكان آدم أن يكتفي بما حصل حتى اللحظة، وتنتهي القصة هناك. ولكن ما الذي حصل بعد ذلك؟

أولا: بعد أن رضخ آدم وزوجه عند طلب الشيطان منهما الاقتراب من الشجرة، أصبحا ظالمين لأنفسهم:

- ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: 23]

نتيجة: أصبح آدم ظالما لنفسه

ثانيا، مادام أن آدم فد رضخ عند طلب الشيطان فقد نسي العلم الذي جاءه بتعليم مباشر من ربه:

- ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ۝١١٥﴾ [طه: 115]

نتيجة: مادام أن آدم قد خسر علم الأسماء الذي جاءه بتعليم مباشر من ربه عندما نسيه، فقد أصبح جهولا.

نتيجة 2: مادام أن آدم قد نسي، فهو لم يعد بشرا خالصا، فقد أصبح إنسانا (من النسيان)، هابطا من الجنة لا يستطيع العودة إليها.

السؤال: ما الخيارات المتاحة أمام آدم بعد أن أصبحت حالته ناسيا ظالما جاهلا؟

رأينا المفترى الخطير جدا: عندها تقدم آدم من تلقاء نفسه بالعرض على الإله لحمل الأمانة:

- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢﴾ [الأحزاب: 72]

السؤال: لماذا قبل الإنسان (آدم) حمل الأمانة؟

جواب: لاستعادة العلم الذي خسره لكي يعود مؤهلا للعودة مرة أخرى إلى الجنة بعد أن خسرها.

السؤال: كيف سيكون ذلك؟

جواب: بدأ ذلك بأن تلقى آدم من ربه كلمات:

- ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝٣٦ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝٣٧ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٣٩﴾ [البقرة: 36-39]

ومادام أن آدم قد قبل حمل الأمانة، فقد قبل حمل النفس التي سواها الله وألهمها فجورها وتقواها:

- ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس: 7-8]

فأصبح آدم نتيجة ذلك (أي حمله الأمانة) قادرا على الاستقلال التام عن ربه، أي أصبح مستقلا بإرادته ومشيئته وقوله، فهو يملك الأداة التي تؤهله لهذا الاستقلال ألا وهي النفس، وذلك لأن الله هو من ألهمها فجورها وتقواها:

- ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: 7-8]

عندها فقط أصبح الإنسان يستطيع أن يزكيها ويستطيع أن يدسها:

- ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: 9-10]

ولو راقبنا هذه الآيات في سياقها الأوسع لوجدنا ارتباطها المباشر بالسماء والأرض:

- ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: 5-10]

نتائج مفتراة: السماء بنيت، الأرض طحيت، النفس سويت
نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: كان ذلك كله قبل أن يتم خلق الإنسان، بدليل أن الله لم يشهدنا خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسنا:

- ﴿۞ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾ [الكهف: 51]

الفرق بين الخلافة والأمانة

بداية لابد من التمييز في سياق حديثنا هذا بين الخلافة التي خلق الله بشرا من أجلها:

- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: 30]

والأمانة التي تصدى الإنسان لحملها عندما أصبح ظلوما جهولا:

- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: 72]

السؤال: ما هي الخلافة؟

رأينا: إنها الربوبية

افتراء من عند أنفسنا: نحن نظن أن الإله قد خلق بشرا ليكون خليفته على الأرض، فيكون ذلك البشر هو رب على الأرض

السؤال: ما معنى ذلك؟
جواب : نحن نظن أن الإله قد أعطى هذا البشر (الخليفة) تفويضا بأن يقوم بتدبير شئون الأرض، فهو الذي خلق لنا ما في الأرض جميعا:

- ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة: 29]

وهو الذي سخر لنا ما في السموات وما في الأرض جميعا:

- ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجاثية: 13]

وبذلك أصبح هذا البشر هو رب الأرض. وحتى لا يستعجل القارئ بالخروج باستنباطات من عند نفسه حول ما نزعم وجب التطرق إلى موضوع الإلوهية والربوبية مرة أخرى، لنفتري القول هنا بأن هذا البشر وإن كان هو رب الأرض إلا أنه ليس بإله، ولكن الله الذي هو رب السموات والأرض هو الإله الواحد الأحد.

باب : الإلوهية و الربوبية

لقد افترينا القول سابقا بأن الربوبية منفصلة تماما عن الإلوهية، فالإلوهية شيء و الربوبية شيء آخر تماما. وزعمنا الظن بأنه يمكن لأي أحد أن يكون ربا ، و لكن ليس هناك إلا اله واحد فقط ، و يمكن أن ندلل على ذلك بالكثير من الآيات الكريمة، فلقد وردت مفردة (رب) مصاحبة للبشر، فأصبح من الممكن أن يكون هناك أرباب كثيرون و لكن لا يوجد سوى إله واحد:

- ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: 64]
- ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: 31]

فبالرغم من تعدد الأرباب، إلا أن هناك إله واحد أحد:

- ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ [يوسف: 39]

نتيجة مفتراة: مادام أن الإله هو رب فإن الإلوهية تحمل في ثناياها الربوبية، فالإلوهية توجب و تلزم وجود الربوبية، فمن هو إله يكون ربا. و لكن الربوبية – بالمقابل- لا توجب و لا تلزم وجود الإلوهية، فمن هو رب لا يستطيع أن يكون إله.

نتيجة 2: الرب أدنى منزلة من الإله. وانظر إن شئت في قوله تعالى:

- ﴿... وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ... ﴾ [آل عمران: 64]
- ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ... ﴾ [التوبة: 31]

ثالثا، نحن نجد الكثير من الآيات التي يصف الله بها نفسه بأنه رب السموات والأرض وما بينهما وأنه رب المشرق والمغرب وأنه رب العرش العظيم وأنه رب العالمين:

- ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: 65]
- ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الزخرف: 82]
- ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الشعراء: 28]
- ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الصافات: 180]
- ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: 182]

ولكن الملفت للانتباه أننا لا نجد نصا قرآنيا واحدا يصور الله على أنه إله السماوات والأرض و ما بينهما أو أنه إله العالمين أو أنه إله العرش العظيم. وجل ما نجد هو قوله تعالى:

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف: 84]

السؤال: لماذا؟

جواب مفترى: لأن الربوبية هي وظيفة، فالله سبحانه و تعالى هو رب بما يقوم به من تدبير شئون الكون الذي خلقه، فهو الذي يتحكم بالسموات والأرض والعرش، الخ. ولكن الإله هو من له حق العبادة:

- ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: 104]

فكل الذين من دون الله (وإن كانوا أربابا) لا يستحقون أن يعبدوا لأن العبادة حق خالص للإله الواحد الأحد

نتيجة: الخلافة هي ربوبية الخليفة على ما استخلف فيه، لذا فهو صاحب القرار في ذلك (أي صاحب الحكم). وانظر – إن شئت- في خلافة داوود:

- ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [ص: 26]

نتيجة مهمة جدا: من كان خليفة فهو صاحب الحكم في ما استخلف فيه.

السؤال الكبير جدا جدا: لماذا يجب علينا جميعا عبادة الإله الواحد الأحد وعدم عبادة من هم دونه؟

باب العبادة: تساؤلات

- ⇐ لماذا خلق الله آدم؟
- ⇐ لماذا استخلفه في الأرض؟
- ⇐ لماذا أخرجه من الجنة وقد كان مستخلفا فيها؟
- ⇐ لماذا سيكافئ الله الإنسان بالثواب والعقاب؟
- ⇐ ما يضر الإله لو أنه لم يخلقنا أصلا؟
- ⇐ ما الذي سيكسبه الإله من معاقبتنا؟
- ⇐ فهل تضره معاصينا؟
- ⇐ وهل تنفعه طاعتنا؟
- ⇐ ما الذي يجري؟

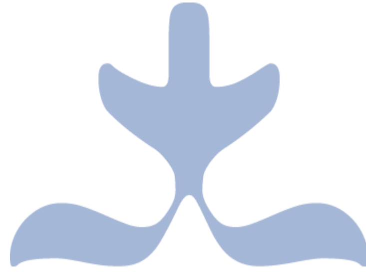
أليست هذه هي الأسئلة الوجودية التي أعيت العقل البشري؟

رأينا: تعالوا بنا نخرّص حول هذه الإجابات من هذا المنظور الذي نطرحه والذي نظن أنه غير مسبوق، لننظر ما ستؤول إليه الأمور في نهاية المطاف.

هذا ما سنحاول النبش فيه لاحقا بحول الله وتوفيقه،

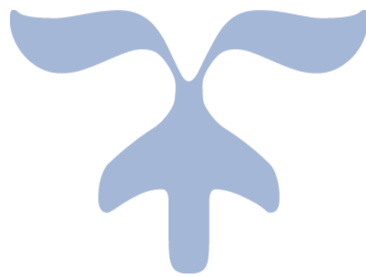
سائلين الله وحده أن يهدينا إلى نوره الذي أبى إلا أن يتمه ولوكره الكافرون الذين ما انفكوا يوما عن محاولة أن يطفئوا نور الله بأفواههم. ولكن لما كانت عقيدتنا أن الله هو من أبى إلا أن يتم نوره فإننا لا نعدم الرجاء أن يهدينا الله إليه، وأن يعلمنا ما لم نكن نعلم وأن ينفذ مشيئته وإرادته لنا الإحاطة بشئ من علمه لا ينبغي لغيرنا، إنه هو الواسع العليم - آمين.

المدّكرون رشيد سليم الجراح & محمد عبدالعزيز السيسي & علي محمود سالم الشرمان
بقلم د. رشيد الجراح
15 حزيران 2014



نظرية الأمانة

الجزء الخامس



نظرية الأمانة: الجزء الخامس

أنهينا الجزء السابق من مقالتنا هذه عند طرح التساؤل الكبير جدا التالي: لماذا يجب علينا جميعا عبادة الإله الواحد الأحد وعدم عبادة من هم دونه؟ فهل تنفع عبادتنا هذه الله في شيء؟

وقد كان دافعنا في طرح هذا التساؤل هو افتراءنا الذي مفاده بأن الإنسان قد تقدم من تلقاء نفسه لحمل الأمانة، فهي لم تعرض عليه أصلا كما حصل عندما عرضت على السموات والأرض والجبال:

- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: 72]

كما زعمنا الظن بأن الذي دفع بالإنسان لحمل الأمانة هي عوامل ثلاث:

1. النسيان
2. الظلم
3. الجهل

وقد حصل ذلك عندما هبط آدم مع زوجه من الجنة بسبب المعصية التي ارتكبها وهي الاقتراب من الشجرة. فنحن نفهم الآية أن ما دفع بالإنسان أن يتصدى لحمل الأمانة هي حالته تلك من النسيان والظلم والجهل التي وجد نفسه فيها بعد ارتكابه المعصية.

فأصبحت منطلقات التفكير عندنا في هذا الشأن على النحو التالي:

أولا، خلق الله السموات والأرض من أجل حمل الأمانة، وعندما عرضت تلك الأمانة عليهن (إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ) رفضن رفضا قاطع لا رجعة فيه (فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا). فاخترن بذلك القرار التسيير على التخيير، وكان ذلك عندما طلب الله منهن أن يأتين طوعا أو كرها:

- ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ... ﴿١١﴾﴾ [فصلت: 11]

فكان قرارهن الأوحد هو أن يأتينه طائعين:

- ﴿... قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت: 11]

فما أصبحت السموات والأرض والجبال بعد ذلك عرضة للمسائلة، ولا للمعاقبة.

ثانيا، خلق الله ما في الأرض جميعا من أجل الخليفة الذي اتخذ قراره أن يستخلفه في الأرض:

- ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٢٩﴾ [البقرة: 29]

ثالثا، سخر الله لهذا الخليفة ما في السموات وما في الأرض جميعا:

- ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ١٣﴾ [الجاثية: 13]

رابعا، لم يسخر الله لهذا الخليفة السموات والأرض أنفسهن وإن كان قد سخر له ما فيهن

خامسا: جاء القرار الإلهي باستخلاف بشر في الأرض:

- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ ... ٣٠﴾ [البقرة: 30]

سادسا، استغرب الملائكة وربما ابدوا شيئا من الاعتراض على هذا القرار الإلهي:

- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٠﴾ [البقرة: 30]

سابعا: علم الله آدم الأسماء كلها، فأصبح آدم صاحب علم يمكنه من السيطرة على كل ما هو دونه.

- ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٣١﴾ [البقرة: 31]

نتيجة مهمة جدا: أصبح آدم نتيجة لما علمه ربه مباشرة عليما. فلا يمكن أن يكون آدم في هذه اللحظة جهولا حتى يتصدى لحمل الأمانة مادام أنه كان قادرا أن ينبئ الحاضرين بأسمائهم جميعا:

- ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ٣٣﴾ [البقرة: 33]

ثامنا: سجد الملائكة كلهم أجمعون لآدم بعد عرض الأسماء عليهم، وتخلف إبليس عن ركب الساجدين:

- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة: 34]

تاسعا: صرح إبليس علانية بسبب رفضه السجود لآدم بالتكبر:

- ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: 12]

عاشرا: أسكن الله آدم وزوجه الجنة ليأكل منها رغدا حيث شاءا ولا يقربا شجرة محددة بعينها:

- ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة: 35]

أحد عشر: أخبر الله آدم بعداوة الشيطان له ولزوجه وحذره من النزول عند رغبته:

- ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾﴾ [طه: 117]

ثاني عشر: حاول إبليس إثارة الشك في نفس آدم عندما وسوس لهما عن سبب منعهما الأكل من الشجرة، وقاسمهما أنه لهما من الناصحين:

- ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف: 20-21]
- ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [طه: 120]

ثالث عشر: نزل آدم وزوجه عند رغبة الشيطان فذاقا الشجرة وأكلا منها:

- ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف: 22]
- ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ [طه: 121]

رابع عشر: اعترف آدم بالظلم الذي ارتكبه وزوجه نتيجة نزولهما عند رغبة الشيطان، فأصبحا من الظالمين:

- ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: 23]

نتيجة مهمة جدا جدا: في هذه اللحظة أصبح آدم ظالما لنفسه. وربما ظالما لغيره كزوجه مثلا، فكان بذلك ظلوما

خامس عشر: استغفر آدم وزوجه ربهما، فحصل الاجتباء الإلهي لآدم والهداية:

- ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢﴾ [طه: 122]

سادس عشر: لكن هذا الاجتباء لم يحول دون معاقبة آدم وزوجه على فعلتهما تلك بالهبوط من الجنة:

- ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣﴾ [طه: 123]

ثامن عشر: تبين للإله بأن آدم ليس له عزم عندما أضاع العهد الأول، ونسيه:

- ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ١١٥﴾ [طه: 115]

فأصبح آدم في تلك اللحظة ناسيا، عندها لم يعد آدم بشرا خالصا، ولكن لما عابه النسيان أصبح إنسانا (أي من النسيان)، ظالما لنفسه ولغيره (ظلوما)، خاسرا العلم الذي جاءه بتعليم مباشر من ربه (جهولا). وفي هذه الحالة التي وجد آدم فيها نفسه لم يكن أمامه خيرا سوى أن يتقدم بنفسه لحمل الأمانة التي أبت السموات والأرض أن يحملنها وأشفقن منها. ليكون السؤال التالي محور النقاش هو: لماذا تصدى آدم في تلك اللحظة إلى حمل الأمانة؟

مفارقة: غالبا ما فهم الناس ربما مما وجدوه عند سادتنا العلماء أهل الدراية أن المفردات ظلوما جهولا في الآية الكريمة التي تتحدث عن حمل الإنسان للأمانة قد كانت نتيجة حمله الأمانة، فهم يظنون أن الإنسان قد أصبح ظلوما جهولا عندما اختار أن يحمل الأمانة، وانظر إن شئت في أقوال سادتنا العلماء أهل الدراية كما أوصلها لنا أهل الرواية في التفسير التالي المأخوذ من عند الطبري مثلا:

القول في تأويل قوله تعالى : { إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا } اختلف أهل التأويل في معنى ذلك , فقال بعضهم : معناه : إن الله عرض طاعته وفرائضه على السموات والأرض والجبال على أنها إن أحسنت أثيبت وجوزيت , وإن ضيعت عوقبت , فأبت حملها شفقا منها أن لا تقوم بالواجب عليها , وحملها آدم { إنه كان ظلوما } لنفسه { جهولا } بالذي فيه الحظ له . ذكر من قال ذلك : 21893 - حدثني يعقوب بن إبراهيم , قال : ثنا هشيم , عن أبي بشر , عن سعيد بن جبير , في قوله : { إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها } قال : الأمانة : الفرائض التي افترضها الله على العباد . 21894 - قال : ثنا هشيم , عن العوام , عن الضحاك بن مزاحم , عن ابن عباس , في قوله : { إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها } قال : الأمانة : الفرائض التي افترضها الله على عباده . 21895 - قال : ثنا هشيم , قال : أخبرنا العوام بن حوشب وجويبر , كلاهما عن الضحاك , عن ابن عباس , في قوله { إنا عرضنا الأمانة } ... إلى قوله { جهولا } قال : الأمانة : الفرائض . قال جويبر في حديثه : فلما عرضت على آدم , قال : أي رب وما الأمانة ؟ قال : قيل : إن أديتها جزيت , وإن ضيعتها عوقبت , قال : أي رب حملتها بما فيها , قال : فما مكث في الجنة إلا قدر ما بين العصر إلى غروب الشمس حتى عمل

بالمعصية , فأخرج منها . * حدثنا ابن بشار , قال : ثنا محمد بن جعفر , قال : ثنا شعبة , عن أبي بشر , عن سعيد , عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية { إنا عرضنا الأمانة } قال : عرضت على آدم , فقال : خذها بما فيها , فإن أطعت غفرت لك , وإن عصيت عذبتك , قال : قد قبلت , فما كان إلا قدر ما بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم حتى أصاب الخطيئة. * حدثني علي , قال : ثنا أبو صالح , قال : ثني معاوية , عن علي , عن ابن عباس , قوله { إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال } إن أدوها أثابهم , وإن ضيعوها عذبهم , فكرهوا ذلك , وأشفقوا من غير معصية , ولكن تعظيما لدين الله أن لا يقوموا بها , ثم عرضها على آدم , فقبلها بما فيها , وهو قوله : { وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا } غرا بأمر الله . * حدثني محمد بن سعد , قال : ثني أبي , قال : ثني عمي , قال : ثني أبي , عن أبيه , عن ابن عباس , قوله : { إنا عرضنا الأمانة } : الطاعة عرضها عليها قبل أن يعرضها على آدم , فلم تطقها , فقال لآدم : يا آدم إني قد عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال , فلم تطقها , فهل أنت آخذها بما فيها ؟ فقال : يا رب : وما فيها ؟ قال : إن أحسنت جزيت , وإن أسأت عوقبت , فأخذها آدم فتحملها , فذلك قوله : { وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا } . 21896 - حدثنا ابن بشار , قال : ثنا أبو أحمد الزبيري , قال : ثنا سفيان , عن رجل , عن الضحاك بن مزاحم , في قوله : { إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا } قال آدم : قيل له : خذها بحقها , قال : وما حقها ؟ قيل : إن أحسنت جزيت , وإن أسأت عوقبت , فما لبث ما بين الظهر والعصر حتى أخرج منها . 21897 - حدثت عن الحسين , قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد , قال : سمعت الضحاك يقول في قوله { إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال } فلم يطقن حملها , فهل أنت يا آدم آخذها بما فيها قال آدم : وما فيها يا رب ؟ قال : إن أحسنت جزيت , وإن أسأت عوقبت , فقال : تحملتها , فقال الله تبارك وتعالى : قد حملتكها ; فما مكث آدم إلا مقدار ما بين الأولى إلى العصر حتى أخرجه إبليس لعنه الله من الجنة ; والأمانة : الطاعة . 21898 - حدثني سعيد بن عمرو السكوني , قال : ثنا بقية , قال : ثني عيسى بن إبراهيم , عن موسى بن أبي حبيب , عن الحكم بن عمرو , وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إن الأمانة والوفاء نزلا على ابن آدم مع الأنبياء , فأرسلوا به , فمنهم رسول الله , ومنهم نبي , ومنهم نبي رسول . نزل القرآن وهو كلام الله , ونزلت العربية والعجمية , فعلموا أمر القرآن , وعلموا أمر السنن بألسنتهم , ولم يدع الله شيئا من أمره مما يأتون ومما يجتنبون , وهي الحجج عليهم , إلا بينه لهم , فليس أهل لسان إلا وهم يعرفون الحسن من القبيح , ثم الأمانة أول شيء يرفع , ويبقى أثرها في جذور قلوب الناس , ثم يرفع الوفاء والعهد والذمم , وتبقى الكتب , فعالم يعمل , وجاهل يعرفها وينكرها حتى وصل إلي وإلى أمتي , فلا يهلك على الله إلا هالك , ولا يغفله إلا تارك , والحذر أيها الناس , وإياكم والوسواس الخناس , وإنما يبلوكم أيكم أحسن عملا " . 21899 -حدثني محمد بن خلف العسقلاني , قال : ثنا عبد الله بن عبد المجيد الحنفي , قال : ثنا العوام العطار , قال : ثنا قتادة , وأبان بن أبي عياش , عن خليد العصري , عن أبي الدرداء , قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خمس من جاء بهن يوم القيامة مع إيمان دخل الجنة : من حافظ على الصلوات الخمس , على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن , وأعطى الزكاة من ماله طيب النفس بها " وكان يقول : " وأيم الله لا يفعل ذلك إلا مؤمن , وصام رمضان , وحج البيت إن استطاع إلى ذلك سبيلا , وأدى الأمانة " قالوا : يا أبا الدرداء

: وما الأمانة ؟ قال : الغسل من الجنابة , فإن الله لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيره . 21900 - حدثنا ابن بشار , قال : ثنا عبد الرحمن , قال : ثنا سفيان , عن الأعمش , عن أبي الضحى , عن مسروق , عن أبي بن كعب , قال : من الأمانة أن المرأة اؤتمنت على فرجها . 21901 -حدثني يونس , قال : ثنا ابن وهب , قال : قال ابن زيد , في قول الله : { إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها } قال : إن الله عرض عليهن الأمانة أن يفترض عليهن الدين , ويجعل لهن ثوابا وعقابا , ويستأمنهن على الدين , فقلن : لا , نحن مسخرات لأمرك , لا نريد ثوابا ولا عقابا , قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وعرضها الله على آدم , فقال : بين أذني وعاتقي " ; قال ابن زيد , فقال الله له : أما إذ تحملت هذا فسأعينك , أجعل لبصرك حجابا , فإذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل لك , فأرخ عليه حجابه , واجعل للسانك بابا وغلقا , فإذا خشيت فأغلق , واجعل لفرجك لباسا , فلا تكشفه إلا على ما أحللت لك . 21902 -حدثنا بشر , قال : ثنا يزيد , قال : ثنا سعيد , عن قتادة قوله { إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال } يعني به : الدين والفرائض والحدود { فأبين أن يحملنها وأشفقن منها } قيل لهن : احملنها تؤدين حقها , فقلن : لا نطيق ذلك { وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا } قيل له : أتحملها ؟ قال : نعم , قيل : أتؤدي حقها ؟ قال : نعم , قال الله : إنه كان ظلوما جهولا عن حقها . وقال آخرون : بل عنى بالأمانة في هذا الموضع : أمانات الناس . ذكر من قال ذلك : 21903 -حدثنا تميم بن المنتصر , قال : ثنا إسحاق , عن شريك , عن الأعمش , عن عبد الله بن السائب , عن زاذان , عن عبد الله بن مسعود , عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها - أو قال : يكفر كل شيء -إلا الأمانة ; يؤتى بصاحب الأمانة , فيقال له : أد أمانتك , فيقول : أي رب وقد ذهبت الدنيا , ثلاثا ; فيقال : اذهبوا به إلى الهاوية فيذهب به إليها , فيهوي فيها حتى ينتهي إلى قعرها , فيجدها هناك كهيئتها , فيحملها , فيضعها على عاتقه , فيصعد بها إلى شفير جهنم , حتى إذا رأى أنه قد خرج زلت , فهوى في أثرها أبد الآبدين " . قالوا : والأمانة في الصلاة , والأمانة في الصوم , والأمانة في الحديث ; وأشد ذلك الودائع , فلقيت البراء فقلت : ألا تسمع إلى ما يقول أخوك عبد الله ؟ فقال : صدق . * قال : شريك , وثني عياش العامري عن زاذان , عن عبد الله بن مسعود , عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه , لم يذكر الأمانة في الصلاة , وفي كل شيء . 21904 - حدثني يونس , قال : أخبرنا ابن وهب , قال : قال ابن زيد : أخبرني عمرو بن الحارث , عن ابن أبي هلال , عن أبي حازم , قال : إن الله عرض الأمانة على سماء الدنيا , فأبت ; ثم التي تليها , حتى فرغ منها , ثم الأرضين ثم الجبال , ثم عرضها على آدم , فقال : نعم , بين أذني وعاتقي , فثلاث آمرك بهن , فإنهن لك عون : إني جعلت لك لسانا بين لحيين , فكفه عن كل شيء نهيتك عنه ; وجعلت لك فرجا وواريته , فلا تكشفه إلى ما حرمت عليك . وقال آخرون : بل ذلك إنما عنى به ائتمان آدم ابنه قابيل على أهله وولده , وخيانة قابيل أباه في قتله أخاه . ذكر من قال ذلك : 21905 - حدثني موسى بن هارون , قال : ثنا عمرو بن حماد , قال : ثنا أسباط , عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك , وعن أبي صالح , عن ابن عباس , وعن مرة الهمداني , عن ابن مسعود , وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : كان لا يولد لآدم مولود إلا ولد معه جارية , فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر , ويزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر , حتى ولد له اثنان , يقال لهما قابيل , وهابيل ; وكان قابيل صاحب زرع , وكان هابيل صاحب ضرع , وكان قابيل أكبرهما , وكان له أخت أحسن من أخت هابيل , وإن هابيل طلب أن ينكح أخت

قابيل , فأبى عليه وقال : هي أختي ولدت معي , وهي أحسن من أختك , وأنا أحق أن أتزوجها , فأمره أبوه أن يزوجها هابيل فأبى , وإنهما قربا قربانا إلى الله أيهما أحق بالجارية , وكان آدم يومئذ قد غاب عنهما , أي بمكة ينظر إليها , قال الله لآدم : يا آدم هل تعلم أن لي بيتا في الأرض ؟ قال : اللهم لا , قال : إن لي بيتا بمكة فأته , فقال آدم للسماء : احفظي ولدي بالأمانة , فأبت ; وقال للأرض , فأبت ; فقال للجبال , فأبت ; فقال لقابيل , فقال : نعم , تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك ; فلما انطلق آدم وقربا قربانا , وكان قابيل يفخر عليه فيقول : أنا أحق بها منك , هي أختي , وأنا أكبر منك , وأنا وصي والدي ; فلما قربا , قرب هابيل جذعة سمينة , وقرب قابيل حزمة سنبل , فوجد فيها سنبلة عظيمة , ففركها فأكلها , فنزلت النار فأكلت قربان هابيل , وتركت قربان قابيل , فغضب وقال : لأقتلنك حتى لا تنكح أختي , فقال هابيل { إنما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين } 5 27 : 28 إلى قوله : { فطوعت له نفسه قتل أخيه } س 5 30 فطلبه ليقتله , فراغ الغلام منه في رءوس الجبال ; وأتاه يوما من الأيام , وهو يرعى غنمه في جبل , وهو نائم , فرفع صخرة , فشدخ بها رأسه , فمات , وتركه بالعراء , ولا يعلم كيف يدفن , فبعث الله غرابين أخوين فاقتتلا , فقتل أحدهما صاحبه , فحفر له , ثم حثا عليه ; فلما رآه قال : { يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي } 5 31 فهو قول الله تبارك وتعالى : { فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه } 5 31 فرجع آدم فوجد ابنه قد قتل أخاه , فذلك حين يقول : { إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال } ... إلى آخر الآية . وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قاله الذين قالوا : إنه عني بالأمانة في هذا الموضع : جميع معاني الأمانات في الدين , وأمانات الناس , وذلك أن الله لم يخص بقوله : { عرضنا الأمانة } بعض معاني الأمانات لما وصفنا. وبنحو قولنا قال أهل التأويل في معنى قول الله : { إنه كان ظلوما جهولا } . ذكر من قال ذلك : 21906 - حدثني موسى , قال : ثنا عمرو , قال : ثنا أسباط , عن السدي { إنه كان ظلوما جهولا } يعني قابيل حين حمل أمانة آدم لم يحفظ له أهله. 21907 - حدثنا ابن بشار , قال : ثنا أبو أحمد الزبيري , قال : ثنا سفيان , عن رجل , عن الضحاك , في قوله : { وحملها الإنسان } قال آدم { إنه كان ظلوما جهولا } قال : ظلوما لنفسه , جهولا فيما احتمل فيما بينه وبين ربه . 21908 -حدثنا علي , قال : ثنا أبو صالح , قال : ثني معاوية , عن علي , عن ابن عباس { إنه كان ظلوما جهولا } غر بأمر الله . 21909 -حدثنا بشر , قال : ثنا يزيد , قال : ثنا سعيد , عن قتادة { إنه كان ظلوما جهولا } قال : ظلوما لها , يعني للأمانة , جهولا عن حقها

فهم إذن يظنون بأن حالة الإنسان من الظلم والجهل هي نتيجة لحمله الأمانة (انظر ما وضعنا تحته خط في الاقتباس السابق). وهذا ما نظن نحن بخطئه.

رأينا البديل: نحن نريد من القاري الكريم أن يعكس الصورة في ذهنه ليتفكر بالأمر على النحو المعاكس وهو أن الإنسان كان ظلوما جهولا قبل أن يحمل الأمانة وأن ذلك هو ما دفعه إلى حملها بدليل مفردة كان في النص القرآني:

- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: 72]

فنحن نفهم الآية الكريمة على نحو أن حالة الإنسان المتمثلة بالظلم والجهل كانت سابقة (وهي السبب) الذي دفعه إلى حمل الأمانة.

التميز بين العهد والأمانة.

نحن نظن أن الله قد عهد إلى آدم من قبل أن يتقدم آدم إلى حمل الأمانة، وقد حصل هذا العهد قيل أن يأمر الله الملائكة بالسجود لآدم. وانظر إن شئت في السياق التالي:

- ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾ [طه: 115-116]

السؤال: ما هو العهد الذي كان من الله إلى آدم؟

رأينا: إنه العلم (علم الأسماء كلها):

- ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [البقرة: 31]

عندها لم يكن آدم ناسيا، ولم يكن ظالما، والأهم من ذلك كله لم يكن جاهلا. فهل يعقل أن آدم قد تقدم لحمل الأمانة في تلك اللحظة؟

رأينا، كلا وألف كلا.

السؤال: فمتى إذن تقدم آدم لحمل الأمانة؟

رأينا: كان ذلك بعد أن نسي العهد الأول، فأصبح إنسانا (من النسيان) جاهلا (لأنه فقد العلم الذي جاءه من ربه)، وبعد أن نزل عند رغبة الشيطان بالأكل من الشجرة فأصبح ظالما لنفسه ولغيره. فكان ظلوما، والآن اقرأ – عزيزي القارئ- الآية الكريمة نفسها من هذا الجانب المفترى من عند أنفسنا

- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: 72]

السؤال: لماذا تقدم آدم (الإنسان) في هذه اللحظة إلى حمل الأمانة؟

جواب: نحن نظن أنه بالإضافة إلى النسيان والجهل والظلم الذي ابتلي به آدم، حصلت هناك جملة من التغيرات لآدم وزوجه أبرزها نزع اللباس عنهما لتبدى لهما سوآتهما:

- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف: 27]

فأصبح آدم (الإنسان) يعيبه كثير من صفات النقص، نذكر منها

⇐ لم يعد ذا عزم

- ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه: 115]

⇐ أصبح خلقه ضعيفا، وهنا على وهن:

- ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: 28]
- ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان: 14]

⇐ الإنسان خلق في كبد

- ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ [البلد: 4]

⇐ أصبح الإنسان أكثر شيء جدلا

- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف: 54]

⇐ الإنسان كفور

- ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾﴾ [هود: 9]
- ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [الزخرف: 15]
- ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾ [الشورى: 48]

⇐ الإنسان خصيم مبين

- ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾ [النحل: 4]

⇐ الإنسان عجول

- ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء: 11]
- ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنبياء: 37]

⇐ الإنسان هلوع

- ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾ [المعارج: 19]

⇐ الإنسان لربه كنود

- ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾﴾ [العاديات: 6]

⇐ الإنسان يئوس قنوط

- ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ [فصلت: 49]
- ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾ [الإسراء: 83]

⇐ الإنسان ظلوم

- ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: 34]

⇐ الإنسان قتور

- ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الإسراء: 100]

فماذا يمكنه (من أصبحت هذه صفاته) أن يفعل الآن؟

رأينا المفترى الخطير جدا: مادام أن صفاته قد أصبحت على تلك الشاكلة، لم يكن يستطيع آدم (الإنسان) العودة إلى الجنة التي هبط منها، وما عاد باستطاعته الحصول مرة أخرى على العلم الذي نسيه، فما عاد يستطيع أن يكون هو رب الأرض (أي الخليفة) الذي يحكم فيها بالحق. فقدْ فقدَ كل المؤهلات التي كانت تمكنه بأن يكون هو رب الأرض الذي لا ينازعه في ذلك أحد، لأن الجميع كان سيأتمرون بأمره وينتهون بنهيه لو أنه لم يخسر تلك الهبة الإلهية، فكيف سيستطيع تعويض ما فات؟

افتراء خطير جدا جدا: هنا تقدم آدم (الإنسان) بنفسه لحمل الأمانة التي أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها.

السؤال: لماذا تقدم آدم (الإنسان) إلى حمل الأمانة بنفسه؟ وما علاقة هذا بذاك؟

جواب مفترى: لكي يستطيع العودة إلى الجنة التي فقدها، ولكي يحصل مرة أخرى على العلم الذي خسره، ليعود فيكون خليفة الله في الأرض (الجنة)، يأتمر كل ما فيها بأمره وينتهي بنهيه.

السؤال: لكن كيف سيحصل على ذلك؟

جواب: لكي يتمكن من ذلك (أي العودة إلى الجنة التي فقدها)، كان لابد عليه من أن يتخلص من كل صفات النقص التي اعترته والتي ذكرناها أعلاه كالظلم والجهل والعجلة والكبد والقتور، الخ.

السؤال: وكيف يستطيع التخلص من هذه الشوائب التي طرأت عليه؟

جواب: لابد من وسيلة أو لنقل أداة محددة تمكنه من فعل ذلك.

السؤال: وماذا يمكن أن تكون تلك الأداة؟

رأينا المفترى: إنها الأمانة

افتراء خطير جدا: عندما وجد الإنسان (آدم) حالته المزرية التي تتمثل بالنسيان والجهل والظلم بعد الوقوع في المعصية، لم يكن لديه بديل عن العودة إلى ربه ليساعده للخروج مما هو فيه. فاستغفر ربه على هذا الظلم الذي وقع فيه، عندها وجد ربا رحيما يجتبيه ويهديه. أنظر موقع هذه المنة الإلهية في السياق القرآني:

- ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه: 121-123]

نتيجة مهمة: نحن نظن أن هذا الاجتباء الإلهي لآدم وهذه الهداية قد جاءت بعد الوقوع في المعصية وقبل الهبوط من الجنة.

السؤال: لماذا؟ وبكلمات أكثر دقة نحن نسأل: إذا كان الله قد اجتبى آدم وهداه بعد الوقوع في المعصية بدليل وجود أداة الانتقال الزمني (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ)، فلم أهبطه من الجنة؟ ما الحاجة للهبوط من الجنة مادام أن الله قد اجتباه بعد وقوعه في المعصية؟

جواب: لنقرأ هذه الآيات الكريمة في سياقها الأوسع:

- ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ

ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: 121-127]

نتيجة مهمة جدا: لو تدبرنا هذه الآيات الكريمة لوجدنا أن الهداية هي لمن هبط من الجنة. فما دام آدم في الجنة فهو لا يحتاج إلى هداية من ربه، ولكنه أصبح بحاجة إلى هذه الهداية عندما خسرها. لنخرج من خلال ذلك بالافتراء التالي: من كان في الجنة فهو لا يحتاج إلى هداية من ربه ولكن من هبط من الجنة فهو بحاجة إلى تلك الهداية.

الاجتباء

نحن نظن أن الاجتباء يحمل في ثناياه أمرين اثنين وهما (1) التوبة و (2) الهداية. فالتوبة وحدها لا تكفي أن يحصل فعل الاجتباء والهداية وحدها لا تكفل ذلك، وانظر ما حل بآدم نفسه بعد الوقوع في المعصية:

- ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: 122]

ونحن نفهم الآية الكريمة على نحو أن الله هو من أجتبى آدم (ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ)، وكان ذلك بأن تاب عليه وهداه (فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ).

الدليل

أولا، هناك فصل واضح بين الهداية والاجتباء

- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم: 58]
- ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى: 13]
- ﴿وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنعام: 87]

ثانيا، غالبا ما يكون الاجتباء من نصيب الرسل:

- ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٧٩﴾ [آل عمران: 179]

ويكون ذلك بمشيئة الرسول الباحث عن الاجتباء بنفسه كما حصل من إبراهيم:

- ﴿شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١﴾ [النحل: 121]

وقد يحصل هذا الاجتباء بعد وقوع كارثة محتمة كحالة صاحب الحوت الذي اجتباه ربه بعد ما أخرجه من الكرب:

- ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ٤٨ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ٤٩ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٥٠﴾ [القلم: 48-50]

وقد يكون هناك منافسه للشخص الباحث عن الاجتباء كما في حالة يوسف وإخوته:

- ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦﴾ [يوسف: 6]

وأخيرا، نحن نظن أن الاجتباء فعل لا يقدر عليه البشر، فهو فعل خاص بالإله نفسه، فحتى محمد نفسه لا يستطيع أن يجتبي:

- ﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٢٠٣﴾ [الأعراف: 203]

ولو تدبرنا جميع صيغ فعل الاجتباء لوجدنا أن الله هو من يقوم بذلك.

السؤال: كيف يحدث الله الاجتباء لمن يشاء من عباده؟

جواب: لابد أن يقدم له ما يثبت ذلك.

السؤال: كيف حصل الاجتباء الإلهي لآدم بعد وقوعه في المعصية؟

- ﴿فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢﴾ [طه: 121-122]

جواب: لو أعملنا التفكر في الآية الكريمة التالية لوجدنا أن هداية آدم قد تمت بعد أن تلقى آدم من ربه كلمات:

- ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [البقرة: 37]

السؤال: إذا كانت هداية آدم قد تمت بأن تلقى من ربه كلمات، فكيف حصل الاجتباء الإلهي لآدم؟

جواب: نحن نظن أن هذا قد تم بنفس الطريقة التي تم بها الاجتباء الإلهي لرسله:

- ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٧٩﴾ [آل عمران: 179]

ويكون ذلك – نحن نفتري القول – بتقديم الآيات له:

- ﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٢٠٣﴾ [الأعراف: 203]

التي يكون الرسول ملزم فيها بإتباع ما يوحى إليه.

نتيجة مهمة جدا جدا: الاجتباء يتم بالوحي، ولكن الهداية قد لا تحتاج إلى الوحي

فعندما اجتبى الله إبراهيم، فقد أصبح رسولا بما يوحي إليه ربه:

- ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١﴾ [النحل: 120-121]

وكذلك حصل مع صاحب الحوت:

- ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ٤٨ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ٤٩ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٥٠﴾ [القلم: 48-50]

وكذلك حصل مع يوسف:

- ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦﴾ [يوسف: 6]

نتيجة مهمة جدا: مادام أن الله قد اجتبى آدم فقد أصبح الوحي يتنزل عليه

الدليل

لو راقبنا حياة آدم في الجنة قبل الوقوع في المعصية لوجدنا أن الخطاب الإلهي معه كان مباشرا:

- ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣﴾ [البقرة: 33]
- ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾ [البقرة: 35]

وحصل ذلك حتى بعد الوقوع في المعصية وهم لازالوا متواجدين فيها ولكن ذلك تم بطريقة النداء:

- ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٢﴾ [الأعراف: 22]

ولكن ما هبط آدم وزوجه من الجنة حتى انقطع الخطاب الإلهي معهما تماما، فما عاد آدم يستطيع التواصل الإلهي المباشر، وهنا كان بحاجة إلى طريقة ليتواصل مع ربه بها، فكيف سيحصل ذلك؟

جواب: هذا ما نظن أنه الاجتباء، أي التواصل مع الإله بواسطة الوحي

السؤال: لماذا لم يستطع آدم أن يبقى على تواصل مباشر مع ربه بعد الهبوط من الجنة؟

جواب: لأنه فقد الأداة، أي أداة التواصل المباشر مع ربه؟

السؤال: وما هي تلك الأداة؟

رأينا المفترى: إنها ما كان الله قد عهده إلى آدم من قبل. إنه علم الأسماء (أو اللغة الإلهية) التي تمكنه من مخاطبة ربه مباشرة

السؤال: وكيف فقدها؟

جواب: بالنسيان:

- ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ١١٥﴾ [طه: 115]

نتيجة مفتراة مهمة جدا: لقد فقد آدم العهد (وهو الأداة التي كانت تمكنه من التواصل المباشر مع ربه)

السؤال: كيف سيستطيع آدم أن يمد جسر التواصل مع ربه من جديد؟

جواب: قضت مشيئة الله بأن لا يترك آدم، فمد معه جسر تواصل جديد ولكن هذه المرة بطريقة الاجتباء (أي الوحي)، وهذا هو أسلوب التواصل مع الإله بطريقة غير مباشرة.

تخيلات: ما أن حصل الاجتباء الإلهي لآدم حتى طلب آدم من ربه أن يعطيه ما يمكن أن يساعده في الخروج مما هو فيه من الجهل والظلم والنسيان. فعرض آدم على ربه حمل الأمانة:

- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: 72]

فحمل آدم الإنسان الأمانة، ولكن كان حمل آدم للأمانة – نحن نظن- مشروطا. فنحن نظن أن الله قد قبل أن يحمل آدم الأمانة لكن بشرط واحد.

السؤال: ما هو ذلك الشرط؟ ربما سيسأل صاحبنا مستغربا.

جواب: نحن نظن أن الشرط هو ما يمكن أن نستنبطه من صريح اللفظ في الآية الكريمة التالية:

- ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء: 58]

رأينا المفترى: مادام أن القاعدة الإلهية هي الأمر الإلهي بأن تؤدى الأمانات إلى أهلها، فإننا نظن أن الأمانة التي حملها الإنسان لابد أن تكون مشروطة بذلك : أن يؤديها من يحملها لأهلها في نهاية المطاف. فمن أخذ أمانة فلابد أن يؤديها لأهلها.

السؤال: إذا كان آدم قد أخذ الأمانة (كحاجة مستردة) من عند أهلها، فمن هم أهلها؟ وما هي الأمانة التي أمرنا الله بردها إلى أهلها؟

جواب: أليس الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة؟

- ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ [المدثر: 56]

تخيلات: نحن نتخيل أن الإله كان عنده أمانة، فخلق السموات والأرض والجبال وعرضها عليهن ليحملنها، فأبين وأشفقن منها. بقيت الأمانة معلقة، لا يحملها أحد.

خلق الله آدم ليكون خليفته في الأرض (وليس لحمل الأمانة)، فحصل أن وقع آدم في المعصية، فتبدلت حاله وساءت أوضاعه، فأصبح إنسانا ظلوما جهولا يتمتع بكثير من صفات النقص،

انقطع الاتصال المباشر لآدم مع ربه بمجرد أن هبط وزوجه من الجنة.

وجد آدم نفسه في هذا المكان المقفر الموحش، وقد اعترته عيوب كثيرة بسبب نزع الشيطان عنهما لباسهما. كان لابد لآدم من وسيله تساعده على التخلص من تلك النواقص، لجأ آدم إلى ربه، فاستغفره مقرا بظلمه الذي وقع فيه. مادام أن آدم قد رجع إلى ربه مخلصا الرجاء، كان الكرم الإلهي عليه بالاجتباء، بالتوبة والهداية، ولكن حبل التواصل المباشر كان قد انقطع، فمد الله آدم بجسر جديد من التواصل بطريقة غير مباشرة، فكان الاجتباء، وكان الوحي.

كان الهدف من ذلك الوحي هو أن يعود آد إلى ربه بالطريقة السليمة حتى يصبح مؤهلا من جديد للرجوع إلى الجنة التي فقدها بعد أن يتخلص من كل العيوب التي اعترته. فكيف سيصل إلى مبتغاه؟

جواب: تقدم آدم بالعرض أن يحمل الأمانة التي أبت السموات والأرض أن يحملنها وأشفقن منها.

جاءه الكرم الإلهي بأن حمّله الله تلك الأمانة لكي تساعده إلى العودة إلى سابق عهده قبل المعصية ومن ثم الرجوع إلى الجنة التي فقدها. -كان من المفترض بآدم أن يحافظ على تلك الأمانة حتى يؤديها إلى أهلها:

- ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ [النساء: 58]

السؤال: ما هي الأمانة التي يمكن أن تساعد آدم على التخلص مما هو فيه من عيب ونقص؟

جواب: إنها النفس التي يتوفاها الله بالموت والحياة:

- ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٤٢﴾ [الزمر: 42]

وهي التي ألهمها الله فجورها وتقواها:

- ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨﴾ [الشمس: 7-8]

السؤال: كيف يمكن لتلك الأمانة (النفس الملهمة فجورها وتقواها) أن تساعد الإنسان على التخلص مما هو فيه من النقص؟

جواب: نحن نجد الجواب في تتمة الآيات السابقة:

- ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾ [الشمس: 9-10]

افتراء خطير من عند أنفسنا: نحن نظن أن النفس التي حملها الله للإنسان كأمانة هي ما يمكّن الإنسان من الذهاب باتجاه التقوى أو باتجاه الفجور. فإذا ما اختار الإنسان أن يزكي نفسه فإن التقوى هو المحصلة، وأما إن أراد أن يذهب باتجاه أن يدسيها، فإن الفجور لا محالة واقع.

والآن أنظر في النص القرآني الذي يتحدث عن الاجتباء الرباني لآدم بعد الوقوع في المعصية في سياقه الأوسع:

- ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾ [طه: 122-124]

نتيجة: لقد حمل آدم الآن ما يمكنه من إتباع الهدى والإعراض عن ذكر ربه، فأصبح مخيرا فيما يفعل لا شأن لخالقه به سوى مراقبته، لحسابه على ما قدم لنفسه:

- ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ٣﴾ [الأنعام: 3]
- ﴿وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٣٩﴾ [الأعراف: 39]
- ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٥٢﴾ [يونس: 52]

السؤال: ما هي الأداة التي تمكن الإنسان من أن يكسب شيئا، صالحا كان أم طالحا؟

جواب: إنها النفس:

- ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٧﴾ [غافر: 17]
- ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٢﴾ [الجاثية: 22]
- ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨﴾ [المدثر: 38]

السؤال: لماذا جرت الأمور بتلك الطريقة؟ لماذا كانت تلك النفس ملهمة الفجور والتقوى؟ لِم لَم يلهم الله تلك النفس التقوى وكفى؟ فلماذا ألهمها الفجور مع التقوى؟ فما الذي يستفيده الإله عندما ألهم تلك النفس الفجور بالإضافة إلى إلهامه إياها التقوى؟ ألن يكون في ذلك حرج لنا؟ ما كان يضر الإله لو أن أنفسنا كانت كلها ملهمة التقوى؟

إن هذه التساؤلات تعيدنا على الفور إلى طرح التساؤل الأكبر: لماذا خلق الله الخلق جميعا؟

جواب: للعبادة، أليس كذلك؟

- ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: 56]

لكن هذا الجواب يثير التساؤل الأخطر وهو: لماذا يريد الله منا أن نعبده؟ ألن يكفيه أنه رب كل شي؟

- ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝١٦٤﴾ [الأنعام: 164]

ألن يكفيه أن كل شيء يسبح بحمده؟

- ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤٤﴾ [الإسراء: 44]

إذن، لنطرح التساؤلات التي تخصنا نحن بني آدم، فنذكر منها:

⇐ لماذا خلق الله آدم؟
⇐ لماذا استخلفه في الأرض؟
⇐ لماذا أخرجه من الجنة وقد كان مستخلفا فيها؟
⇐ لماذا سيكافئ الله الإنسان بالثواب والعقاب؟
⇐ ما يضر الإله لو أنه لم يخلقنا أصلا؟
⇐ ما الذي سيكسبه الإله من معاقبتنا؟
⇐ فهل تضره معاصينا؟
⇐ وهل تنفعه طاعتنا؟
⇐ ما الذي يجري؟
⇐ من يدري؟!!!

أليست هذه هي الأسئلة الوجودية التي أعيت العقل البشري؟ فهل لنا نحن الحق أن نتفكر بها كما تفكر بها غيرنا؟

رأينا: تعالوا بنا نخرّص حول هذه الإجابات من هذا المنظور الذي نطرحه والذي نظن أنه غير مسبوق، ولننتظر لنرى ما ستؤول إليه الأمور في نهاية المطاف

باب الفرق بين العبادة والتسبيح

لو دققنا في الآية الكريمة التالية لوجدنا أن السموات والأرض من فيهن جميعا يسبحن بحمد الله، وإن من شيء إلا يسبح بحمده:

- ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء: 44]

افتراء خطير (1): لو حاولنا ربط ذلك بموضوع الأمانة لربما جاز لنا أن نفتري القول بأن من يسبح بحمد الله (كالسموات والأرض ومن فيهن) فهو لا يحمل الأمانة، فبالرغم أن السموات والأرض والجبال قد أبين حمل الأمانة وأشفقن منها إلا أن هذا الرفض لم يمنعهن من التسبيح. ولو دققنا أكثر لوجدنا أن تسبيحهم هو تسبيح بحمد الله.

افتراء خطير (2) بناء على ذلك فإننا سنفتري الظن من عند أنفسنا بأن من يسبح بحمد ربه فقط، ولا يخرج عن ذلك أبدا، فهو لا يحمل نفسا قد ألهمت فجورها وتقواها، فهو يحمل نفسا قد سويت كلها تقوى، لذا فهي مسيرة قد أتت الله طائعين:

- ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١﴾ [فصلت: 11]

ولو دققنا أكثر لوجدنا أن كل هذه الأشياء التي تسبح بحمد ربها فقط هي أيضا تسجد لله:

- ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥۤ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ١٨﴾ [الحج: 18]

ولكن المتفحص لهذه الآية الكريمة يجد الفرق جليل بين هذه الأشياء التي تسبح وتسجد (أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥۤ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ) وبين الإنسان الذي قد يسجد وقد لا يسجد (وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ).

السؤال: ما الذي يمكن أن نستنبطه من ذلك؟

نتيجة مفتراة: نحن نظن أن من يسبح بحمد الله فقط ومن يسجد لله فقط فهو مسير، ولكن للإنس والجن قصة أخرى. إنها العبادة.
افتراء خطير (3) من يعبد الله فهو مخير وليس مسير
نتيجة مفتراة (4): مادام أن من يعبد الله فهو مخير، إذن لابد أن يكون قد حمل تلك الأمانة، أي النفس التي ألهمها الله فجورها وتقواها.
نتيجة مفتراة (5): هناك فرق بين تسبيح الله (طوعا - تسييرا) وبين من يعبد الله (تخييرا). فمن يسبح الله فقط لا يستطيع أن يعصيه، لذا ينتفي بهذا حق المسائلة، فهو غير مسئول عن ما يصدر عنه لأن ذلك

محتوم الطريقة والمصير، والأهم من ذلك أنه يسبح بحمد الله فلا يكسب سوءا. أما من يعبد الله، فهو مخير غير محتوم الطريقة والمصير، وهو قادر على كسب السوء.

السؤال: وما الفرق؟

جواب: تخيل أنك قمت بصناعة سيارة ما، وقد قمت ببرمجتها بطريقة ما، وهي تعمل بتلك الآلية التي بُرمجت عليها، فهل تتوقع منها أكثر مما وضعته أنت فيها؟ وهل تتوقع أن يصدر عنها ما يخالف البرنامج الذي صممته بنفسك ووضعته فيها لتعمل على أساسه؟

جواب: كلا.

سؤال: إذا كان كذلك، هل ستحاسب تلك الآلة على أفعالها المبرمجة مسبقا؟

جواب: كلا.

السؤال: وهل تكافئها على ذلك؟

جواب: كلا.

السؤال: فما فضل تلك السيارة؟ والأهم من ذلك ماذا استفدت أنت صانع السيارة من ذلك؟

الجواب: لا شيء.

نتيجة خطيرة جدا جدا: مادامت تلك السيارة تسير حسب البرنامج الموضوع فيها مسبقا، فلا تستطيع أن تحيد عنه، فهي بذلك غير مفيدة لصانعها في شيء جديد، فصانعها لا يستفيد منها كما أنها – في الوقت ذاته- لا تضره شيئا.

لكن – بالمقابل – تخيل أنك قمت بصناعة سيارة، وقمت بوضع البرنامج فيها الذي يؤهلها أن تقوم هي بما تريد من تلقاء نفسها، ولا تستطيع أنت (صانعها) أن تتنبأ بحركاتها وأفعالها في كل مرة، وقمت أنت بمراقبتها من بعيد لترقب ما ستفعل تلك الآلة، ألن يكون هذا تصميما أكثر خطورة من سابقه؟ وإذا ما قامت تلك السيارة بعمل تجاوز الحدود وأدى إلى إحداث الخراب، ألن تقوم بمعاقبتها؟ هل ستتركها تعيث فسادا في كل ما هو حولها؟ وإذا قامت بإحداث الإصلاح فيما حولها، ألن تحاول أن تكافئها وتعزز ما قامت به؟ والأهم من ذلك كله، ألن تستفيد أنت صانعها منها؟

رأينا: نحن نفهم – مفترين الظن من عند أنفسنا- سيناريو **التسبيح والعبادة** بهذه المشابهة، فالذي يسبح بحمد ربه هو كما الآلة المصممة والمبرمجة مسبقا التي لا تستطيع أن تخرج عن سيطرة صانعها. فهي لا تضره في شيء ولا تفيده في شيء مادام أن الأمور محسومة مسبقا. أما الذي يعبد ربه (الجن والإنس) فهو

غير مبرمج مسبقا، يتحكم بذاته، ويستطيع برمجة نفسه، ويمكن له أن يخرج عن إرادة خالقه (للتفصيل انظر مقالتنا تحت عنوان: مقالة في التسيير والتخيير)

السؤال: ما دخل الإله بذلك؟

رأينا: جاء خلق الجن والإنس من أجل العبادة فقط، لذا كان الجن والإنس هما المخلوقان الوحيدان اللذان يعبدان ويسبح كثير منهم ولكن ليس جميعهم، في يحن أن الأشياء الأخرى كالسموات والأرض ومن فيهن يسبحون بحمد ربهم فقط ولا يعبدونه.

السؤال: أيهما أفضل التسبيح أم العبادة؟

جواب: لا شك أن العبادة أفضل من التسبيح لأن العبادة جاءت بالاختيار بينما جاء التسبيح بالتسيير

السؤال: لماذا يريدنا الله أن نعبده؟ لم لم يخلقنا كباقي ما في السموات والأرض لنكون مسبحين بحمده فقط؟

جواب خطير جدا جدا ربما لم يسبقنا أحد إلى القول بمثله: لأن عبادتنا تنفع الإله نفسه. وهل هناك قول أخطر من ذلك؟

الدليل

لو تدبرنا السياقات القرآنية ذات العلاقة على مساحة النص القرآني لوجدنا شيئا غاية في الغرابة نظن أن سادتنا العلماء أهل الدراية لم يتنبهوا له، ألا وهو أن ما يقابل الضر هو المنفعة. وانظر – إن شئت- في الآيات الكريمة التالية:

- ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة: 102]
- ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَاۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنعام: 71]

- ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ [يونس: 18]
- ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦﴾ [يونس: 106]
- ﴿قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦﴾ [الأنبياء: 66]
- ﴿يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٢﴾ [الحج: 12]
- ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا ٥٥﴾ [الفرقان: 55]
- ﴿أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣﴾ [الشعراء: 73]

والآن لنتفقد السياقات القرآنية الخاصة بالإله نفسه، لنجد على الفور أن الإله ينفي احتمالية أن نضره في شيء. واقرأ – إن شئت- قوله تعالى:

- ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [آل عمران: 144]
- ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩﴾ [التوبة: 39]
- ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٥٧﴾ [هود: 57]

نتيجة مهمة جدا جدا: نحن لا نستطيع أن نضر الإله، أليس كذلك؟

السؤال المربك المفاجئ: إذا كان الله قد نفى احتمالية أن نضره في شيء، فهل هناك سياق قرآني واحد ينفي فيه الإله احتمالية أن ننفعه في شيء؟

جواب خطير: كلا، نحن لم نجد في النص القرآني آية كريمة واحدة تدلنا بأننا لن ننفع الله في شيء

السؤال: لماذا لم ينفي الله احتمالية أن ننفعه كما نفى احتمالية أن نضره؟

نتيجة مفتراة خطيرة جدا جدا: نحن الذين نعبد الله من الجن والإنس خلقنا – نحن نفتري القول من عند أنفسنا- من أجل منفعة تصل الإله منا. وبخلاف ذلك يصبح الخلق – نحن نظن- عبثا:

- ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: 115]

السؤال: ما المنفعة التي ينالها الله من عبادتنا إياه إذن؟

جواب: نحن نظن أن المنفعة التي ينالها الله منا هي ما جاء في قوله تعالى:

- ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحج: 37]

نتيجة خطيرة جدا جدا: نحن نفتري الظن بأن الله خلقنا (نحن معشر الجن والإنس) من أجل العبادة وذلك حتى ينال الله منا التقوى، مادام أن الله هو نفسه أهل التقوى:

- ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ [المدثر: 56]

ولو أعملنا التفكير في الغاية من جميع عباداتنا (أي الشعائر التي نقوم بها) لوجدنا أن المحصلة النهائية هي التقوى:

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: 21]
- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [البقرة: 63]
- ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [البقرة: 179]
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: 183]
- ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: 153]
- ﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [الأعراف: 171]

ولو تفقدنا الأمر الإلهي " وَاتَّقُوا اللَّهَ " في النص القرآني لوجدناه متوافرا كثيرا جدا:

- ﴿۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ [البقرة: 189]

- ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤﴾ [البقرة: 194]
- ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٩٦﴾ [البقرة: 196]
- ﴿۞وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٠٣﴾ [البقرة: 203]
- ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٢٣﴾ [البقرة: 223]
- ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٣١﴾ [البقرة: 231]
- ﴿۞وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٢٣٣﴾ [البقرة: 233]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨﴾ [البقرة: 278]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾ [البقرة: 282]

- ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾ [آل عمران: 50]
- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: 102]
- ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران: 123]
- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران: 130]
- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: 200]
- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: 1]
- ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾﴾ [النساء: 131]
- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة: 2]
- ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾ [المائدة: 4]
- ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَـٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [المائدة: 7]
- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: 8]
- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [المائدة: 11]
- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المائدة: 35]
- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [المائدة: 57]
- ﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [المائدة: 88]

- ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [المائدة: 96]
- ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المائدة: 100]
- ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [المائدة: 108]
- ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [المائدة: 112]
- ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال: 1]
- ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنعام: 69]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: 119]
- ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾ [هود: 78]
- ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾﴾ [الحجر: 69]
- ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [الشعراء: 108]
- ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾ [الشعراء: 110]
- ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾﴾ [الشعراء: 126]
- ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾﴾ [الشعراء: 131]
- ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾﴾ [الشعراء: 144]
- ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾﴾ [الشعراء: 150]
- ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾﴾ [الشعراء: 163]
- ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾﴾ [الشعراء: 179]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ [الأحزاب: 70]
- ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾﴾ [الزخرف: 63]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحجرات: 1]

- ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾ [الحجرات: 10]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [الحجرات: 12]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨﴾ [الحديد: 28]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٩﴾ [المجادلة: 9]
- ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ [الحشر: 7]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحشر: 18]
- ﴿وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ فَعَاقَبۡتُمۡ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ١١﴾ [الممتحنة: 11]
- ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦﴾ [التغابن: 16]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١﴾ [الطلاق: 1]
- ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ١٠﴾ [الطلاق: 10]

وجاءت صيغة "اتقوا ربكم" في سياقات أخرى:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: 1]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١﴾ [الحج: 1]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣﴾ [لقمان: 33]
- ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠﴾ [الزمر: 10]

وجاء خطابا خاصا بالنبي نفسه بأن يتقي الله:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١﴾ [الأحزاب: 1]
- ﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ٣٧﴾ [الأحزاب: 37]

وجاء أمرا لكل إنسان حتى الكافر منهم:

- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٢٠٦﴾ [البقرة: 206]

نتيجة مهمة جدا جدا: جاء خلق الله الجن والإنس من أجل عبادته حتى ينال الله منا التقوى من جراء عبادتنا إياه.

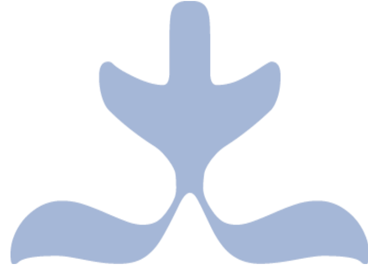
تساؤلات:

⇐ ما هي التقوى؟
⇐ كيف ينالها الله منا؟
⇐ ولماذا يريدها الله منا؟

هذا ما سنحاول النبش فيه لاحقا بحول الله وتوفيقه،

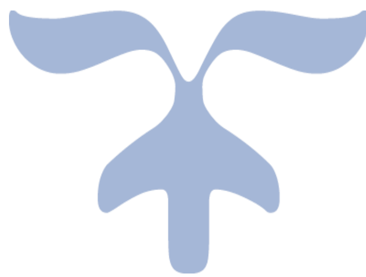
سائلين الله وحده أن يهدينا إلى نوره الذي أبى إلا أن يتمه ولو كره الكافرون الذين ما انفكوا يوما عن محاولة أن يطفئوا نور الله بأفواههم. ولكن لما كانت عقيدتنا أن الله هو من أبى إلا أن يتم نوره فإننا لا نعدم الرجاء أن يهدينا الله إليه، وأن يعلمنا ما لم نكن نعلم وأن ينفذ مشيئته وإرادته لنا الإحاطة بشيء من علمه لا ينبغي لغيرنا، إنه هو الواسع العليم - آمين.

المدّكرون: رشيد سليم الجراح & محمد عبدالعزيز السيسي & علي محمود سالم الشرمان
بقلم د. رشيد الجراح
17 حزيران 2014



نظرية الأمانة

الجزء السادس



الجزء السادس- نظرية الأمانة

خلصنا في الجزء السابق عند الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧﴾ [الذاريات: 56-57]

وطرحنا عندها التساؤل الكبير جدا التالي: لماذا قضت مشيئة الله بأن يخلق الجن والإنس لعبادته؟ فما الذي يستفيده الإله من جراء تلك العبادة؟

وقدمنا الافتراء الخطير جدا الذي هو - لا شك- من عند أنفسنا والذي مفاده أن الإله ينتفع من عبادة الجن والإنس. فظننا مفترين القول من عند أنفسنا أن تلك المنفعة تتمثل في التقوى التي ينالها الله منا:

- ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٣٧﴾ [الحج: 37]

فخلصنا إلى النتيجة المفتراة التالية: خلق الله الجن والإنس من أجل عبادته حتى يناله التقوى من جراء عبادة الجن والإنس له.

عندها كان لزاما إثارة التساؤلات التالية:

⇐ ما هي التقوى؟
⇐ كيف ينالها الله منا؟
⇐ ولماذا يريدها الله منا؟
⇐ الخ.

لذا سنحاول في هذا الجزء الجديد متابعة حديثنا عن موضوع الأمانة التي تقدم الإنسان لحملها لما كان ظلوما جهولا، أي بعد أن خسر العلم الذي تلقاه مباشرة من ربه:

- ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣١﴾ [البقرة: 31]

وحصل كل ذلك بعد أن اقترب آدم وزوجه من الشجرة التي حذرهما الله من الاقتراب منها من ذي قبل:

- ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾ [البقرة: 35]

فوجد آدم نفسه ظلوما جهولا نتيجة فعلته تلك، فكان لابد له من اللجوء إلى ربه ليمنّ عليه بأدوات بديلة تسهّل عليه عملية عودته مرة أخرى إلى الجنة التي أخرجه منها الشيطان:

- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٢٧﴾ [الأعراف: 27]

فكيف سيخرج آدم من هذا الجهل وهذا الظلم الذي أوقع نفسه فيه؟

رأينا: عندما خرج آدم من الجنة كانت النتيجة الحتمية أن الجنة لن تكون مصيره ومصير ذريته جميعا، فقد نزل آدم وزوجه عند رغبة الشيطان، وكانت النتيجة الحتمية لذاك القرار الذي اتخذه آدم وزوجه هو الهبوط من الجنة كليا:

- ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٩﴾ [البقرة: 38-39]

ولكن المدقق في السياق القرآني جيدا يجد أن ذرية آدم ستنقسم لا محالة إلى قسمين رئيسيين (ربما غير متساوين في العدد):

1. من اتبع هدى ربه (فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ)
2. ومن أعرض عن ذكر ربه (وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ)

فكان القرار الإلهي بأن من اتبع هدى ربه فلن يضل ولن يشقى بينما ستكون نهاية من أعرض عن ذكره أن له معيشة ضنكا وسيحشر أعمى:

- ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ١٢٤﴾ [طه: 123-124]

وهنا بالضبط حصل أن ذرأ الله لجهنم كثيرا من الإنس كما كان لها نصيبا كبيرا في الجن:

- ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: 179]

التساؤلات

⇐ متى حدث ذلك؟

⇐ وكيف حدث ذلك؟

⇐ لماذا حدث ذلك؟

السؤال الأول: متى حدث ذلك؟

لننظر في الآية الكريمة السابقة نفسها في سياقها الأوسع ضمن سياقها القرآني الأوسع:

- ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: 172-180]

ملحوظة مهمة: لو تفقدنا هذا السياق القرآني جيدا، لوجدنا (ربما بما لا يدع مجالا للشك) أن ذلك قد حصل عندما أخذ الله من بني آدم (وليس من آدم نفسه) ذريتهم ليشهدهم على أنفسهم؟

السؤال: لماذا لم يحصل ذلك لآدم نفسه؟

رأينا: كان آدم معدا مسبقا ليكون خليفة الله في الأرض (الجنة)، فعلمه الله بنفسه الأسماء كلها، وأسكنه وزوجه الجنة ليأكلا منها حيث شاءا رغدا. فما كان آدم يحتاج إلى هداية من ربه لأن ربه هو من جعله خليفة له، وهو من علمه بنفسه. ولكن ما أن نزل آدم وزوجه عند رغبة الشيطان حتى فقد آدم العلم الذي علمه إياه ربه، فأصبح من الظالمين:

- ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: 23]

وهنا جاء القرار ألإلهي بالهبوط من الجنة:

- ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأعراف: 23-25]

وهنا- نحن نظن- حصل أن ذرأ الله لجنهم كثيرا من الإنس كما كان قد ذرأ لها كثيرا من الجن من ذي قبل:

- ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: 179]

ولو تفقدنا السياقات القرآنية التالية لوجدنا أن الله قد ذرأنا في الأرض بعدما كان قد استخلفنا فيها:

- ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المؤمنون: 79-80]
- ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الملك: 22-24]

السؤال: ما معنى أن الله قد ذرأنا في الأرض؟

جواب: نحن نظن أن الله قد تخلى عنا، فأصبحنا على الحالة التي وضعنا فيها أنفسنا.

الدليل

لو تفقدنا السياق القرآني التالي لوجدنا أننا مأمورون أن لا نذر المرأة كالمعلقة:

- ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾ [النساء: 129]

وها هم الملأ من آل فرعون يحتجوا بأن يذر فرعون موسى وقومه بعد أن ذرأ موسى فرعون وآلهته:

- ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ١٢٧﴾ [الأعراف: 127]

وها هو زكريا يدعو ربه أن لا يذره على تلك الحالة التي هو فيها:

- ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩﴾ [الأنبياء: 89]

وها هم الذين يأتون الذكران من العالمين من آل لوط يذرون ما خلق لهم ربهم من أزواجهم:

- ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ١٦٦﴾ [الشعراء: 166]

وها هو قوم يدعون بعلا ويذرون أحسن الخالقين:

- ﴿أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٢٥﴾ [الصافات: 125]
- ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣﴾ [نوح: 23]

وها هي الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم

- ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ٤٢﴾ [الذاريات: 42]

وها هو نوح يدعو ربه أن لا يذر على الأرض من الكافرين ديارا

- ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ٢٧﴾ [نوح: 26-27]

وها هي سقر لا تبقي ولا تذر

- ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ٢٧ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ٢٨﴾ [المدثر: 27-28]

وهناك كثير من الناس من يحبون العاجلة ويذرون الآخرة:

- ﴿كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ٢١﴾ [القيامة: 20-21]

وما دام أن الشيء الذي ذرأ قد أصبح على تلك الشاكلة، فهو إذا عرضة للتأثيرات الخارجية فيصبح كالهشيم الذي تذروه الرياح:

- ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ٤٥﴾ [الكهف: 45]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: بعد أن جاء القرار الإلهي بهبوط الجميع من الجنة، كان الله بذلك قد ذرأنا في الأرض:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٧٨ وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٧٩﴾ [المؤمنون: 78-79]

- ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٢٢ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٢٣ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٢٤﴾ [الملك: 22-24]

فأصبحنا عرضة للتأثيرات الخارجية، وفي هذه اللحظة بدأ آدم (وذريته من بعده) يحتاج إلى هداية من ربه.

السؤال: لماذا أصبح آدم بحاجة إلى هداية من ربه؟

جواب: لأن آدم أصبح الآن في وضع يمكن (بسبب التأثيرات الخارجية عليه) أن يذهب في كلا الاتجاهين وهما:

1. أن يتبع هدى من ربه
2. أن يعرض عن ذكر ربه

- ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ۝١٢٤﴾ [طه: 123-124]

ومادام أن الأمر قد أصبح على تلك الشاكلة من الهداية والإعراض، كان لا مفر من أن يذرأ الله لجهنم كثيرا من الإنس:

- ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ۝١٧٩﴾ [الأعراف: 179]

فالله (نحن نستنبط القول) قد ذرأ لجهنم ممن ذرأهم في الأرض:

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٧٩﴾ [المؤمنون: 79]

﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾ [الملك: 24]

منطقنا المفترى: نحن نظن بأنه لو لم ينزل آدم عند رغبة الشيطان بالأكل من الشجرة، لما ذرأنا الله في الأرض، ولما ذرأ الله لجنهم جزءا كبيرا منا، لأن النتيجة الحتمية ستكون استمرار آدم وزوجه وذريته من بعده السكن في الجنة.

ولكن لمّا نزل آدم عند رغبة الشيطان، وقع في المحظور، فظفرت جهنم بجزء كبير من ذريته.

السؤال: لماذا؟

جواب: لأن آدم آثر الجهل على العلم والظلم على الهداية؟

السؤال: كيف ذلك؟

جواب مفترى مهم جدا: عندما أصبح هناك احتمالية أن يكون له قلب لا يفقه وأعين لا تبصر وآذان لا تسمع. وذلك لأن هذا هو نصيب جهنم من الإنس والجن. واقرأ -إن شئت- ما جاء في الآية نفسها:

- ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف: 179]

السؤال: أليس نصيب جهنم من الإنس والجن هم الذين لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها؟

السؤال: ألم يكن لآدم قلب وأعين وآذان قبل المعصية؟ فما الذي اختلف بعد الوقوع في المعصية؟

جواب مفترى خطير جدا جدا: نعم، نحن نظن أنه كان لآدم قبل المعصية قلب وأعين وآذان، لكنه لم يكن يحتاج أن يشغّلها، وذلك لامتلاكه العلم الذي جاءه مباشرة من ربه:

- ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣﴾ [البقرة: 31-33]

⇐ افتراء 1: نحن نفتري القول أن آدم بامتلاكه علم الأسماء كلها الذي جاءه بتعليم مباشر من ربه لم يكن بحاجة أن يعتمد على قلبه ليفقه أو على آذانه لتسمع أو على أعينه لتبصر. فكان آدم يعيش بالجنة مستخدما (ومعتمدا بالكليّة على) ما علمه الله وهو علم الأسماء كلها

⇐ افتراء 2: ما أن نزل آدم عند رغبة الشيطان حتى خسر آدم علم الأسماء كلها، فوجد نفسه ظلوما جهولا.

⇐ افتراء 3: ما أن جاء القرار الإلهي بهبوط الجميع من الجنة حتى تلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه:

- ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٩﴾ [البقرة: 36-39]

السؤال: مادام أن الله قد تاب على آدم، فلِم يهبطه من الجنة؟ نحن نسأل

رأينا المفترى من عند أنفسنا: نحن لا نعتقد بأن الهبوط من الجنة له علاقة بتوبة آدم إطلاقا، وذلك لأنه لو كان الهبوط من الجنة مرتبطا بالتوبة لما كان آدم سيهبط بعد أن رجع عن خطأه وأقر بذنبه وتاب إلى ربه. ولكننا نفتري القول من عند أنفسنا (ربما مخطئين) بأن سبب هبوط آدم من الجنة هو خسارته لعلم الأسماء كلها الذي حصل عليه بتعليم مباشر من ربه. فمن أراد أن يسكن الجنة (نحن نظن) فلابد له من أن يكون عالما بالأسماء كلها حتى تستطيع أن تأكل منها حيث تشاء رغدا. ومادام أن آدم قد خسر علم الأسماء كلها، لذا لم تعد الجنة هي المكان المؤهل أن يسكنه من لا يملك علم الأسماء كلها. فقد فقد آدم العلم الذي يمكنه من مناداة الأشياء بمسمياتها الحقيقية، وهذا بالضبط ما نفهمه من الآية الكريمة التي تبين أن آدم قد وقع في فعل النسيان:

- ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ١١٥﴾ [طه: 115]

(للتفصيل انظر مقالتنا النظرية العالمية – الجزء الأول والثاني)

فكان لابد لآدم (مادام أن حالته قد أصبحت على هذه الشاكلة) من أن ينتقل إلى مكان آخر، فكان الهبوط.

ولو تدبرنا الآيات الكريمة الخاصة بالهبوط من الجنة جيدا، لوجدنا أن الأمر الإلهي بالهبوط قد صدر مرتين: مرة قبل التوبة ومرة أخرى بعد التوبة. وانظر – إن شئت- في هذا السياق القرآني:

- ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٣٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٣٩﴾ [البقرة: 36-39]

ليكون السؤال هو: لماذا؟ أو كيف نفهم أن الله قد أمر آدم وزوجه بالهبوط من الجنة (وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) ثم يتلقى آدم من ربه كلمات فيتوب الله عليه (فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) ثم يأتي بعد ذلك الأمر بالهبوط مرة أخرى (قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن ما حصل كان (في مخيالنا) على النحو التالي:

1. يعلم الله آدم علم الأسماء كلها ليكون خليفته في الأرض (الجنة)
2. ينزل آدم عند رغبة الشيطان بالاقتراب من الشجرة.
3. يأتي الأمر الإلهي لأدم بالهبوط من الجنة، فينتقل آدم إلى الأرض (غير الجنة) ليكون له فيها مستقرا ومتاعا إلى حين. ومن هذا المنطلق نفهم بداية السياق القرآني السابق:

- ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝٣٦﴾ [البقرة: 36]

السؤال: ما المختلف فيما تقول؟ أليس هذا هو الفكر السائد؟

جواب: صحيح أن هذا هو الفكر السائد باستثناء استنباط واحد جديد ننوي أن نفتريه من عند أنفسنا وهو: لو أن الأمر توقف عند هذا الحد لما ترتب على ذلك عقاب ولا ثواب لآدم بعد ذلك على فعلته، أي لربما عاش آدم في الأرض كمستقر ومتاع إلى حين، ولانتهت القصة هناك.

السؤال: ما الذي حصل بعد ذلك؟

رأينا المفترى: لم يكن هذا النوع الجديد من الحياة ليرضى آدم: فلم يكن آدم ليقبل أن يكون له في الأرض مستقر ومتاع إلى حين وكفى. فلقد كان آدم يطمع أن يعود من جديد إلى الجنة التي خسرها. فما العمل؟

جواب: لكي يتحقق لآدم ذلك، كان لابد له من أن يعود إلى ربه ليمنَّ عليه من جديد، فيمكنه من العودة إلى الجنة التي فقدها. وهنا جاءت (نحن نفتري القول) قصة الكلمات التي تلقاها آدم من ربه:

- ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝٣٧﴾ [البقرة: 37]

وما أن تلقى آدم تلك الكلمات حتى عاد أمر الهبوط يظهر من جديد ولكن بشروط جديدة:

- ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: 38-39]

والآن قارن عزيزي القارئ ما جاء في أمر الهبوط الأول الذي صدر قبل أن يتلقى آدم الكلمات من ربه وأمر الهبوط الثاني الذي صدر بعد أن تلقى آدم الكلمات من ربه:

أمر الهبوط الأول:

- ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة: 36]

تلقي الكلمات:

- ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: 37]

أمر الهبوط الثاني:

- ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: 38-39]

السؤال: ألا ترى – عزيزي القارئ- أن هناك شروطا جديدة ظهرت في أمر الهبوط الثاني لم تكن موجودة في الأمر الأول؟

السؤال: ما هي الشروط الجديدة؟

رأينا: نحن نجد أن أمر الهبوط الجديد هذا قد اشترط الثواب والعقاب. أما الثواب فقد جاء في قوله تعالى:

- ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة: 38]

وأما العقاب فقد جاء في قوله تعالى مكملا ما سبق:

- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: 39]

السؤال: كيف حصل ذلك؟

رأينا: نحن نظن أن ذلك حصل عندما طرأ تغير كبير جدا على قلب وأعين وآذان آدم (وذريته من بعده). فقد أصبح من الممكن لتلك القلوب (نحن نفتري القول) أن تعقل أو لا تعقل وأصبح من الممكن لتلك الآذان أن تبصر أو لا تبصر وأصبح من الممكن لتلك الآذان أن تسمع أو لا تسمع. فكان نصيب جهنم منهم هو ما جاء في الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف: 179]

السؤال: وكيف ذلك؟ ما الذي وضع تلك الخاصية في القلوب والآذان والأبصار؟ لماذا أصبح من الممكن أن تذهب في كلا الاتجاهين؟

رأينا الخطير جدا جدا: إنها النفس التي ألهمها ربها فجورها وتقواها:

- ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾ [الشمس:7-10]

تخيلات مفتراة: لما خلق الله آدم وضع فيه نفس فسواها:

- ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ٧١ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢﴾ [ص:71-72]
- ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٢٨ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٢٩﴾ [الحجر: 28-29]

فكانت نفس آدم تلك في حالة ثبات لأنها كانت نفس مسوّاة، ونحن نظن أن في التسوية استقرار للحالة. فكانت على حالة واحدة وهي إقرار العبودية لله. فبالرغم أن آدم قد وقع في المعصية إلا أنه لم ينكر أن الله هو ربه. فكانت تلك النفس تشهد لربها بالوحدانية والعبادة. ولكن ما أن هبط آدم من الجنة حتى وجد نفسه في مكان ما (غير الجنة) ليكون له فيها مستقرا ومتاعا إلى حين:

- ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦﴾ [البقرة: 36]

فعلم آدم أن هذا المكان ليس أبدي، وأن النهاية حتمية فيه، والأهم من ذلك أنه لا رجعة إلى الجنة التي خرج منها إن هو بقي على تلك الشاكلة.

وهنا بالضبط (نحن نتخيل) عاد آدم الذي أصبح ظلوما جهولا إلى ربه، فتقدم من ربه طالبا حمل الأمانة التي أبت السموات والأرض أن يحملنها وأشفقن منها، وذلك لكي تمكّنه من العودة إلى الجنة مرة أخرى، وهنا قضت مشيئة الله أن يحمّله تلك الأمانة.

السؤال: ما هي الأمانة التي تقدم آدم إلى حملها؟

جواب: لم تكن الأمانة هي النفس المسوّاة فقط، لأن تلك النفس المسواة هي من نصيب من كان يسكن الجنة، وإنما كانت النفس الملهمة فجورها وتقواها:

- ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝١٠﴾ [الشمس:7-10]

فمن زكاها فقد أفلح لأنه بذلك يكون قد اتبع هدى من ربه، ومن دسّاها فقد خاب لأنه يكون بذلك قد أعرض عن ذكر ربه، وهذه في ظننا هي شروط الأمر الإلهي بالهبوط الذي صدر بعد أن تلقى آم من ربه كلمات فتاب عليه:

- ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝٣٦ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝٣٧ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٣٩﴾ [البقرة: 36-39]

وهذا في ظننا ما يؤكده سياق قرآني آخر يخص الحادثة نفسها:

- ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤﴾ [طه: 123-124]

نتيجة مفتراة 1: كان آدم يسكن الجنة كخليفة لله في الأرض بنفس مسوّاة (مقرّة بالعبودية لله الواحد الأحد)

نتيجة مفتراة 2: هبط آدم من الجنة بتلك النفس المسوّاة إلى الأرض لتكون له مستقرا ومتاعا إلى حين

نتيجة مفتراة 3: كان يمكن لآدم أن يقبل بذلك الوضع، فيعيش في الأرض كمستقر ومتاع إلى حين وكفى، فلا يترتب على ذلك عقاب ولا ثواب ولا عودة إلى الجنة التي خسرها

نتيجة مفتراة 4: لم يرضى آدم بالوضع الذي وجد فيه نفسه، فكان راغبا بالعودة إلى الجنة التي خسرها

نتيجة مفتراة 5: لكي يستطيع آدم العودة إلى الجنة التي خسرها كان لابد من وجود آلية جديدة تمكّنه من ذلك، فتقدم آدم لحمل الأمانة كخيار أوحد للعودة إلى الجنة مرة أخرى

نتيجة مفتراة 6: جاءت الرحمة الإلهي لآدم بتحميله تلك الأمانة حتى يستطيع العودة إلى الجنة التي خسرها، ولكن ذلك كان يتطلب المخاطرة، مادام أنه سترتب عليه الثواب والعقاب

نتيجة مفتراة 7: رضي آدم بالمخاطرة، فحمل تلك الأمانة التي كانت عبارة عن تغير جذري في النفس، فبدل أن تكون نفسه مسوّاة وكفى (كما كان في الجنة) تدين بالعبودية لربها، أصبحت نفسه ملهمة فجورها وتقواها، أي يمكن أن تقبل بالهداية ويمكن أن تعرض عن الذكر.

السؤال: كيف تم ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن غاية آدم كانت تتمثل في الحصول مرة أخرى على العلم الذي خسره (أو لنقل نسيه) بسبب وسوسة الشيطان له ولزوجه. وذلك لأن الحصول على علم الأسماء كلها هو فقط ما سيمكنه من أن تعود حياته على الأرض جنة خالصة كما كانت من ذي قبل، فيكون بذلك خليفة الله فيها، فيكون هو ربها، الذي يأتمر كل ما فيها بأمره وينتهي بنهيه. ولكن كيف سيحصل آدم على هذا العلم مرة أخرى؟

جواب: بأدوات الحصول على العلم وهي تتمثل في طريقين:

1. الحصول عليه بتعليم مباشر من ربه، وهذا أمر أصبح مستحيلا مادام أن الله قد عهده إلى آدم من قبل ولم يجد له عزما:

- ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ١١٥﴾ [طه: 115]

2. الحصول عليه بأدوات جديدة.

السؤال: ما هي أدوات الحصول على العلم؟

رأينا المفترى: إنها أدوات الإدراك: القلب والآذان والأعين

نتيجة مفتراة: نحن نظن أنه من أجل الحصول على العلم بأدوات الإدراك الحسية هذه، فلابد من توافر المشغّل لها. فما الذي سيشغل هذه الأدوات في الجسم لتعمل؟

رأينا المفترى الخطير جدا جدا: إنها النفس الملهمة فجورها وتقواها.

تخيلات: نحن نتخيل الذي حصل على النحو التالي: عندما وجد آدم نفسه فاقدا العلم الذي جاءه بتعليم مباشر من ربه، وجد نفسه خاسرا الجنة التي كان يسكنها، ولكي يعود إليها لابد له من استرجاع هذا الكنز العظيم، ولكن لم يكن أمامه إلا طريقة واحدة تتمثل في تشغيل أدوات الإدراك الحسي لديه وهي القلب والأعين والآذان. فكيف سيستطيع تشغيلها؟

جواب: كان لابد له من حمل الأمانة والتي تتمثل في تلك النفس الملهمة فجورها وتقواها، فهي الوحيدة القادرة على تشغيل هذه الأدوات (القلب والأعين والآذان) لتعمل من أجل الحصول على العلم المفقود.

3. ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل: 78]

فكانت تلك هي أدوات الإدراك والمسائلة:

4. ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ [الإسراء: 36]

وهي التي أنشاها الله لنا عندما ذرأنا في الأرض لكي نحشر إليه مرة أخرى لنحاسب عليها:

5. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٧٨ وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٧٩﴾ [المؤمنون: 78-79]

6. ﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٢٣ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾ [الملك: 23-24]

وما أن يتم تشغيل تلك الأدوات، حتى كانت النار لمن:

- ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧﴾ [البقرة: 7]

إن ما يهمنا طرحه هنا هو الظن بأن آدم قد احتاج إلى تشغيل أدوات الإدراك الحسي من أجل الحصول على العلم الذي خسره ومن ثم العودة إلى الجنة التي خسرها من جديد.

السؤال: وهل هذا ممكن؟هل يمكن أن نسترجع ذلك العلم (علم الأسماء كلها) الذي تعلمه آدم مباشرة من ربه؟

جواب: لو لم يكن ذلك ممكنا لما قَبِل الله أن يحمل آدم الأمانة، فقبول الله أن يحمل آدم الأمانة ليعود من خلالها إلى الحصول على علم الأسماء كلها ومن ثم العودة مجددا إلى الجنة يحمل في ثناياه إمكانية حصول ذلك.

السؤال: وأين الدليل على ذلك؟ أين الدليل أن في قبول الإله أن يحمل آدم الأمانة احتمالية أن يحصل آدم على العلم الذي نسيه من جديد؟

رأينا: نحن نجد الدليل على ذلك في الآية الكريمة التالية:

- ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ٢٢ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣﴾ [الأنفال: 22-23]

رأينا المفترى: لمّا علِم الله أن هناك من الدواب شرها الذين لا يعقلون حتى لو أسمعهم، كان القرار الإلهي هو أن لا يسمعهم لأنه لو أسمعهم لتولوا وهم ومعرضون.

ولكن لما علم الله (نحن نحاول أن نستنبط) أن هناك احتمالية أن لا يتولى من هم من ذرية آدم لأنهم ليسوا من شر الدواب، جاء القرار الإلهي أن يسمعهم، وهذا بالضبط ما حصل، فعندما أسمعهم لم يتولوا جميعا، فهناك من لم يعرض عن ذكر ربه وإن كان هناك من أعرض عن ذكر ربه:

- ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: 123-124]

السؤال: لماذا إذن رضي الله أن يُسمِع آدم وذريته من جديد؟

جواب خطير جدا: من أجل تحقق العلم الإلهي بهم.

السؤال: ما معنى ذلك؟ ألا ترى أنك تفتري قولا خطير جدا ربما يكون غير مسبوق؟ يسأل صاحبنا.

جواب: بلى هو كذلك. نحن نحمل العقيدة التي مفادها أن الإله وجد خلقه الجديد (آدم) في حالة من عدم الاستقرار، فهم لن يكونوا جميعا معرضين عن ذكره، ولكنهم في الوقت ذاته لن يكونوا جميعا متبعين لهداه. فكيف سيميز الإله نفسه مَن مِن هؤلاء سيتبع هداه ومن منهم سيعرض عن ذكره. فكان القرار الإلهي هو أن يحملهم الأمانة وهي النفس التي ألهمها فجورها وتقواها ليعلم الله من يزكيها ومن يدسّها منهم:

- ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس:7-10]

نتيجة: عندما علم الله من هم من شر الدواب، لم يكن الله ليسمعهم لأنه لو أسمعهم لتولوا وهم معرضون. لذا، فالعلم الإلهي بمثل هؤلاء (شر الدواب) محسوم تماما. ولكن القصة كانت مختلفة بالنسبة للناس، فالناس ليسوا كشر الدواب:

- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: 28]

فالقصة بالنسبة للناس كانت مختلفة عن شر الدواب وذلك (نحن نظن) لاحتمالية أن لا يعرضوا جميعا لو أن الله أسمعهم. ولما كان الإله لا يعلم من منهم سيتبع هواه ومن منهم سيعرض عن ذكره، لم يكن العلم الإلهي بهم محسوم تماما. وهنا جاء القرار الإلهي أن يسمعهم ليعلم بنفسه من منهم سيتبع هداه ومن منهم سيعرض عن ذكره. ومن هذا المنطلق المفترى من عند أنفسنا يمكن لنا أن نقرأ الآن الآيات

القرآنية التي تتحدث عن علم الله بما سيكون عليه حال الناس من خلقه. فكانت (نحن نفتري قولا خطيرا) مصلحة متبادلة بين الإله والناس. فالإله يريد أن يعلم والإنسان يريد الجنة. ولكن المؤكد بالنسبة لنا أن دخول الجنة لن يحصل إلا بعد حصول العلم الإلهي بحالنا:

- ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾ [آل عمران: 142]

والآن انظر – عزيزي القارئ- في السياقات القرآنية الخاصة بالعلم الإلهي بحالنا في صيغها المتعددة، وهي:

وردت مصحوبة بلام التعليل "أو الغاية" بصيغة الحصر على نحو " إِلَّا لِنَعْلَمَ ":

- ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣﴾ [البقرة: 143]

وجاءت غير محصورة على نحو " لِيَعْلَمَ ":

- ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠﴾ [آل عمران: 140]
- ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٦٦ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ١٦٧﴾ [آل عمران: 166-167]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٩٤﴾ [المائدة: 94]
- ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ٢٥﴾ [الحديد: 25]
- ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٢٠ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ٢١﴾ [سبأ: 20-21]

ووردت نفس الصيغة ولكن بشيء من التوكيد اللفظي على نحو وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ:

- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِۖ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ١١﴾ [العنكبوت: 10-11]

وجاءت على صيغة السؤال الاستنكاري على نحو أَمۡ حَسِبۡتُمۡ... وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ:

- ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾ [آل عمران: 142]
- ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٦﴾ [التوبة: 16]

وجاء جواب أحسب مؤكدا:

- ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾ [العنكبوت: 2-3]

والملفت للانتباه أن الله سبحانه وتعالى يحدث أمراً ما، ليتحصل العلم بأمر آخر، فها هو يبعث أهل الكهف من رقدتهم تلك " لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا " :

- ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ١٢﴾ [الكهف: 12]

وها هو يبتلي بعض عباده ليحصل العلم، فالمدقق في اللفظ القرآني في الآية التالية يجد أن استخدام "حتى" تدل على الغاية من الابتلاء، أليس كذلك؟

- ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ٣١﴾ [محمد: 31]

والمدقق في الآية الكريمة التالية يجد أن علم الله في هذا الأمر لم يكن سبباً لحصوله بل نتيجة له، بدليل وجود ظرف الزمان الذي يدل على وقت حصول العلم بالأمر:

- ﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٦٦﴾ [الأنفال: 66]

للتفصيل انظر مقالتنا تحت عنوان: مقالة في التسيير والتخيير وسلسلة هل لعلم الله حدود؟

إن ما يهمنا طرحه هنا هو أنه لمّا علم الله احتمالية أن لا يتولى بعض الناس وهم معرضون لو أنه أسمعهم، رضي الإله بأن يسمعهم وذلك من أجل هدف واحد: ليعلم الإله نفسه من يؤمن من هؤلاء ومن لا يؤمن منهم، فكان لابد من تشغيل أدوات الإدراك الحسي عندهم وهي القلب والأعين والآذان. فأودع في

الإنسان نفسا ملهمة فجورها وتقواها. فتحرر الإنسان من ارتباطه بخالقه، فكان نتيجة ذلك أن ذرأنا الله في الأرض، وجعل لنا السمع والأبصار والأفئدة:

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٧٨ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٧٩﴾ [المؤمنون: 78-79]
- ﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٢٣ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾ [الملك: 23-24]

السؤال: كيف تشتغل تلك الأدوات؟

باب : وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ

نحاول في هذا الباب طرح السؤال المحوري التالي: متى جعل الله لنا السمع والأبصار والأفئدة؟

جواب: عندما حاولنا النبش في هذه الجزئية وجدنا لزاما علينا أن نبدأ النقاش بالآية الكريمة التالية من سورة السجدة:

- ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٩﴾ [السجدة: 7-9]

لأنها تصور عمليات متتالية في الخلق، ألا وهي:

⇐ الخلق من الطين (وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ)

⇐ جعل من الطين ماء مهينا (مَّآءٖ مَّهِينٖ)

⇐ جعل من الماء المهين السلالة (مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ)

⇐ جعل النسل من السلالة (جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ)

⇐ التسوية (ثُمَّ سَوَّىٰهُ)

⇐ نفخ الروح (وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ)

⇐ وأخيرا، جعل السمع و البصر و الفؤاد (وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ)

لقد أثارت مفردات هذه الآية الكريمة بالترتيب الذي جاءت فيه حفيظتنا في طرح بعض التساؤلات، نذكر منها:

⇐ ما دلالة مفردة جعل في الآية (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ)؟ أي لماذا جاء السمع والبصر إلينا بطريقة الجعل؟ ولم لم يأتي – مثلا- بطريقة الخلق مثلا؟

⇐ ما دلالة مفردة " لَكُمُ " في هذا السياق (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) بالرغم أن الحديث في الآية جار حول الخلق الأول؟ وبكلمات أكثر دقة نحن نتساءل: إذا كانت الآية تتحدث عن الخلق الأول (أي خلق آدم)، فلماذا لم يقل الله (جعل له السمع و البصر و الفؤاد)؟ ولماذا قال (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ)؟ فما علاقتنا نحن بهذا مادام أن الخلق الأول كان لآدم؟

⇐ الخ.

رأينا المفترى من عند أنفسنا: تحدثنا في الأجزاء السابقة عن مراحل خلق آدم (البشر الأول)، فظننا أن خلق آدم قد مر بثلاث مراحل مفصلية، هي:

1. مرحلة الطين (الخلق)
2. مرحلة التسوية (النفس)
3. مرحلة النفخ (الروح)

ليكون السؤال – إن صح زعمنا هذا- هو: متى جعل الله السمع والبصر والفؤاد في هذا الخلق الجديد؟ أي في أي مرحلة حصل ذلك؟

للإجابة على هذا التساؤل كان لابد من جلب السياقات القرآنية التالية معا:

- ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [السجدة 9]
- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المؤمنون: 78]

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: 78]

لذا، كان لزاما علينا أن نحاول أن نتدارس مفردات هذه الآيات الكريمة جيدا قبل محاولتنا الخروج بافتراءات هي من عند أنفسنا. وأظن أن السؤال الأول يتعلق بالمشاهدة التي مفادها أن الله قد جعل السمع والأبصار والأفئدة جعلا (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) وأنه قد أنشأها كذلك إنشاء (أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ): فكيف جُعلت؟ وكيف أُنشئت؟

باب الجعل :(وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ)

جاء في مقالتنا تحت عنوان صلاة الاستسقاء (5) عن الفعل جعل في النص القرآني ما مفاده "بأن من أبسط معاني الفعل الثلاثي **جعل** واشتقاقاته هو التحول من حالة إلى حالة، فأنت عندما تقول "جعلت الدقيق خبزاً" فأنت إنما حوّلته من حالة "الدقيق" إلى حالة "الخبز"، كما في كثير من السياقات القرآنية:

- ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ٩٦﴾ [الكهف:96]

فزبر الحديد لم يكن ناراً إلى بعد أن "جَعَلَهُۥ نَارٗا" بواسطة النفخ.

- ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٣﴾ [الزخرف: 3]

ومادام أن القرآن قد جُعِل عربيا، فقد زعمنا القول بأن القرآن الكريم لم يكن في مصدره الذي جاء منه أصلاً عربياً وإنما تم تحويله من صيغته (حالته) الأولى غير العربية إلى صيغة أخرى جديدة وهي العربي، وحصل ذلك بطريقة التفصيل:

- ﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣﴾ [فصلت: 3]

فالتحول من حالة إلى حالة جديدة واضحة في الفعل جعل الذي يرد في سياقات قرآنية كثيرة. وانظر – إن شئت- في قوله تعالى:

- ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ٧﴾ [الطلاق: 7]
- ﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ١٧﴾ [المزمل: 17]
- ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة: 22]
- ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ٥٣﴾ [طه: 53]
- ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٣١﴾ [الأنبياء: 31]
- ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ٣٢﴾ [الأنبياء: 32]

وثم حاولنا التأكيد في مقالتنا تلك بأن الحالة التي كانت قبل الجعل هي الأصل أما الاستثناء فهو في الحالة التي تمت بعد الجعل، كما تدبرها في بعض السياقات القرآنية:

- ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ ٣٠﴾ [ابراهيم: 30]
- ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٩٦﴾ [الحجر: 96]
- ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ٥٧﴾ [النحل: 57]

فالأصل – نحن نظن- يتمثل في أن ليس لله أنداداً، وليس مع الله إلهاً آخر، وليس لله البنات، وما كان ذلك إلاّ افتراءً على الله بعد أن جعلوه له.

ونحن إذ نتبنى ما جاء في مقالاتنا السابقة حول هذه الجزئية، لنود في الوقت ذاته أن نضيف إلى ذلك افتراءات أخرى هي من عند أنفسنا عن الفعل "جعل":

⇐ قد يكون "الجعل" تغييرا كاملا للحالة

- ﴿وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ٥٣﴾ [البقرة: 53]
- ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ٢٢﴾ [طه: 22]
- ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ٧٢﴾ [النحل: 72]

⇐ قد يكون "الجعل" تغيرا كاملا في طريقة الخلق

- ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٨﴾ [السجدة: 8]

⇐ قد يكون "الجعل" من حالة إلى حالة مخالفة لها في الطبيعة:

- ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ٨٠﴾ [يس: 80]
- ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٦٠﴾ [المائدة: 60]

⇐ قد يكون "الجعل" من حالة ما إلى الحالة المعاكسة لها تماما:

- ﴿۞ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ٥٤﴾ [الروم: 54]
- ﴿قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٣٤﴾ [النمل: 34]

⇐ قد يكون "الجعل" من أجل التسخير

- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٧٩﴾ [غافر: 79]
- ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾ [الملك: 15]

⇐ قد يكون "الجعل" بطريقة إدخال شيء في شيء آخر

- ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٥﴾ [يوسف: 15]
- ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٦٢﴾ [يوسف: 62]
- ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ۝٧٠﴾ [يوسف: 70]
- ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٩﴾ [البقرة: 19]
- ﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧﴾ [نوح: 7]

⇐ قد يكون الجعل دلالة على استدامة التغيير

- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۝٧١﴾ [القصص: 71]
- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٧٢﴾ [القصص: 72]

⇐ قد يكون الجعل تغيرا غير دائم في الشيء

- ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٢٥﴾ [الأنعام: 125]

⇐ قد يكون الجعل تغيرا مفاجئا وسريعا للغاية:

- ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٤٣﴾ [الأعراف: 143]
- ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۝٨٢﴾ [هود: 82]

النتيجة المفتراة من عند أنفسنا : الجعل هو تغير في حالة الشيء يحدث دفعة واحدة بطريقة سريعة و مفاجئة، قد يكون مخالفا أو معاكسا للحالة الأصلية، وقد يكون تغيرا مستداما أو مؤقتا

باب الإنشاء: (أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ)

جاء في مقالاتنا تحت عنوان ماذا ستفعل النساء في الجنة؟ الافتراءات التالية عن الفعل "أنشأ":

أولا : عملية الإنشاء لا يترتب عليها اختلاف في الصنف

- ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ١٣٣﴾ [الأنعام: 133]

فنحن نظن بأنه على الرغم أن الله قد أنشأنا من ذرية قوم آخرين، ألا أننا قد لا نختلف عنهم في الصنف، فهم كانوا بشرا و نحن لازلنا بشرا (مادام أننا قوم كما كانوا هم قوما).
وكذلك حصل في خلق الأجنة :

- ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون: 14]

فلو نتج عن عملية الإنشاء اختلاف في الصنف لما كان هناك داع لوجود عبارة (خَلْقًا ءَاخَرَ) مصاحبة لمفردة (أَنشَأْنَٰهُ) في السياق السابق. ويمكن التدليل على تلازم الصنف من الآية الكريمة التالية:

- ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ١٢﴾ [الرعد: 12]

فالسحاب ينشأ إنشاء لأنه لا يزال (نحن نظن) يحمل الماء الذي نشأ منه.

ثانيا : نحن نفتري بأن الإنشاء هو تحول تراكمي تدريجي، أي تحول من حالة ما إلى حالة أكثر تقدما لا يحدث دفعة واحدة (كما في الجعل مثلا)، وبكلمات إجرائية، نقول بأن الإنشاء هو (جعل بطيء) لنفس الصنف:

- ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ١٤١﴾ [الأنعام: 141]

وكما ينشئ الله الجنات على فترة من الزمن، كذلك هو ينشئ السحاب الثقال:

- ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ١٢﴾ [الرعد: 12]

وكما ينشئ السحاب شيئا فشيئا، ينشئ الله أمما كثيرة:

- ﴿وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ١١﴾ [الأنبياء: 11]

وكذلك تحول الأجنة في الأرحام يتم شيئا فشيئا بطريقة الإنشاء:

- ﴿ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون: 14]

وإذ نتبنى افتراءاتنا السابقة هذه، لنود في الوقت ذاته أن نضيف إليها افتراءات أخرى هي من عند أنفسنا:

الإنشاء يتطلب حتمية وجود الشيء الذي سينشأ عنه ، بمعنى وجود شيء سابق ثم ينشأ عنه شيء جديد لكنه غير مخالف له فإنشاء الناس كن لابد أن يسبقه وجود الأرض التي سينشئون منها:

- ﴿۞وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ٦١﴾ [هود: 61]
- ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾ [النجم: 32]

وإنشاء الناس كان يتطلب وجود النفس الواحدة الأولى:

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ٩٨﴾ [الأنعام: 98]

و لإنشاء السمع و البصر و الفؤاد كان لابد (نحن نظن) أن يسبقه وجود الآذان و الأعين و الصدور التي سينشأ فيها:

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [المؤمنون: 78]

النتيجة المفتراة من عند أنفسنا: الإنشاء هو تحول تراكمي تدريجي، أي تحول من حالة إلى حالة أكثر تقدما و ليس دفعة واحدة، أي أن الإنشاء هو (جعل بطيء) لنفس الصنف، فلا يترتب عليه أي تغير في الصنف، و يتطلب وجود الأصل حتى تتم عملية إنشاء شيء آخر منه

الجعل	الإنشاء
الجعل هو تغير الشيء من حالة إلى حالة أخرى يحدث دفعة واحدة بطريقة سريعة و مفاجئة، قد يكون مخالفا أو معاكسا للحالة الأصلية، وقد يكون تغيرا مستداما أو مؤقتا	الإنشاء هو تحول تراكمي تدريجي للشيء، أي تحول من حالة إلى حالة أكثر تقدما، لا يحصل دفعة واحدة، لذا فهو جعل بطيء لنفس الصنف، ولا يترتب عليه أي تغير في الصنف، و يتطلب وجود الأصل حتى تتم عملية إنشاء شيء آخر منه

عودة على بدء

- ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٩﴾ [السجدة:9]

السؤال: مادام أن هذه الآية الكريمة تتحدث عن الخلق الأول (أي آدم)، فلماذا لم يقل الله (جعل له السمع و البصر و الفؤاد)؟ ولماذا قال (وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ)؟ فما علاقتنا نحن بهذا إذا كان الخلق الأول قد حصل لآدم؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: بداية لابد من التفريق بين هذه التي نرغب بتسميتها بالحواس الإدراكية (ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ) والأعضاء الحسية التي تقوم بهذه المهام وهي (الآذن و الأعين و القلب):

- ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف: 179]

نتيجة مفترة 1: يمكن أن يكون هناك قلوب ولكن قد لا يكون هناك تعقل (فقه) (لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا)

نتيجة مفتراة 2: يمكن أن يكون هناك عيون ولكن قد لا يحدث الإبصار (وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا)

نتيجة مفتراة 3: يمكن أن يكون هناك آذان ولكن قد لا يحصل السمع (وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ)

فنحن نظن أن آذان الإنسان تلتقط جميع الأصوات التي تحصل في محيطه، ولكن ما يسمعه منها هو (نحن نزعم) ما يستطيع أن يميّزه منها فقط. ونحن نظن أن الإنسان قد ينظر إلى جميع الموجودات المحيطة به، و لكن ما يبصره هو ما يستطيع أن يميزه منها فقط. ونحن نظن أن الإنسان تمر به الكثير من الحوادث من حوله، و لكن ما يعقله منها هو ما يدركه منها فقط:

- ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦﴾ [الحج: 46]
- ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف: 179]

لذا، فإن الذي يملك الآذان والأعين والقلوب ولا يستفيد منها فهو كالأنعام بل أضل، وهو الذي يسمى بالغافل. وانظر - إن شئت - ماذا فعل من كان في غفلة:

- ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ٣﴾ [الأنبياء: 1-3]

فهؤلاء هم من ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وهم من جعل الله على أبصارهم غشاوة:

- ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧﴾ [البقرة: 7]

(دعاء: أعوذ بك رب أن أكون من الغافلين، وأسألك ربي أن تكشف الأكنة عن قلبي والوقر من أذني وأن تزيل الغشاوة عن بصري – آمين)

- ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٥﴾ [الأنعام: 25]

تلخيص: إنّ ما نود قوله من هذا النقاش هو:

⇐ الأذن تلتقط الأصوات، ولكن ما تستطيع أن تعرفه وأن تميزه مما سمعته هو ما يمكن تسميته بالسمع.
⇐ العين يمكن أن تنظر ويمكن أن ترى الموجودات كلها، و لكن ما تستطيع أن تعرفه وأن تميزه هو ما يمكن تسميته بالبصر
⇐ القلب يمكن أن تمر به أحداث كثيرة، و لكن ما تم إدراكه و تمييزه و معرفة أسبابه و نتائجه هو ما يمكن أن يسمى بالفؤاد

السؤال: ما علاقة هذا كله بخلق آدم الأول؟

رأينا المفترى الخطير جدا جدا 1: كل ما اكتسبه ادم بعد النفخ من صفات جديدة لم تكن متوافرة في مادة أصل الخلق (الطين من تراب و ماء)، لذا فقد جعلت جعلا، وانظر إن شئت في الآية الكريمة قيد الدراسة نفسها:

- ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩﴾ [السجدة 7-9]

وهكذا كانت بالنسبة لنا (نحن من ذريته):

- ﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٢٣﴾ [الملك: 23]

ولكن لو تدبرنا النص القرآني أكثر لوجدنا أن الله قد قال شيئا غاية في الغرابة – ربما نتخيل- عن الذرية. واقرأ – إن شئت- قوله تعالى:

- ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٧٨﴾ [النحل: 78]

إن المتدبر لهذه الآيات الكريمة يجد أن جعل السمع والبصر والفؤاد قد نُسب لنا نحن ذرية آدم ولا نجد أنه قد نسب إلى آدم نفسه، أليس كذلك (وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ)؟

السؤال: لماذا نسبت تلك الحواس (وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ) لنا؟ لِم لَم تُنسب لآدم؟

جواب مفترى خطير جدا جدا: لأنها (نحن نفتري القول من عند أنفسنا) أدوات الإدراك بعد فقدان العلم:

- ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٧٨﴾ [النحل: 78]

منطقنا المفترى: مادام أن الله قد أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئا، كان لابد أن يزودنا بآليات الإدراك التي تمكننا من الحصول على العلم (الذي خسره آدم) من جديد، وأدوات استرجاع ذاك الكنز العظيم هي السمع والأبصار والأفئدة. فنحن يجب أن نشكر ربنا على هذه الآليات التي زودنا بها وإلا لكنا كالأنعام بل أضل سبيلا ولبقينا ما حيينا من الغافلين.

السؤال: ماذا عن آدم نفسه؟

رأينا: لم يكن آدم يحتاج إلى هذه الآليات لأن الله عندما خلق آدم علمه الأسماء كلها بنفسه:

- ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٣١﴾ [البقرة: 31]

لذا، لم يكن آدم بحاجة إلى آليات السمع والبصر والفؤاد مادام أنه قد حصل على العلم بتعليم مباشر من ربه.

السؤال: هل تريد أن تقول بأن آدم لم يكن يسمع أو يبصر ولم يكن له فؤاد ليفقه؟

جواب: نعم. هو كذلك؟

سؤال: وكيف كان شكله إذن؟

رأينا: لقد كان شكله كشكلنا، فلقد كان له آذان وكان له أعين وكان له قلب، ولكن هذه الأعضاء الحسية لم تكن مهمتها الأولى السمع والبصر والفؤاد حتى تستطيع أن تعقل ما يدور حولها. فقد كان آدم يستطيع تدبير أمره دون الحاجة إلى تشغيل هذه الأعضاء.

السؤال الأخطر: و ماذا كان آدم عند خلقه و نفخ الروح فيه؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: لقد كان آدم بدنا

السؤال: وما معنى أن يكون آدم بدنا؟

باب البدن

جاء قوله تعالى في تصوير ما حلّ بفرعون بعد غرقه على النحو التالي:

- ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ۝٩٢﴾ [يونس:92]

إن أغرب مفارقة شعرنا بها في هذه الآية الكريمة قد جاءت من مفردة النجاة (نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ) الخاصة بفرعون. فبعد تفقد جميع السياقات القرآنية التي وردت فيها مفردة النجاة وجدناها (نحن نفتري القول) خاصة بالأحياء كما في السياقات القرآنية التالية:

فالله هو من نجّى بني إسرائيل، ولا شك أن بني إسرائيل كانوا أحياء عندما حصلت لهم تلك النجاة:

- ﴿وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ۝٥٠﴾ [البقرة: 50]

والله هو من نجّى نوح ومن ركب معه في الفلك، ولا شك أنهم كانوا جميعا أحياء:

- ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ ۝٦٤﴾ [الأعراف:64]

والله هو من نجّى لوطا ومن آمن معه، ولا شك أنهم كانوا أحياء:

- ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنبياء: 74]
- ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأعراف: 83]

والله هو من نجّى موسى عندما كان حيا:

- ﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [طه: 40]

والله هو الذي نجّى إبراهيم بعد أن ألقي في النار:

⇐ ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [العنكبوت: 24]

والله هو الذي نجّى كثيرا من رسله ومن آمن معهم مثل صالح وشعيب:

⇐ ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ [هود: 66]

⇐ ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [هود: 94]

والله هو من ينجى على الدوام كل يدعوه:

- ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: 65]
- ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾ [لقمان: 32]
- ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنعام: 63]
- ﴿۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾﴾ [غافر: 41]
- ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف: 165]

السؤال المثير جدا: مادام أن فرعون قد غرق مع قومه:

- ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾﴾ [الإسراء: 103]

فكيف حصلت نجاته لوحده؟ فكيف يقول الله لنا في كتابه العزيز أنه قد نجّى فرعون بعد أن كان قد أغرقه؟

جواب مفترى خطير جدا جدا لا تصدقوه (جاءنا من عند صديقنا في الادكار المهندس محمد السيسي): عندما نجّى الله فرعون ببدنه لم يكن قد قضى الله بالموت على فرعون بعد. فلقد نجّى الله فرعون من الغرق، فما مات فرعون أبدا نتيجة ذلك الغرق.

السؤال: وكيف حصل ذلك؟

جواب: لقد نجى الله فرعون ببدنه حتى يكون لمن خلفه آية. فكيف كان ذلك؟

باب : مفردة (خَلْفَكَ)

رأينا: نحن نفتري الظن بأن مفردة (خَلْفَكَ) التي جاءت للحديث عن عاقبة فرعون في الآية الكريمة التالية:

- ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس:92]

لا تدل على أن فرعون سيكون آية للأقوام التي تأتي بعده في الزمن، و لكنها تدل (بمنطقنا المفترى هذا) فقط على القوم الذين خلفوا فرعون في وراثة و حكم الأرض التي كان يحكمها فرعون بنفسه. وانظر -إن شئت- في سياق الآية الكريمة نفسها الأوسع:

- ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [يونس: 92-93]

فالذين خلفوا فرعون في الأرض هم قوم موسى (بني إسرائيل)، وهم الذين أورثهم الله مشارق الأرض ومغاربها، وكان ذلك بالاستخلاف:

- ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩﴾ [الأعراف: 129]
- ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ١٣٧﴾ [الأعراف: 137]
- ﴿فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٥٣ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ٥٤ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ٥٥ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ٥٦ فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٥٧ وَكُنُوزٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ٥٨ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٥٩ فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ ٦٠﴾ [الشعراء: 53-60]
- ﴿۞ وَلَقَدۡ فَتَنَّا قَبۡلَهُمۡ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ كَرِيمٌ ١٧ أَنۡ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٨ وَأَن لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٩ وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ ٢٠ وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ ٢١ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ ٢٢ فَأَسۡرِ بِعِبَادِي لَيۡلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ٢٣ وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ٢٤ كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٢٥ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ٢٦ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ٢٧ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ٢٨﴾ [الدخان: 17-28]

نتيجة خطيرة جدا: نحن نظن بأن نجاة فرعون ببدنه كانت آية لمن خلفه، وهم بنو إسرائيل و أهل مصر حينئذ فقط . ولو تفقدنا مفردات الآية الكريمة التالية، لوجدنا أن قوم فرعون كانون (1) سلفا و (2) مثلا للآخرين:

- ﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٥١ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ٥٢ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ٥٣ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٥٤ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥٥ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ٥٦﴾ [الزخرف: 51-56]

سؤال : كيف كان قوم فرعون سلفا؟ ولمن كانوا سلفا؟

سؤال: كيف كان قوم فرعون مثلا للآخرين؟ ومن هم الآخرون الذين كان قوم فرعون مثلا لهم؟

جواب: نحن نظن أن مفردة سلفا تعني ما مضى و انقضى، أي كان ماضيا فأعقبه شيءٌ جديد، فقوم فرعون هم سلفا لبني إسرائيل.

- ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٣٨﴾ [الأنفال:38]
- ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَمَقۡتٗا وَسَآءَ سَبِيلًا ۝٢٢﴾ [النساء: 22]
- ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ۝٢٤﴾ [الحاقة: 24]

سؤال : وما دلالة عبارة (وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ)؟ ومن هم هؤلاء الآخرون؟

جواب مفترى: نحن نظن أنه في حين أن فرعون كان أية و سلفا لمن جاء بعده من الخلف ووراثة الأرض من بني إسرائيل، كان فرعون مثلا (من ضرب الأمثال) فقط للآخرين، أي الأقوام التي ستأتي من بعد بني إسرائيل، وأظن أننا منهم.

باب الآية

السؤال: من الذين كانوا آية؟ ولمن كانوا آية؟

جواب: كان عيسى آية للناس:

- ﴿قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ۝٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ۝٢١﴾ [مريم: 20-21]

وكان الذي أماته الله مئة عام آية للناس:

- ﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٢٥٩﴾ [البقرة:259]

ولكن فرعون كان آية لمن خلفه فقط (أي لم يكن آية للناس):

- ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ۝٩٢﴾ [يونس:92]

منطقنا المفترى: لو كانت نجاة فرعون آية لنا لجاء اللفظ القرآني (نحن نظن) على نحو أن الله جاعله آية للناس، ولكن لما كانت نجاة فرعون ببدنه هي آية فقط لمن جاء خلفه من بني إسرائيل، جاء اللفظ القرآني ليصور ذلك على أن نجاة فرعون ببدنه كانت آية لمن خلفه فقط:

- ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ٩٢ وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٩٣﴾ [يونس: 92-93]

الدليل: مفردة (آية)

نحن نفتري الظن أن الآية يمكن أن تكون لمن جاءتهم تلك الآية فقط، كالناقة مثلا:

- ﴿وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ٦٤﴾ [هود: 64]

فالناقة لمن تكن آية للناس جميعا، ولم تكن آية لمن خلف أولئك القوم، ولكنها كانت آية لأولئك أنفسهم. وكذلك كانت جميع الآيات التي جاء بها موسى إلى فرعون وقومه:

- ﴿وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ١٢﴾ [النمل: 12]
- ﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢١١﴾ [البقرة: 211]
- ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ٢٢﴾ [طه: 22]

ولكن هناك آيات جاءت للناس أجمعين، كعيسى بن مريم وكذاك الذي أماته الله مئة عام ثم بعثه:

- ﴿قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ٢١﴾ [مريم: 20-21]
- ﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٥٩﴾ [البقرة:259]

وقد تكون الآية للعالمين كافة كما في حالة سفينة نوح:

- ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٥﴾ [العنكبوت: 15]

وأخيرا، قد تكون الآية لمن جاء خلف لسلف، كنجاة فرعون ببدنه

- ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ۝٩٢﴾ [يونس: 92]
- ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ۝٥٤ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥٥ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ۝٥٦﴾ [الزخرف: 54-56]

السؤال: كيف حصلت النجاة لفرعون ببدنه ليكون لمن خلفه (من بني إسرائيل) آية؟

جواب مفترى خطير جدا: نحن نظن بأن الفرعون الغارق قد خرج من البحر وهو حي تماما، فما قضى الموت عليه في تلك اللحظة. فرعون هو الذي خرج من الماء بقدراته البدنية، فبدنه هو الذي مكنه من الخروج من الماء:

- ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ۝٩٢﴾ [يونس: 92]

لذا، نحن نفتري الظن بأن الباء في قوله تعالى (**بِبَدَنِكَ**) ببدنك تدل على الواسطة أو الوسيلة.

سؤال : كيف يكون ذلك و الله هو من يقول بأنه قد أغرقه؟

جواب : لنستدعي السياق القرآني كاملا، ثم لننظر لنرى ما الذي حصل فعلا:

- ﴿۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٩٠ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٩١ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ۝٩٢﴾ [يونس: 90-92]

نلاحظ – ربما بما لا يدع مجالا للشك - بأن فرعون قد (**أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ**)، أي أحاط به الغرق من كل جانب و لكن الغرق لم يقضي عليه نهائيا. بدليل أن فرعون قال حينها بملء فيه (**آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُواْ إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**)، ونحن نظن أنه لا يمكن لمن يغرق أن يتكلم إلا إذا كان رأسه لازال فوق الماء، وإلا كيف سيستطيع حينها أن يتكلم؟ من يدري؟!!!

ولكن قد يسأل سائل: كيف تقول بأن فرعون لم يغرق تماما حتى يقضي عليه الموت؟ ألا تدل الآية الكريمة على أنه قد غرق فعلا؟

- ﴿فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا ۝١٠٣﴾ [الإسراء: 103]

جواب: لكننا - لا شك - سنرد السؤال بسؤال مثله وهو: هل كل من يغرق يموت؟

جواب: كلا وألف كلا، فكم من غريق أخرج من الماء في حالة غيبوبة تامة ولكن الموت لم يقضي عليه نتيجة غرقه ذاك؟

سؤال: ما الذي حصل مع فرعون إذن؟

تخيلات: نحن نتخيل بأنه ما أن أدرك فرعون الغرق حتى انطلق لسانه بالشهادة:

- ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: 90-92]

وهنا بالضبط، انطلق لسانه بالشهادة:

- ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس: 90]

فجاءه الرد الإلهي على نحو:

- ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس: 91]

فقضى الله أمره بأن ينجّي فرعون ببدنه ليكون لمن خلفه آية:

- ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس:92]

السؤال : كيف إذن نجى الله فرعون ببدنه إذا كان الموت – كما تزعم – لم يقضي على فرعون في غرقه؟

جواب مفترى خطير جدا : لقد خرج فرعون الغارق من الماء مختلفا تماما عن الفرعون الذي دخل البحر

سؤال : و كيف ذلك؟

جواب مفترى: لقد خرج فرعون الغارق (بدنا) فقط.

سؤال: وكيف ذلك؟ لم أفهم شيئا. يقول صاحبنا.

توضيح : ما هو البدن؟

رأينا: نحن نظن بأن البدن هو الجسم الحي (فيه روح مادام أن النفخة لم تخرج منه) ولكنه منزوع الحواس الإدراكية (السمع و البصر و الفؤاد) تماما. وإن كانت أعضاءه الحسية (القلب والآذان والأعين) لازالت تعمل. فلقد خرج فرعون من الغرق (نحن نتخيل) بآذانه وبعيونه وبقلبه، ولكن آذانه لم تكن تسمع، وأعينه لم تكن تبصر (وإن كانت ترى) وخرج بقلبه الذي لا فؤاد فيه. فخرج فرعون لا يفقه لأنه كان كالأنعام بل أضل سبيلا، فكان آية من الله لمن خلفه.

ونحن نستطيع أن نتخيل ما حل بفرعون بالسيناريوهين التاليين:

الاحتمال الأول : لقد وقع فرعون تماما في مثل من يقع في الغيبوبة الطويلة المستحيل معها عودتهم للحياة.

لفتة علمية : موسوعة ويكبيديا
الغيبوبةComa : ، وتعني باليونانية النوم العميق هي حالة فقدان وعي عميقة، لا يمكن للفرد خلالها أن يتفاعل مع البيئة المحيطة به، ولا يمكنه أيضا الاستجابة للمؤثرات الخارجية. تتميز الغيبوبة بفشل عمل نظام التنشيط الشبكي الصاعد .(ascending reticular activating system / ARAS) الشخص الواقع تحت تأثير الغيبوبة هو شخص على قيد الحياة، لكنه ليس نائما. موجة نشاط الدماغ لشخص في غيبوبة تختلف كثيرا عن تلك لدى شخص نائم، يمكنك إيقاظ شخص من النوم، لكن لا يمكنك إيقاظ شخص من حالة غيبوبة. يمكن للغيبوبة أن تنجم بسبب المرض، أو بسبب حدوث صدمات للدماغ. عادة لا تستغرق الغيبوبة أكثر من بضعة أسابيع. الكثير من الأفراد يستعيدون أدائهم البدني والعقلي بشكل كامل عندما يخرجون من الغيبوبة. لكن البعض يحتاج إلى أشكال مختلفة من العلاج لاستعادة القدرة على أداء وظائف معينة بصورة مقبولة. بعض المرضى لا يستعيدون أي شيء بخلاف وظائف الجسم الأساسية والبسيطة. في بعض الأحيان، وبعد الغيبوبة، يمكن أن ينزلق المصاب إلى حالة يطلق عليها حالة إنباتية مستديمة) بالإنجليزية persistent vegetative state :؛ المصابون ضمن هذه الحالة هم مرضى فقدوا كل الوظائف العصبية الإدراكية ولكن أجسامهم بقيت قادرة على التنفس، ويمكن لها (الأجسام) أن تقوم بحركات عفوية مختلفة. يمكن للجسم أن يبدوا مستيقظا وطبيعيا، ولكن بسبب فقدان جزء الوظيفة المعرفية من الدماغ، فالجسم يفقد القدرة على الاستجابة للبيئة. هذه الحالة الانباتية قد تستمر لسنوات. وهناك حالات أخرى، بالإضافة إلى حالة الغيبوبة والإنباتية، تصف مستويات متفاوتة من فقدان الوعي وقدرة الشخص على الاستجابة للمحفزات. تشمل هذه حالة الذهولstupor وهي حالة الشخص فاقد الوعي ولكنه يستحب للمحفزات المتكررة المنشطة. هنالك أيضا حالة تلبد الإحساس (obtundation :) وحالة النوام(lethargy :) ، التي تصف شخص لم يفقد وعيه تماما ولكنه لا تستجيب للمحفزات. والغيبوبة، وغيرها من حالات عدم الوعي تعتبر حالات طوارئ، ويتوجب اتخاذ إجراءات طبية على وجه السرعة لتجنب ضرر دائم.
انتهى

الاحتمال الثاني : لقد خرج فرعون تماما مثل الأطفال عند الولادة، وهم الذين يخرجون من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئا.

- ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل: 78]

فلقد خرج فرعون من البحر بالضبط كما خرج من بطن أمه لا يعلم شيئا.

خروج عن النص في استراحة قصيرة: الحج المبرور الذي جزاؤه الجنة

الموقف الأول: تنص تعليمات الحج في وزارة الأوقاف الأردنية على العمل بمبدأ الدور، فلا يحق لأحد أن يحج إلا مرة واحدة (ربما لإعطاء الفرصة للآخرين). وتطلب مكاتب الحج في الوزارة من كل حاج يتقدم بطلب للحج أن يقسم اليمين أنه لم يحج من ذي قبل. فيحضر الحاج إلى مكتب الوزارة، فيوضع أمامه نسخة من المصحف، ويطلب منه أن يقسم اليمين رافعا يده (وأنا ما بدري من وين جابوا هالعادة)

ليقسم اليمين بالله أنه لم يحج من ذي قبل. ولكن لما كانت وزارة الأوقاف تقوم بإرسال مندوبيها مع بعثات الحج (ولا أعرف السبب في ذلك لأن الحجاج أنفسهم لا يرونهم إلا على شاشات التلفزة لبث البرامج التلفزيونية المعدة مسبقا)، فهم الوحيدون الذين لا تنطبق عليهم التعليمات التي كتبوها بأيديهم. فهم قد كتبوا التعليمات لتنطبق على كل خلق الله إلا أنفسهم. فينطلق وزير الأوقاف نفسه في كل عام وفي معيته كبار حاشية الوزارة وكثير من موظفيها على رأس تلك البعثات، فلا يطلب منهم قسم ولا يمين، ولا يسألون عن عدد المرات التي أدّوا فيها فريضة الحج من ذي قبل، ولا يتوقف الأمر عند هذا "الأجر العظيم"، بل ويحصلون على المكافئات المالية لجهودهم "المباركة" في تلك الحملة. من يدري؟!!!

المعضلة: عندما كان الناس يودعونهم في رحلتهم كانوا يدعون لهم بأن يعودوا من حجهم "كما ولدتهم أمهاتهم". وعندما كانوا يستقبلونهم بعد العودة سالمين كانوا يدعون لهم وقد عادوا من حجهم ذاك "كيوم ولدتهم أمهاتهم". فهذا دعاء شائع عندنا في الأردن (ارض الحشد والرباط) لزوار البيت الحرام.

موقفنا: آمين. أسأل الله أنهم قد عادوا كذلك (كيوم ولدتهم أمهاتهم).

الموقف الثاني: دأبت كليات الشريعة في الجامعات الأردنية العتيدة على إرسال بعثة حج في كل عام إلى الديار المقدسة من طلبة كلية الشريعة فقط، وغالبا ما يصاحب هذه البعثة عميد كلية الشريعة نفسه، صاحب اللحية التي تغطي معظم الطرف العلوي من جسمه، وصاحب الدشداش القصير في أوقات الحج فقط، مادام أنه في أيام التدريس الرسمية وفي جلسات مجلس العمداء الموقرين لا يليق الحضور إلا بالبدلة الرسمية الإفرنجية. كما يصاحب تلك الحملة بعض أساتذة أقسام الشريعة كلها، وأظن أنهم يعملون بمبدأ الدور في ذلك، فيستطيعون تأدية فريضة الحج (ربما أكثر من مرة)، فلا يطلب منهم قسم ولا يمين، ولا يسألون عن عدد المرات التي أدوا فيها فريضة الحج من ذي قبل، ولا يتوقف الأمر عند الحصول على هذا "الأجر العظيم" بعد تأديتهم ركن من أركان الدين، بل ويحصلون على المكافئات المالية لجهودهم في تلك الحملة. من يدري؟!!!

المعضلة: عندما كان الناس يودّعونهم في رحلتهم كانوا يدعون لهم بأن يعودوا "كما ولدتهم أمهاتهم". وعندما كانوا يستقبلونهم بعد العودة سالمين كانوا يدعون لهم وقد عادوا من حجهم ذاك "كيوم ولدتهم أمهاتهم".

موقفنا: آمين. أسأل الله أنهم قد عادوا كذلك (كيوم ولدتهم أمهاتهم).

الموقف الثالث: أُخبرت (وعلمت بنفسي) بأن كثيرا من عِلية القوم "كبعض الوزراء وكبار ضباط الجيش والقضاة و رؤساء الجامعات، الخ. من أصحاب النفوذ" يستطيعون الحصول على فيز حج بطرق "مشروعة!" كهدايا مثلا من بعض معارفهم من أمراء الحج والدين في بلاد الكعبة والحرمين. فيذهبون (ربما أكثر من مرة) لأداء فريضة الحج. فلا يطلب منهم قسم ولا يمين في مكاتب وزارة الحج الأردنية، ولا يسألون عن عدد المرات التي أدوا فيها فريضة الحج من ذي قبل.

المعضلة: أظن أنه عندما كان الناس يودعونهم في رحلتهم تلك، كانوا يدعون لهم بأن يعودوا من حجهم هذا "كما ولدتهم أمهاتهم". وعندما كانوا يستقبلونهم بعد العودة سالمين أظن أنهم كانوا يدعون لهم وقد عادوا من حجهم ذاك "كيوم ولدتهم أمهاتهم".

موقفنا: آمين. أسأل الله أنهم قد عادوا كذلك (كيوم ولدتهم أمهاتهم).

الموقف الرابع: أعرف بعض الأصحاب والأقرباء الذين يتهافتون في كل عام على بعض "سماسرة الحج"، فيشترون منهم فيز الحج التي تكون قادمة من بلاد الدين والإيمان والكعبة والحرمين، فيدفعون ثمن تلك الفيز التي لا أعرف من هم أصحاب الحق في رفادتهم هناك، فيذهبون (ربما أكثر من مرة) لأداء فريضة الحج. فلا يطلب منهم قسم ولا يمين، ولا يسألون عن عدد المرات التي أدوا فيها فريضة الحج من ذي قبل.

المعضلة: عندما كان الناس يودعونهم في رحلتهم تلك، كانوا يدعون لهم بأن يعودوا من حجهم هذا "كما ولدتهم أمهاتهم". وعندما كانوا يستقبلونهم بعد العودة سالمين كانوا يدعون لهم وقد عادوا من حجهم ذاك "كيوم ولدتهم أمهاتهم".

موقفنا: آمين. أسأل الله أنهم قد عادوا كذلك (كيوم ولدتهم أمهاتهم).

الموقف الخامس والأخير: كانت أمي قد بلغت من الكبر عتيا، وقد كان أقصى أمانيها قبل أن يقضي عليها الموت أن تذهب في رحلة حج إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج مرة أخرى، ولما كانت ممن قاموا بأداء هذه الفريضة قبل عقود طويلة من الزمن، ولمّا كان العمل جار بمبدأ الدور في مكاتب وزارة الأوقاف الأردنية، لم تستطع أمي القيام بذلك لأنها كانت تحتاج أن تحلف اليمين في إحدى مكاتب الحج الأردنية بأنها لم تحج من ذي قبل، فما كان ذلك ممكنا إذن إلا من خلال الخطة العظيمة التي حيكت (وربما بالتنسيق معي أنا الذي آثرت الصمت حينها لأني ربما كنت أحاول أن اثبت لمن حولي بري بوالدتي) تتمثل في أن تذهب إلى الديار المقدسة باسم مستعار. ففعلت. فلم تقسم ولم تحلف يمينا.

المعضلة: عندما كان الناس يودعونها في رحلتها كانوا يدعون لها بأن تعود "كما ولدتها أمها". وعندما استقبلوها بعد العودة كانوا أيضا يدعون لها أن تكون قد عادت "كيوم ولدتها أمها".

موقفنا: آمين. أسأل الله أنها قد عادت كذلك (كيوم ولدتها أمها).

السؤال: كيف يمكن أن يعود هؤلاء النفر جميعا من حجاج البيت العتيق "كما ولدتهم أمهاتهم"؟ هل فعلا يعودون بالأجر العظيم؟

رأينا: أنا شخصيا لا أدري، ولكني أؤمن يقينا بما جاء في الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل: 78]

نعم، أسأل الله أن يعود كل من ذهب في رحلة لأداء فريضة الحج بمثل هذه الطرق الملتوية على حساب غيره من البشر كيوم ولدته أمه لا يعلم شيئا حتى لو كانت هي أمي نفسها.

عودة على فرعون الذي خرج من الغرق بدنا

السؤال: ما علاقة هذا كله بفرعون؟

جواب: نحن نفتري الظن بأن فرعون قد خرج من الغرق ناج ببدنه، فكان له آذان وكان له أعين وكان له قلب ولكن آذانه لم تكن تسمع وعيونه لم تكن تبصر ولم يكن في قلبه فواد، فما كان يستطيع أن يعقل أو أن يفقه، فكان كالأنعام بل أضل سبيلا وكان من الغافلين:

- ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: 179]

فخرج من الماء كما يخرج الطفل من بطن أمه لا يعلم شيئا:

- ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: 78]

السؤال: ما الفرق بين فرعون الذي خرج بدنا لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه والطفل الذي خرج من بطن أمه على تلك الشاكلة لا يعلم شيئا؟

رأينا: نحن نظن أن الفرق ربما يكمن بما جاء في صريح اللفظ في الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المؤمنون: 78]

وهنا نلاحظ وجود مفردة (أنشأ) مصاحبة للسمع والأبصار والأفئدة؟

السؤال: كيف يمكن للسمع والأبصار والأفئدة أن "تُنشأ" بعدما كانت قد "جعلت" من ذي قبل؟

- ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الملك: 23]

رأينا المفترى: نحن نظن بأن السمع والبصر والأفئدة قد مرت بمرحلتين:

1. مرحلة الجعل التي جاءت دفعة واحدة
2. مرحلة الإنشاء التي حصلت بالجعل التدريجي، أي شيئا فشيئا.

لذا، نحن نظن أن الطفل يكون بدنا عندما يخرج من بطن أمه، أي جسما كامل البنية و الحياة (له آذان وأعين وقلب)، وهناك يجعل الله له السمع والبصر والفؤاد، ولكنه (مع ذلك) لا يكون مالكا لمقومات

التمييز (السمع و البصر و الفؤاد) مرة واحدة. لذا فهو يحتاج أن ينشأ (جسميا) وتنشأ معه تلك المقومات شيئا فشيئا، لذا نحن نزعم أننا نحتاج أن نقرأ الآيتين السابقتين بالترتيب التالي:

- ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الملك: 23]
- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المؤمنون: 78]

ونحن نرى من مشاهداتنا اليومية أن الأطفال يسألون عن كل شيء من حولهم، فيبدءون من المرحلة الأشد "جهلا" حيث لا يستطيعون أن يميزوا الضار من النافع، وتبدأ هذه الحالة من الجهل (عدم العلم) تخف شيئا فشيئا، فلا يصبح الطفل مكلفا حتى تكتمل عنده مقومات التميز كلها (السمع و البصر و الفؤاد). فصحيح أن قدرة الأذن على التقاط الأصوات عند الأطفال أفضل من تلك عند الكبار لكن الفرق يكمن ليس في القدرة على التقاط الأصوات فحسب وإنما على "السمع"، والمنطق نفسه ينطبق على الأعين والقلب.

سؤال : و كيف فعل الله هذا بفرعون؟ أي كيف خرج فرعون ناج ببدنه فما كان له سمع ولا أبصار ولا أفئدة بالرغم من وجود الآذان والأعين والقلب؟

جواب : بالماء

رأينا: نظن بأن الماء هو ما تسبب لفرعون بهذه الحالة من الغيبوبة (أو coma باللسان الأعجمي). فلقدْ فَقَدَ فرعون (نحن نتخيل) الوظائف العصبية الإدراكية (السمع والبصر والفؤاد) بالرغم أن أعضاء الحسية جسمه (الآذان والعيون والقلب) بقيت قادرة على العمل. ولو حاولنا أن نتدبر السياقات القرآنية الخاصة بفرعون نفسه، لوجدنا بعض المفردات التي وردت بحقه حصرا، فما شاركه غيره فيها، وانظر – إن شئت – في السياقات التالية:

- ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل: 16]
- ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء:102]

التساؤلات

⇐ كيف أخذ الله فرعون أخذا وبيلا؟

⇐ وكيف كان فرعون – كما ظن موسى- مثبورا؟

أولا : مفردة (وَبِيلًا)

عندما بحثنا عن مفردة **وَبِيلًا** على مساحة النص القرآني، ولم نجدها إلا في سياق الحديث عن نهاية فرعون، حاولنا الخروج بالمنطق المفترى التالي: ربما تكون هذه دلالة واضحة بأن الله قد أخذ فرعون هذا أخذا خاصا لم يحدث لغيره من المتجبرين أو الطغاة من قبله.

السؤال: كيف إذن نستطيع أن نفهم كيفية أخذ فرعون هذا أخذا **وَبِيلًا**؟

بعد البحث والتنقيب خرجنا بالافتراء التالي: ربما يكون لمفردة وبيلا الخاصة بأخذ فرعون علاقة بمفردة (وَابِلٌ) التي ترد في الآيات الكريمة التالية:

- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٢٦٤ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢٦٥﴾
[البقرة: 264-265]

نتيجة: الوابل "هو نزول الماء بطريقة ما" لتصيب به (1) الصفوان و (2) الربوة :

لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ	كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ	فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ	فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ
وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ	ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ	كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ	أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ

تخيلات: ما أن يُغْرِق الماءُ النازل (أي الوابل) ما كان تحته حتى يظهر الفرق، فإذا كان ما تحته صفوان، فإن الماء الذي أغرقه لا يستطيع أن يقضي عليه، فيترك ذلك الوابل ذاك الصفوان الذي أصابه صلدا (فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ)، وهذا ما نظن أنه حصل في حالة فرعون. فلقد غمره الماء، ولكن الماء لم يقدر عليه فخرج من الماء صلدا، ولما كان من الكافرين، فإنه خرج لا يقدر على شيء مما كسب:

- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٢٦٤﴾ [البقرة: 264]

ثانيا : مفردة (مَثْبُورًا)

عندما حصل الحوار بين موسى من جهة وفرعون من جهة أخرى، تجرأ فرعون على أن ينعت موسى نفسه على أنه شخص مسحور:

- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ۝١٠١﴾ [الإسراء: 101]

ولقد كان ما قاله فرعون بحق موسى مدعوما (حسب ظنه) بما كان يستطيع موسى تقديمه للقوم من الآيات. (للتفصيل حول هذه الآيات انظر مقالتنا تحت عنوان: قصة موسى). عندها لم يتردد موسى بأن ينعت شخص بفرعون نفسه بالثبور، فقال فيه:

- ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء:102]

السؤال: كيف كان فرعون مثبورا؟ ولماذا كان فرعون (كما ظن موسى) مثبورا؟

بعد البحث عن هذه المفردة في سياقات القرآن، وجدناها في الآيات الكريمة التالية:

- ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان: 11-14]
- ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾ [الانشقاق: 6-14]

ولو دققنا في هذه السياقات لوجدناها تصور حالات الكافرين بعد أن يجدون مصيرهم الحقيقي وهم مقبلون على النار في يوم الدين. فما أن يتأكد للكافرين أنهم سيلقون في جهنم حتى ينطلقوا بدعوة الثبور، ويكون ذلك مصير كل من أوتي كتابه من وراء ظهره:

- ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾﴾ [الانشقاق: 10-11]

السؤال : لماذا سيدعو الكافر ثبورا ؟

جواب مفترى: لأنه لما كان في أهله مسرورا فقد ظن أن لن يحور. وانظر – إن شئت- في السياق القرآني نفسه:

- ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾ [الانشقاق: 10-14]

السؤال: ما معنى ذلك؟ أي ما معنى أن الكافر كان يظن أنه لن يحور؟

جواب: انظر التقابل بين حالة من أوتي كتابه بيمينه (أي المؤمن) ومن أوتي كتابه من وراء ظهره (أي الكافر) كما تصور ذلك الآيات الكريمة نفسها بعد أن نفرغها في الجدول التوضيحي التالي:

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ	فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا	وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا	؟؟؟؟؟
وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ	فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا	إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا	إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ

السؤال : لو حاولنا أن نكمل المربع الناقص في الجدول السابق، ماذا تظن – عزيزي القارئ- أننا يجب أن نكتب فيه؟

جواب : أظن أننا سنكتب (إنه ظن أنه سوف يحور). لنخلص إلى النتيجة التي مفادها أن الفرق بين المؤمن (من أوتي كتابه بيمينه) والكافر (من أوتي كتابه من وراء ظهره) هو موقفهم من دلالة ما تعنيه مفردة (يَحُورَ). فالمؤمن كان يظن أنه سيحور بينما كان يظن الكافر أنه لن يحور؟

السؤال: ما دلالة ذلك؟ وكيف يمكن أن نفهم الفرق بين الحالتين؟

بعد تفقد السياقات القرآنية الخاصة بهذه المفردة ظننا أن هذه المفردة (يَحُورَ) لها علاقة بمفرد الحور العين الواردة في السياقات التالية:

- ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ۝٧٢﴾ [الرحمن: 72]
- ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٥٤﴾ [الدخان: 54]
- ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٢٠﴾ [الطور: 20]
- ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢﴾ [الواقعة: 22]

كما نزعم الظن بأنه قد يكون لها علاقة بمفردة الْحَوَارِيِّينَ التي وردت في السياقات الخاصة بعيسى بن مريم:

- ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ۝١١١﴾ [المائدة: 111]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ۝١٤﴾ [الصف: 14]

وبالبناء على افتريناه في سلسلة مقالات "كيف تم خلق عيسى بن مريم"، فإننا نقدم الافتراءات التالية الخاصة بالحواريين:

- ربما جاءت تسميتهم بالحواريين لأنهم كانوا هم من حاور المسيح عيسى بن مريم فقط

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤﴾ [الصف: 14]

ربما جاءت تسميتهم بالحواريين لأنهم لم يتزوجوا مطلقا (رهبان) ، تماما كما في الحور العين اللاتي لم يطمثهن أنس ولا جان:

- ﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ٧٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٣ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ٧٤﴾ [الرحمن: 72-74]

وربما جاءت تسميتهم بالحواريين من النصرة، فلا ننسى أنهم هم من قالوا (**نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ**). وبناء عليه، فإننا نفتري الظن بأن مفردة (يَحُورَ) لها علاقة ما الهزيمة والنصر.

السؤال: ما علاقة هذا كله بقصة فرعون؟

جواب: لا شك أن فرعون كان من الكافرين الذين سيؤتون كتابهم من وراء ظهورهم. لذا فهو من الذين كانوا مسرورين في أهلهم، ومن الذين ظنوا أنهم لن يحوروا، بمعنى أنه كان يظن أن لن يقدر عليه احد، أو أن ينتصر عليه أحد، أو يتغلب عليه أحد. ربما للأسباب التالية :

أنه صاحب مال كثير مديد

- ﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ٦﴾ [البلد: 5-6]
- ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ٢٨﴾ [الحاقة: 28]
- ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ١٢ وَبَنِينَ شُهُودٗا ١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ١٤ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ١٥ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ١٦﴾ [المدثر: 11-16]

كان ذا سلطان كبير ونفوذ

- ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ٢٧ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ٢٩ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ٣٢ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ٣٣﴾ [الحاقة: 25-33]

كان ممتعا منعما

- ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ١٣﴾ [الانشقاق: 13]

إذن، نخلص من النقاش السابق بأن الثبور هو جزاء من يظن أنه لن يحور (أي لن يقدر عليه أحد أو ينتصر عليه أحد أو يتغلب عليه أحد). وبكلمات أكثر دقة إنه عكس من كان ذو حظ عظيم:

- ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ۝٣٥﴾ [فصلت: 35]

فمادام أن فرعون كان مسرورا في أهله، فلقد ظن من حوله بأنه ذو حظ عظيم بالضبط كما كان صاحبه قارون في أعين من حوله:

- ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ۝٧٩﴾ [القصص: 79]

لذا هناك فرق كبير بين من ظن الناس من حوله أنه ذو حظ عظيم كقارون، ومن كان فعلا ذا حظ عظيم وهم الذين صبروا. ففي حين أن الأول كان حظه العظيم ذاك زائفا دنيويان زائلا لا محالة، فإن الآخر هو صاحب حظ عظيم حقيقي أخروي أبدي. فمن كان ذو حظ عظيم حقيقي فهو بكل تأكيد لا يمكن أن يكون مثبورا، ولكن من لم يكن ذو حظ عظيم (وظن الناس أنه ذو حظ عظيم كما حصل مع قارون) فهو بلا شك من المثبورين.

لذا، نحو نفهم الحوار الذي حصل بين موسى من جهة وفرعون من جهة أخرى على النحو التالي: ففي حين يظن فرعون أن موسى قد أصابه شيء من السحر خاصة عندما قدم له تلك الآيات:

- ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ۝١٠١﴾ [الإسراء: 101]

كان رد موسى عليه شديدا عندما نبهه أن كبره هذا ومقاومته الشديدة لكلمة الحق لن يكون إلا من باب الثبور لأنه لن يكون (أي فرعون) من أصحاب الحظ العظيم الذين سيلقونها يوم الدين، فما كان من موسى إلا أن نعته بالثبور:

- ﴿قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ۝١٠٢﴾ [الإسراء:102]

تخيلات: نحن نتخيل وكأن موسى يقول لفرعون ما مفاده: إذا كنت تظن يا فرعون أن ما أقدمه لك من الآيات يقع في باب السحر، وأن هذا السحر قد أصابني فإني أخبرك بأنك لست أكثر من شخص مثبور (أي من كان نحس الحظ)، فلن تكون من أصحاب الحظ العظيم الأبدي.

الدليل

لنقرأ الآيات التالية مرة أخرى:

أصحاب اليمين

- ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ۝٩﴾ [الانشقاق: 7-9]
- ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ۝٢٠﴾ [الحاقة: 19-20]

أصحاب الشمال

- ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۝ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۝﴾ [الانشقاق: 10-11]
- ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۝ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۝ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ۝ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ۝﴾ [الحاقة: 25-29]

ألا ترى عزيزي القارئ أن من يقول (يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ - وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ - يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ - مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ - هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ) هو يقول ذلك بعد فوات الأوان ؟ ألا يدل ذلك على شيء من الندم على ما فات؟ واقرأ - إن شئت- قوله تعالى:

- ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ۝ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ۝ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ۝ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝﴾ [الزخرف: 36-39]
- ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ۝﴾ [الفرقان: 27-29]
- ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۝﴾ [النساء: 37]
- ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [الأنعام: 27]

ولو دققنا في السياقات القرآنية التي تصور جميع هؤلاء النادمين، لوجدنا أن من أوصلهم إلى هذه الحالة هو قرينهم (**الْقَرِينُ**). لذا فإن النادم المثبور قد وصل إلى هذه الحالة بسبب ذلك القرين الذي أرداه.

- ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ۝ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ۝ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ۝ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝﴾ [الزخرف: 36-39]

والآن لنقرأ حوار موسى مع فرعون من هذه الزاوية: فهذا فرعون يتهم موسى بأنه قد أصابه شيء من السحر:

- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ۝﴾ [الإسراء: 101]

أي وكأن الشياطين هم – في ظن فرعون- من علم موسى هذا السحر، مادام أن الشياطين هي التي تعلم الناس السحر:

- ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢﴾ [البقرة: 102]

وبذلك يكون فرعون قد اتهم موسى بمس من الشيطان.

فما يكون من موسى إلا أن يرد عليه الحجة بمثلها، ويكأن موسى يقول لفرعون – نحن نتخيل- إذا كنت تظن يا فرعون أني شخص مسحور بسبب مس الشيطان (أو بسب تعليم الشيطان)، فإني أظن أنك يا فرعون شخص مثبور بسبب قرينك هذا الذي سيرديك، فلن تكون ذو حظ عظيم:

- ﴿قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ١٠٢﴾ [الإسراء:102]

السؤال: وهل كان فرعون فعلا مثبورا؟ أي هل أرداه قرينه، فما كان ذو حظ عظيم؟

الجواب: نعم. لقد كانت نهاية فرعون كذلك.

السؤال: وكيف حصلت على أرض الواقع؟

جواب: بالنجاة ببدنه:

- ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ٩٢﴾ [يونس:92]

لو تدبرنا هذا النص القرآني جيدا لوجدنا فيه شيء عجيب وهو قوله تعالى بحق فرعون (**نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ**). ليكون السؤال على الفور هو: ألم يكن يكفي أن يقول الله (فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ)؟ فلم إذا قال (**فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ**)؟ فما الحاجة إلى ذكر النجاة بالبدن؟ وهل البدن منفصل عن الإنسان نفسه بحث يمكن أن ينجو الإنسان و لا ينجو بدنه؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن بأنه لما كانت النجاة من حق الأحياء فقط، حصل أن أنجى الله فرعون ببدنه فقط، فكان فرعون جسما كامل الحياة منقوص الحواس الإدراكية (السمع و البصر و الفؤاد). فخرج من الغرق وله آذان تلتقط الأصوات ولكنها لا تسمع، وله أعين ينظر بها إلى جميع ما حوله ولكنه لم يكن يبصر، وله قلب ينبض بالحياة فقط ولكن لا فؤاد فيه، فكان كالأنعام بل أضل سبيلا، وكان من الغافلين:

- ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف: 179]

فخرج فرعون من غرقه ويكأنه شخص يعيش في عالم آخر لا يعي ما يدور من حوله. فأصبح آية لمن خلفه فقط، وهم بنو إسرائيل الذين سكنوا مساكنهم وأورثهم الله أرضهم وديارهم:

- ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۝٥٣ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۝٥٤ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ۝٥٥ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ۝٥٦ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٥٨ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ۝٥٩﴾ [الشعراء: 53-59]
- ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ۝٢٤ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ۝٢٧ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ۝٢٨﴾ [الدخان: 24-28]

السؤال: مادام أن موسى قد جاوز ببني إسرائيل البحر، فكيف عاد بنو إسرائيل إلى الوراء ليرثوا ما ترك فرعون وقومه؟ وكيف أصبح فرعون آية لمن خلفه من بني إسرائيل؟ فهل لو غرق فرعون في البحر وبقيت جثته فقط (كما ظن علماؤنا أهل الإعجاز العلمي في القرآن) فهل كان ذلك سيكون آية لبني إسرائيل الذين جاءوا من خلف فرعون وقومه؟

السؤال: كيف نفهم أن فرعون كان آية بنجاته ببدنه لمن خلفه من بني إسرائيل في ذلك الوقت؟ أم تراه لم يكن آية إلا لعلماء القرآن في القرن العشرين وما بعده؟! أم تراه آية لمن شاهده في متاحف الآثار العالمية فقط؟ من يدري؟!!!

تخيلات: ما أن خرج فرعون من الغرق ناج ببدنه (أي حيا لم يقضي عليه الموت بالغرق) حتى كان منزوع القدرات على الإدراك (السمع والبصر والفؤاد) وإن كان له قلب وآذان وأعين، فكان كمن فقد ذاكرته، لا يعي ما يدور حوله. ولما كان قومه قد أغرقوا. أصبح لا حول له ولا قوة. فاستطاع بنو إسرائيل أن يرثوا كل تلك الجنات والعيون والزروع والمقام الكريم، وحصل ذلك كله وفرعون كان لازال يعيش بين ظهرانيهم ليس أكثر من بدن يلتقط أصواتهم من حوله ولكنه لا يسمعها، ويراهم رأي العين ولكنه لا يبصرهم ويمر بالأحداث من حوله ولكن لا فؤاد فيه ليفقهها، فكان كالأنعام بل أضل سبيلا، وبذلك كان آية من الله لمن خلفه وهم بنو إسرائيل.

- ﴿۞ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝٩٠ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝٩١ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ۝٩٢﴾ [يونس: 90-92]

يونس وفرعون

كانت مفردة وبيلا ومفردة مثبورا خاصة بفرعون فقط، ولكن عند بحثنا في السياقات القرآنية الخاصة بفرعون وجدنا الآية الكريمة التالية:

- ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝٤٠﴾ [الذاريات: 40]

عندها استوقفتنا على الفور مفردة " وَهُوَ مُلِيمٌ " الخاصة بفرعون نفسه دون جنده الذين غرقوا معه. فبالرغم أن الله قد أخذ فرعون وجنوده فنبذهم جميعا في اليم (فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ)، إلا أن فرعون هو وحده من كان مليم من بينهم بدليل الضمير العائد على فرعون نفسه (وَهُوَ مُلِيمٌ). عندها ذهبنا نستقصي السياقات القرآنية التي وردت فيها هذه المفردة فما وجدناها إلا في سياق قرآني آخر وهو:

- ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ١٤٢﴾ [الصافات: 142]

وكانت المفاجأة الكبرى لنا أن ذلك كان خاصا بمن أدركه الغرق أيضا وهو ذو النون (نبي الله يونس). وهو نفسه من حصل له فعل النبذ:

- ﴿۞ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ١٤٥﴾ [الصافات: 145\]

فأصبح وجه الشبه بين فرعون من جهة وذي نون (صاحب الحوت) من جهة أخرى على النحو التالي:

1. كلاهما كانا من الذين نبذهم الله
2. كلاهما كانا مليم

ولو تدبرنا قصة غرق فرعون كما تصورها الآيات الكريمة التي كنا نتدارسها:

- ﴿۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٩١ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ٩٢﴾ [يونس: 90-92]

لوجدناها قد وردت في سورة يونس نفسها (أي صاحب الحوت الذي نبذ والذي كان مليم). ليكون السؤال التالي هو: ما وجه التشابه بين الغرق الذي حصل لفرعون وذاك الذي حصل لذي النون؟

جواب مفترى:

⇐ نحن نظن أن كلاهما كانا مليم لسبب واحد، أن كلاهما ظن أن لن نقدر عليه، فلقد ظن فرعون أن لن يقدر عليه أحد، وكذلك كان ظن ذي النون عندما ذهب مغاضبا

- ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء: 87]

⇐ كلاهما أدركه الغرق، لا بل فقد كان غرق ذي النون أشد مادام أنه قد دخل في بطن الحوت:

- ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ١٤٢﴾ [الصافات: 142]

⇐ كلاهما رجع إلى ربه في اللحظة الأخيرة، فما أن أدرك فرعون الغرق حتى انطلق لسانه بالشهادة بوحدانية الله:

- ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٩٠ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٩١ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ۝٩٢﴾ [يونس: 90-92]

وكذلك فعل ذو النون، فما نطق بالدعاء إلى الله إلا بعد أن وصل إلى بطن الحوت:

- ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧﴾ [الأنبياء: 87]

نتيجة مفتراة: لم تكن حال ذي النون بأحسن من حال فرعون في مقدماتها، فكيف حصل الفرق؟

رأينا المفترى: لعلي أظن أن الله قد استجاب طلب الاثنين بالنجاة، فنجّى الله فرعون من الغرق كما نجّى ذي النون من الغرق بسبب دعائهم ورجوعهم إلى ربهم في تلك اللحظة، ولكن كانت النجاة مختلفة في الحالتين. ففي حين أن الله قد نجّى فرعون ببدنه فقد، فكان كالأنعام بل أضل سبيلا، وبقي من الغافلين. حصلت النجاة لذي النون بكامل قدراته الإدراكية، فلم يكن من الغافلين:

- ﴿فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ۝١٤٥ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ۝١٤٦ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ۝١٤٧﴾ [الصافات: 145-147]

السؤال: لماذا؟

رأينا: أظن أن السبب في ذلك يعود إلى ما كان قد مضى منهما في سابق العهد. ففي حين أن فرعون كان من المفسدين في سالف الزمان

- ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٩٠ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٩١ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ۝٩٢﴾ [يونس: 90-92]

كان ذو النون من المسبحين في سابق عهده:

- ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ١٤٢ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤ ۞ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ١٤٥ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ١٤٦﴾ [الصافات: 142-146]

نتيجة: الخلاصة : نخلص من هذا النقاش بالافتراء الذي مفاده أن الله تعالى قد نجّى فرعون بعد أن أدركه الغرق، فكان بدنا فقط (حيا) له قلب وآذان وأعين، فكان جسما ينبض بالحياة يأكل و يشرب، و لكنه (ميتا) فاقدا للحواس الإدراكية كلها (السمع والبصر والفؤاد). وعلى العكس من ذلك كان ذو النون:

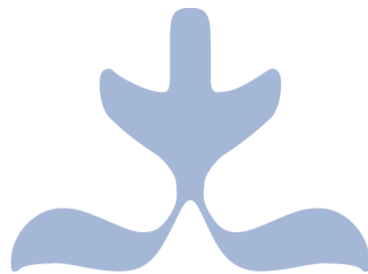
- ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢﴾ [الأنعام: 122]

ففي حين أن ذا نون قد خرج من تلك الظلمات (فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)، لم يخرج فرعون من تلك الظلمات فكان أخذه مليما، فأخذه الله أخذا وبيلا، فكان مثبورا.

والله أعلم وللحديث بقية

المدّكرون: رشيد سليم الجراح & محمد عبد العزيز السيسي & علي محمود سالم الشرمان
بقلم د. رشيد الجراح
5 أيار 2014

فالله نسأل أن يأذن لنا بعلم لا ينبغي لغيرنا إنه هو السميع البصير - آمين



نظرية الأمانة

الجزء السابع



الجزء السابع- نظرية الأمانة

زعمنا الظن في الجزء السابق بأن السبب الذي دفع بالإنسان لحمل الأمانة هو أنه كان في تلك اللحظة التي تقبل فيها حمل الأمانة ظلوما جهولا:

- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: 72]

السؤال: من هو ذاك الإنسان الذي كان ظلوما جهولا وتقبل حمل الأمانة؟ فهل كان آدم هو ذاك الإنسان الذي حمل الأمانة بعد أن أصبح ظلوما جهولا؟

جواب مفترى: دعنا نبدأ النقاش بهذا المنطق المفترى من عند أنفسنا والذي مفاده أن ذاك الإنسان هو آدم بعد وقوعه في المعصية، منتظرين في الوقت ذاته نقاشا من أخينا في الادّكار المهندس محمد السيسي يذهب فيه باتجاه آخر، سائلين الله أن يأذن لنا وله الإحاطة بشي من علمه لا ينبغي لغيرنا إنه هو الواسع العليم – آمين.

أما بعد،

السؤال: كيف كان آدم ظلوما؟ فما معنى أن آدم كان ظلوما كما جاء بصريح اللفظ القرآني؟ ولم لم يأتي صريح اللفظ على أن آدم كان ظالما مثلا أو أنه كان مظلوما؟

رأينا: بداية لا نظن أبدا بأن آدم كان مظلوما، أي أن هناك ظلما قد وقع على آدم من مصدر خارجي كما في الآية الكريمة التالية التي تصور حال من كان مظلوما:

- ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ [الإسراء: 33]

وذلك لأن الظلم (نحن نرى) لم يقع على آدم من قبل الآخرين، فليس هناك من قام بإيقاع الظلم على آدم حتى وإن كان الشيطان نفسه، فنحن لا نحمل عقيدة مفادها أن الشيطان قد ظلم آدم وزوجه وذلك لأن آدم وزوجه قد نسبا ظلم نفسيهما لهما، وأنظر – إن شئت- في الآية الكريمة التالية التي تصور ردة فعليهما الأولى على ما حصل:

- ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: 23]

السؤال: مادام أن آدم لم يكن مظلوما، فهل كان هو الظالم؟ أي هل كان آدم هو من قام بفعل الظلم؟

رأينا: نعم لقد كان آدم هو من اقترف الظلم بحق نفسه، فكان هو من سببه.

السؤال القوي: لم إذن لم يرد النص لقرآني على نحو أن آدم قد كان ظالما كما في الآيات التالية مثلا:

- ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: 32]

جواب مفترى من عند أنفسنا: لأنه لو ورد النص القرآني على نحو أن آدم قد كان ظالما لأصبح لزاما أن يذكّرنا بمن أوقع آدم الظلم عليهم. وذلك لأنه عندما ترد مفردة "ظالم" في النص القرآني فإنه يتبعها على الفور من وقع عليهم ظلم من ظلمهم. فغالبا ما يظلم الإنسان نفسه:

- ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: 32]
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء: 97]
- ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف: 35-36]
- ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾ [الصافات: 113]

السؤال: من هو الظالم؟

أولا، جاء بصريح اللفظ القرآني أن الذي يتعدى حدود الله فهو ظالم:

- ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ [البقرة: 229]

لذا فإن الكافرون هم الظالمون:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة: 254]
- ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: 106]

وذلك لأن الظلم يقع عندما تدعو أحدا من دون الله:

- ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: 106]

وبهذا يمكن أن نفهم لم أن الشرك ظلم عظيم:

- ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: 13]

فائدة مجانية: مادام أن الشرك ظلم عظيم وما دام أن الله لا يغفر أن يشرك به ولكنه يغفر ما دون ذلك:

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ [النساء:48]
- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ [النساء: 116]

فإن الشرك ليس بذنب إطلاقا وذلك لأن الله يغفر الذنوب جميعا:

- ﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر: 53]

لتكون النتيجة المفتراة هي على النحو التالي: مادام أن الله يغفر الذنوب جميعا فإن الشرك لا يقع في قائمة الذنوب لأن الله لا يغفر أن يشرك به. لذا فإن الذنب هو كل من يقع في باب المعاصي دون الشرك. فالقتل ذنبا والزنا ذنبا والكذب ذنبا والريا ذنبا وهكذا وهذه جميعا قابلة للمغفرة الإلهية ولكن الشرك ليس بذنب لأن الله لا يغفره.

لذا لابد من التفرقة بين ارتكاب الإنسان للظلم كما فعل آدم وزوجه مثلا وكما فعل موسى مثلا عندما قتل رجلا:

- ﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١﴾ [النمل: 10-11]

فبالرغم من ارتكاب موسى للظلم (كقتل النفس) إلا أن الله غفر له ذلك لأن ذلك يقع في باب الظلم ولا يقع في باب الظلم العظيم كما يفعل من يشرك بالله.

عودة على بدء: من هم الظالمون؟

لا شك أن القائمة تشمل الذين يفترون على الله الكذب:

- ﴿فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩٤﴾ [آل عمران: 94]

وهي تشمل الذين لا يحكمون بما أنزل الله:

- ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٥﴾ [المائدة: 45]

وتشمل كذلك الذين يتولون من استحبوا الكفر على الإيمان:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ [التوبة: 23]
- ﴿إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩﴾ [الممتحنة: 9]

والذين في قلوبهم مرض:

- ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٥٠﴾ [النور: 50]

والذين يتنابزون بالألقاب ولم يتوبوا من ذلك:

- ﴿وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ فَعَاقَبۡتُمۡ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ١١﴾ [الممتحنة: 11]

ولا شك أن كل من اتبع أهواء الذين كفروا فهو من الظالمين:

- ﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٥﴾ [البقرة: 145]

والقائمة تشمل أيضا الذين اعتدوا:

- ﴿فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٧﴾ [المائدة: 107]

وهي تشمل كذلك كل من يطرد من اتبع الحق:

- ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٢﴾ [الأنعام: 52]

لذا رفض نوح أن يطرد الذين تزدري أعين القوم من الذين اتبعوه، لأنه لو فعل ذلك إرضاء لعلية القوم كان من الظالمين:

- ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١﴾ [هود: 31]

وهي تشمل من ظن أن لن نقدر عليه كيونس الذي خرج مغاضبا وظن أن لن نقدر عليه، فجاء نداءه من داخل بطن الحوت مقرا بالظلم الذي ارتكبه:

- ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء: 87]

والقائمة لا شك تشمل من اتبع أهواء الكافرين بعد ما جاءه من العلم:

﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٥﴾ [البقرة: 145]

وهنا بالضبط (نحن نفتري القول) يقع الظلم الذي ارتكبه آدم وزوجه بحق نفسيهما. فلقد جاء آدم العلم مباشرة من ربه:

- ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١﴾ [البقرة: 31]

وحذره من الاقتراب من الشجرة عندما أسكنه وزوجه الجنة:

- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥﴾ [الأعراف: 35]

ونبهه إلى عداوة الشيطان له ولزوجه:

﴿فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ١١٧﴾ [طه: 117]

ولكن على الرغم من هذا كله فقد اختار آدم (على علم) النزول عند رغبة الشيطان، فصدق نصيحته لهما:

- ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦﴾ [البقرة: 36]
- ﴿فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١﴾ [الأعراف: 20-21]

لذا، لا شك عندنا أن آدم وزوجه كان من الظالمين عندما اقتربا من الشجرة كما جاء في التحذير الإلهي لهما من ذلك:

﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾ [الأعراف: 19]

السؤال: هل كان آدم وزوجه من الظالمين؟

جواب: نعم بكل تأكيد لأنهما اقتربا من الشجرة.

وقد جاءنا التعليق التالي من الأخ محمد السيسي بعد مراجعته لما جاء في هذا الجزء:

"لا نعتقد بأن زوجة ادم كانت من الظالمين بالرغم من قربها من الشجرة و حتى بعدما صار ادم ظلوما نظن بأنه بالرغم من تحذير الإله لهما حتى لا يكونا من الظالمين ، إلا أن فعل الظلم يلزمه الإرادة الحرة (و هذا لم يكن متوافرا لزوجة ادم) ، و أيضا يلزم بعد فعل الظلم أن يقوم الظالم بفعل التوبة ، و بالرغم من صدور هذه العلامة من ادم و زوجه:

- ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف: 23]

إلا أن النص القرآني قد خلا تماما من أية إشارة بخصوص توبة زوجة ادم ، و أن كان تكلم عن توبة آدم:

- ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [البقرة: 37]
- ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢﴾ [طه: 122]

و لو تساءل صاحبنا : إذا كانت زوجة ادم لم تقع بفعل الظلم كما تظن ، فلماذا قالا (**قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا**) هما الاثنين ؟

نظن بأن ادم كان يتوسل إلى الله ببراءة زوجه من الظلم ، بمعنى ان آدم هو من اجبر زوجه على الأكل من الشجرة و هو أيضا من اجبرها على التضرع إلى الله معه لكي يتوب عليه هو فقط نظرا لأنه يعلم انه هو الظالم و هي البريئة ، أي ان آدم قام بفعل يشابه فعل المباهلة ، و دليلنا على ذلك هو خلو النص القرآني تماما من اية اشارة بالتوبة أو المغفرة على زوجة آدم مع ان النص قال بأنها من الظالمين و قد تكون من الخاسرين ، فأين زوجة آدم ؟ لا ندري

و أن المنع من الاقتراب من الشجرة صدر بصيغة المثنى (لا تقربا) لأنه لا يمكن ان يصدر بصيغة المفرد (يا ادم لا تقرب أنت و زوجك الشجر مثلا) مثلما حدث في أمر السكن ، لان القرب من الشجرة لا يمكن أن يكون منفردا بل ثنائيا

و ايضا نظن بأن امر المنع صدر للاثنين ، زيادة في تحصين ادم صاحب القيادة من الوقوع في ما نهي عنه ، حيث لو ان ادم اراد ان يقرب من الشجرة فيمكن ان يمنعه زوجه من ذلك بفرض ان القرب لابد ان يكون مشتركا لا محالة

و ايضا بعد ان قام آدم و زوجه بالتضرع إلى الله ، لم نجد ان الله استجاب لهما

- ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٢٤ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ٢٥ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧﴾ [الأعراف: 23-27]

انتهى.

وهنا بالضبط يبرز السؤال الذي نحاول من خلاله تجلية مرادنا من هذا النقاش كله وهو: إذا كان آدم وزوجه من الظالمين، فلم كان آدم ظلوما؟ وبالمنطق نفسه هل كانت زوج آدم (نحن نسأل) ظلومة كما كان آدم ظلوما؟

- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: 72]

رأينا المفترى: بالرغم أن آدم وزوجه كانا الاثنان من الظالمين إلا أن آدم (الإنسان) فقط هو من كان ظلوما.فالإنسان (البالغ من الرجال) هو فقط من كان ظلوما، أما المرأة (البالغة من النساء) فليست كذلك وإن كانت ظالمة.

نتيجة مفتراة 1: كان آدم ظلوما

نتيجة مفتراة 2: لم تكون زوج آدم ظلومة

السؤال: لماذا قد تكون المرأة ظالمة ولكن لا يمكن أن تكون ظلومة؟ ولماذا يمكن أن يكون الإنسان (الرجل البالغ - آدم) ظالما وظلوما في آن واحد؟

رأينا: لأن من كان ظالما فهو يظلم نفسه فقط بينما من كان ظلوما فإنه يظلم نفسه ويوقع الظلم على غيره في الوقت ذاته. فظلمه يتعدى ظلم النفس إلى ظلم الآخرين.

ولهذا، نحن نفتري الظن من عند أنفسنا بأنه في حين أن الظلم الذي وقعت فيه زوج آدم لم يتجاوز حدود ظلمها لنفسها كان ظلم آدم قد تعدى نفسه ليطال غيره.

السؤال: من الذي طالهم ظلمُ آدم؟

رأينا: إن أول من وقع ضحية ظلم آدم هي زوجه.

الدليل

لعل القارئ (حتى غير المتدبر للقرآن) قد لا يجد صعوبة كبيرة في الفهم بأن الأمر الإلهي الخاص بالمنع من القرب من الشجرة قد صدر للاثنين (آدم وزوجه) في آن واحد، وانظر - إن شئت- صيغة التثنية في فعل النهي (**وَلَا تَقْرَبَا**)

- ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة: 35]
- ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأعراف: 19]

ولكن الملفت للانتباه لمن أراد أن يتدبر كتاب الله هو أنه في حين أن آدم وزوجه قد قربا كليهما من الشجرة إلا أن السياقات القرآنية الباقية جميعها قد ألقت باللائمة كلها على آدم. انظر السياقات القرآنية التالية:

- ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ [طه: 117]

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: 121-122]

لنخلص إلى النتائج التالية التي نظن أنها مثيرة جدا لما سيترتب عليها من تبعات لاحقا:

⇐ وقع فعل المعصية من قبل آدم فقط (وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ)
⇐ وجاء آدم فقط بفعل الغواية (فَغَوَىٰ)
⇐ وحصل الشقاء نتيجة ذلك لآدم فقط (فَتَشْقَىٰ)
⇐ وجاء الاجتباء الإلهي بعد ذلك لآدم فقط (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ)
⇐ وكذلك كانت التوبة الإلهية خاصة بآدم فقط (فَتَابَ عَلَيْهِ)
⇐ و كذلك كان الهدى خاصا بآدم فقط (وَهَدَىٰ)

السؤال: أين زوج آدم من كل ذلك؟ ألم تعصي زوج آدم ربها كما فعل زوجها؟ ألم تغوى هي الأخرى؟ ألم تشقى نتيجة ذلك مثل زوجها؟

وفي المقابل نحن نسأل أيضا: ألم يجتبيها ربها كما فعل مع زوجها؟ ألم يتب عليها كما تاب على زوجها؟ ألم تهتدي كما حصل لآدم؟

ليكون السؤال المربك لنا هو: إذا كانت زوج ادم قد اشتركت مع زوجها في القرب من الشجرة، وإذا كانت قد صاحبته في الهبوط من الجنة، فلماذا لم تشترك إذن معه في المعصية أو الغواية أو الشقاء ومن ثم في الاجتباء أو التوبة أو الهدى؟

رأينا: لأنها كانت ظالمة لنفسها ولم تكن ظالمة لغيرها. فهي كانت ظالمة لكنها لم تكن ظلومة.

السؤال: وكيف ذلك؟ وماذا يمكن أن نفهم من ذلك؟

رأينا: نحن نظن (مفترين القول من عند أنفسنا) بأن زوج آدم لم تفعل ما فعلت من تلقاء نفسها، ولكنها أجبرت على ذلك إجبارا نزولا عند رغبة زوجها فيها. وبناء على ذلك نحن نتجرأ على افتراء الظن بأنها لم تعصي ربها حتى تحتاج إلى توبته أو إلى اجتباءه وهدايته بعد ذلك.

السؤال: لماذا أجبرت على ذلك؟ ولماذا نزلت عند رغبة زوجها إذا لم تكن هي راغبة بالقرب من الشجرة؟

للإجابة على مثل هذا التساؤل وجدنا أن علينا أن نطرح التساؤلات نفسها بطريقة معاكسة على النحو التالي:

⇐ إذا كان آدم يريد النزول عند رغبة الشيطان، فلم لم يأكل من الشجرة لوحده أولا؟
⇐ لم يجبر آدم زوجته على أن تذوق الشجرة ومن ثم تأكل منها معه؟
⇐ لِم لَم يجرّب آدم الأكل من الشجرة لوحده في البداية قبل أن يجبر زوجته على فعل ذلك معه؟
⇐ وبكلمات معاكسة نحن نسأل أيضا
⇐ إذا كان العدو الأول للشيطان هو آدم، وإذا كان الشيطان قد استكبر على آدم، فلم اجتهد الشيطان بالإيقاع بآدم وزوجه معا؟
⇐ لِم لم يكتف بالإيقاع بآدم؟ ألم يوسوس لآدم وزوجه معا:

- ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأعراف: 20]

ثم ألا نجده يوسوس لآدم وحده مرة أخرى؟

- ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [طه: 120]

رأينا: نحن نظن أن هدف الشيطان هو الإيقاع بآدم لأن الشيطان قد استكبر على آدم فقط، فهو وجد خيريته واضحة على آدم خاصة بمادة الخلق (النار مقابل الطين):

- ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ [ص: 75-76]

لنطرح السؤال إذن مرة أخرى: إذا كانت عداوة إبليس منحصرة بآدم، وإذا كان هدف الشيطان هو الإيقاع بآدم، فلم حاول إشراك زوجه بالأمر بالوسوسة تارة، وبمقاسمتهما معا أنه لهما من الناصحين تارة أخرى:

- ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف: 21]

ولماذا دلاهما بغرور معا:

- ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۖ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف: 22]

ولماذا بدت لهما سوءاتهما معا عندما دلاهما بغرور؟

السؤال الكبير مرة أخرى: لماذا حث الشيطان زوج آدم على مشاركة زوجها في فعل القرب من الشجرة؟ ولماذا وافق آدم على اشتراك زوجه معه في فعل القرب من الشجرة؟ ولماذا لم يحاول القرب من الشجرة لوحده ولو على سبيل التجربة ليستجلي الأمر قبل الوقوع فيه سوية؟ أليس من الطبيعي أن يحاول الرجل أن يبقي أهله بعيدين عن مصدر الخطر إن هو وجده ربما كما فعل موسى مثلا عندما آنس من جانب الطور نارا؟ ألم يطلب موسى من أهله أن يمكثوا بعيدا ليستطلع الأمر بنفسه ثم ليعود إليهم بالخبر من هناك لوحده؟

- ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾﴾ [النمل: 7]

- ﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ٢٩﴾ [الأعراف: 29]

السؤال: لِم لم يكن تصرف آدم مشابها لما فعل موسى مثلا؟ لِم لم يذهب ليستطلع أمر القرب من الشجرة بنفسه ويعود إلى أهله بالخبر اليقين من هناك؟ فلم اصطحب آدم زوجه معه ليقربا الشجرة معا؟

جواب مفترى خطير جدا جدا لا نطلب من القارئ الكريم أن يصدقه لأننا لا زلنا في طور التفكير بصوت مرتفع فقط: نحن نظن (1) أن السبب في النهي الإلهي لآدم وزوجه معا من القرب من الشجرة وأن (2) السبب الحقيقي (كما نفهمه) من إشراك آدم زوجه معه في فعل القرب من الشجرة وأن (3) السبب من حث الشيطان لهما معا بالوسوسة (بعد أن وسوس لآدم لوحده) هو أن آدم لا يستطيع فعل القرب من الشجرة بمفرده، فلكي يستطيع آدم أن يقرب الشجرة فلابد (نحن نفتري القول) أن تشاركه زوجه في ذلك، وذلك لأن فعل قرب الشجرة هو فعل يستوجب الثنائية (أي وجود الزوجين معا).

تخيلات: نحن نظن بأنه لو كان آدم يستطيع قرب الشجرة بمفرده لصدر الأمر الإلهي بالنهي عن قربها لآدم فقط. ولو أن آدم كان يستطيع قرب الشجرة لوحده لما دعت الحاجة إبليس أن يوسوس لهما ولاكتفى بالوسوسة لآدم فقط، ولو أن آدم كان يستطيع قرب الشجرة بمفردة لذهب يستطلع الخبر بمفردة ثم عاد إلى أهله بالخبر اليقين من هناك (كما فعل موسى مثلا). لكن لما كان فعل قرب الشجرة يتطلب بالضرورة تواجد آدم وزوجه معا، كان لابد من اشتراك زوج آدم معه في الفعل.

السؤال: لماذا؟

جواب: لأن فعل قرب الشجرة يحمل في ثناياه (نحن نفتري القول افتراءا) المعاشرة الجنسية بين الأزواج بدليل أنه ما أن ذاقا الشجرة معا حتى أكلا منها معا وحتى بدت لهما سوءاتهما معا:

- ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٢﴾ [الأعراف: 22]
- ﴿فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١﴾ [طه: 121]

تعليق من الأخ محمد السيسي : سبب آخر لوجوب الأكل الثنائي من الشجرة و هو أن إبليس لم يتوعد آدم أو زوج آدم ، بل توعد ذرية آدم

- ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٢﴾ [الإسراء: 62]

فإذا كان إبليس توعد ذرية آدم فهل سيقوم بغواية آدم لوحده و هو يعرف أن الذرية لابد لها من الأزواج ؟ و أيضا لا ننسى ، من أين خلقت زوج آدم ؟ ، أليس من نفسه مباشرة ، ألا يوحي هذا الأمر بأن هناك توأمة بين الاثنين من ناحية ما ، ألا يوحي الأمر بأن هناك سيطرة و تحكم من نفس آدم على نفس زوجه ؟ انتهى

الدليل: وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ

باب قرب النساء

نحن نظن أن مفردة القرب تحمل في ثناياها قرب النساء كما جاء في الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ۝٢٢٢﴾ [البقرة: 222]

فمباشرة النساء في المساجد هي من حدود الله التي لا يجب أن نقربها:

- ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝١٨٧﴾ [البقرة: 187]

نتيجة: لقد كانت الجنّة (نحن نتخيل) كما المسجد في رمضان، فكان الأكل منها مباحا حيث شاءا (آدم وزوجه) ولكنهما كانا منهيّين عن فعل واحد فيها وهو القرب.

السؤال: ما معنى القرب؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن القرب يحمل في ثناياه الدخول، أي دخول شيء في شيء. فأنت مأمور أن لا تدخل في الصلاة وأنت في حالة السكر.

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ۝٤٣﴾ [النساء: 43]

وأنت مأمور بأن لا تقرب الفواحش، إي ارتكابها (دخولك أو وقوعك في الفعل كالزنا):

- ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝١٥١﴾ [الأنعام: 151]
- ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ۝٣٢﴾ [الإسراء: 32]

ونحن نفتري الظن من عند أنفسنا بأن القرب هي لا يعني المجاورة فقط (لأن ذلك يصبح اقترابا وليس قربا). فقربك من مال اليتيم هو أكلك منه وليس فقط مجاورتك إياه:

- ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ١٥٢﴾ [الأنعام: 152]
- ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ٣٤﴾ [الإسراء: 34]

ليكون الاقتراب (نحن نظن) هو المجاورة سواء كانت مكانية أو زمنية:

- ﴿وَمَا أَمْوَٰلُكُمْ وَلَا أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧﴾ [سبأ: 37]
- ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ١٨٥﴾ [الأعراف: 185]
- ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ١﴾ [الأنبياء: 1]
- ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾ [الأنبياء: 97]
- ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ١﴾ [القمر: 1]

فالإنسان عندما يسجد لربه فهو يحاول أن يقترب منه:

- ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ١٩﴾ [العلق: 19]
- ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ٣﴾ [الزمر: 3]

ولكن قرب المشركين من المسجد الحرام – بالمقابل- ليس اقترابا وذلك لأن النهي لهم هو عن دخولهم فيه:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٢٨﴾ [التوبة: 28]

نتيجة: نحن نفتري القول بأن القرب يحمل في ثناياه الدخول في الشيء كالقرب من الشجرة وكالقرب من النساء وكالقرب من الزنا، وكقرب المشركين من المسجد الحرام، الخ. ولكن الاقتراب – بالمقابل- هو المجاورة المكانية أو الزمنية كاقتراب الساعة واقتراب موعد الحساب وكالاقتراب من الإله نفسه.

نتيجة مفتراة: لذا نحن نفتري القول أن النهي الإلهي لآدم وزوج قد جاء عن قرب الشجرة، أي دخول شيء منها فيهما وليس فقط مجاورة الشجرة.

- ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ٣٥﴾ [البقرة: 35]

تخيلات: جاء النهي الإلهي لآدم وزوجه عن قرب الشجرة، وليس الاقتراب من الشجرة، فقد كان آدم وزوجه يستطيعان الاقتراب من الشجرة دون أن يحصل لهما مكروها، ولكن ما أن قربا الشجرة (أي دخل فيهما شيء منها) حتى حصل لهما المكروه الذي حذرهما ربهما منه.

السؤال: كيف حصل فعل القرب من الشجرة؟

رأينا المفترى: يأتي الأمر الإلهي لآدم وزوجه بسكن الجنة:

وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ...

ويبيح لهما الأكل من الشجرة حيث شاءا:

... وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا...

وفي الوقت ذاته يصدر إليهما نهي إلهي بقرب شجرة محددة:

... وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ

فيعمل الشيطان كل ما في وسعه للإيقاع بآدم وزوجه في الشرك، فيحاول أن يثير عندهما الفضول لمعرفة السبب الذي من أجله نهاهما ربهما عن القرب من الشجرة، فيتركهما في حيرة عندما صاغ لهما المعضلة على شكل خيار:

- ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ٢٠﴾ [الأعراف: 20]

فكان ذلك دافعا كافيا لإثارة فضولهما لاستكشاف الأمر بنفسيهما، ولكن لكي يقوما بذلك كان لا بد من أن يشتركا معا في فعل قرب الشجرة، فآدم لا يستطيع فعل ذلك بمفردة، وكذلك زوجه لا تستطيع فعل ذلك لوحدها، ولو كان آدم يستطيع ذلك بمفرده لربما جاء النهي الإلهي بذلك خاصا به كأن يكون الأمر على النحو التالي:

ولا تقرب هذه الشجرة فتكون من الظالمين

وذلك لأن تتمة السياقات القرآنية الأخرى التي جاءت في هذا السياق كانت خاصة بآدم فقط:

- ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ١١٧ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ١١٩ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ١٢٠﴾ [طه: 117-120]

كما أنه لو كان آدم يستطيع فعل ذلك لوحده لاكتفى الشيطان بالوسوسة لآدم فقط كما فعل في بادئ الأمر:

- ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ١٢٠﴾ [طه: 120]

ولما كان بحاجة أن يوسوس لهما معا مرة أخرى:

- ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١﴾ [الأعراف: 20-21]

ولو كان آدم يستطيع فعل ذلك بمفرده لربما ترك أهله بعيدا، ولربما ذهب يستطلع الأمر بمفرده ليعود من هناك بالخبر اليقين قبل أن يقحم زوجه فيه.ولكن لما كان فعل القرب من الشجرة هو فعل تشاركي (أي ثنائي) كان لابد (نحن نفتري الظن) من أن يصطحب آدم زوجه في تلك الرحلة إلى الشجرة، ليذوقاها معا. وما أن ذاقا الشجرة حتى وجدا اللذة في ذلك

- ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٢٢﴾ [الأعراف: 22]

بدليل أنهما لم يتوقفا عند حد "التذوق" بل تابعا القرب فأكلا منها:

- ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١﴾ [طه: 121]

وهنا حصل فعل قرب الشجرة، وهو عبارة عن تذوق ومن ثم أكل وبالتالي دخول شيء من الشجرة فيهما. وما أن حصل ذلك حتى كانت النتيجة أن بدت لهما سوءاتهما:

- ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١﴾ [طه: 121]

وهناك طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة.

السؤال: ما الذي حدث إذن؟

رأينا: عندما وسوس الشيطان لآدم، وجد آدم في نفسه الرغبة الجامحة في ذلك:

- ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ١٢٠﴾ [طه: 120]

عندها حاول آدم (نحن نتخيل) أن يطلب ذلك من زوجته مباشرة مادام أن فعل القرب يتطلب وجود الشريك، فأظهرت زوج آدم (نحن لا زلنا نتخيل) الممانعة والمعارضة الشديدة لذلك. ولما علم

الشيطان أن زوج آدم لا ترغب في ذلك، ما كان منه إلا أن عاد الكرة بالوسوسة لهما معا هذه المرة، ومقاسمهما أنه لهما من الناصحين:

- ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢١﴾ [الأعراف: 20-21]

ولما كان حصول فعل القرب يتطلب الثنائية (أي وجود الشريك)، وجدت زوج آدم نفسها في موضع تأثير خارجي غير منقطع من الشيطان (بالوسوسة) ومن زوجها (بالمحاورة). وكان الهدف من ذلك كله هو أن تنزل عند رغبتهما بقرب الشجرة، حاولت زوج آدم جاهدة (نحن لازلنا نتخيل) أن تمنع آدم عن الوقوع في المعصية، إلا أن إصرار آدم على المحاولة هو الذي جعله يقع في المعصية، وهنا عصى آدم ربه وإن لم تعصي زوجه ربها، وهنا حصلت غواية آدم وحده، ومن ثم شقاءه بنفسه:

- ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ۝١١٧﴾ [طه: 117]
- ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١﴾ [طه: 121]

وهنا جاءت حاجة آدم لوحده أن يجتبيه وأن يتوب عليه وأن يهديه:

- ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝١٢٢﴾ [طه: 122]

النتيجة: ما أن وقعا الاثنان (آدم وزوجه) في الإثم حتى عادا فورا بالاعتراف معا بالذنب الذي ارتكباها معا، فكان الاثنين ظالمين لأنفسهما:

- ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٢٣﴾ [الأعراف: 23]

ولكن آدم لم يكن فقط ظالم لنفسه ولكنه كان ظالما نفسه ولغيره فكان ظلوما:

- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢﴾ [الأحزاب: 72]

فهو الذي جحد نعمة الله عليه التي لم تكن تحصى وآثر النزول عند رغبة الشيطان:

- ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٣٤﴾ [إبراهيم: 34]

وبمثل هذا المنطق المفترى من عند أنفسنا يمكن لنا أن نفهم لِم كانت المعصية والشقاء ومن ثم الاجتباء و التوبة و الهدى من نصيب ادم فقط و لم تكن من نصيب زوجه معه بالرغم أنها قد اشتركت معه في فعل قرب الشجرة؟

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نظن بأن زوج ادم قد مانعت قرب الشجرة تنفيذا لأمر الإله ، فهي لم ترضخ لوسوسة الشيطان بسهولة

تخيلات: عندما وجدت زوج آدم نفسها في موضع تخيير بين أن تلبي رغبة زوجها (والشيطان) بالقرب من الشجرة، فعلت ذلك ليس رغبة في القرب من الشجرة ذاتها ولكن تلبية لرغبة زوجها فيها. فنزلت عند ذلك مترددة، مدفوعة بالرغبة الجامحة التي تجدها في عيون زوجها. فكان قربها الشجرة تلبية لنداء الرغبة القوية من زوجها، وليس لحاجة ملحة عندها: إنها (نحن نظن) شهوة الرجل في زوجه. ولازلنا حتى يومنا هذا نشهد هذا الموقف نفسه، فالمرأة ليست مجبولة على حب المعاشرة (أو لنقل بكلمات بايخة الجنس) رغبة فيه، ولكن الذي يدفعها في ذلك هو حبها في تلبية رغبة زوجها. فأنا أعتقد (ربما مخطئا) بأن المرأة لا تتمتّع أصلا بالجنس لأنها لو كانت تتمتع في ذلك لركضت هي وراءه باحثة عنه كما يفعل الرجل مثلا. ولكن متعة المرأة الحقيقية في المعاشرة تكمن في قدرتها على تلبية حاجة شريكها. فكلما وجدت المرأة رغبة الرجل فيها جامحة كلما زاد ذلك من رغبتها في إمتاعه. ولكن بالمقالب كلما خفت رغبت شريكها فيها كلما خبت رغبتها في ذلك. فالمرأة تجد الرغبة في عيون زوجها فيها، فكلما شعرت أن رغبت زوجها فيها قد زادت كلما وجدت نفسها مضطرة أكثر (وراغبة أكثر) في تلبيتها، وهكذا.

لذا عندما تجاوزت الرغبة في المعاشرة الجنسية عند آدم حدودها القصوى، لم تجد زوج آدم بدّا من الرضوخ لطلبه إياها، فنزلت عند رغبته فيها تلبية لحاجته وليس حبا في المعاشرة الجنسية نفسها.

ولازلنا نشهد ذلك حتى في سلوك الدواب، فأنت تجد الذكر من الدواب يلهث وراء الأنثى التي تحاول جهدها أن تهرب منه، ولكن ما أن تجد الأنثى أن رغبة الذكر فيها قوية جدا حتى تجد نفسها مضطرة أن تلبيها له.

ونحن نتخيل بأنه لو كانت رغبة الأنثى الجنسية جامحة من تلقاء نفسها كما هي عند الرجل لأصبحت الحياة مرتعا خالصا للجنس في كل مكان. ولكن لما كانت المرأة تستطيع أن تسيطر على رغبتها الجنسية (ربما لانعدامها من تلقاء نفسها) أصبحنا نرى هذا التنظيم "الجنسي" الهائل في الكون. فلو نظرت النساء للحياة الجنسية نظرة الرجل لها لأصبح الجنس هو الشغل الشاغل على الدوام، ولو نظر الرجال للحياة الجنسية نظرة المرأة لها لأصبحت الحياة ليست أكثر من غراميات كلامية وردية لا قوة فيها. ولكن لما كان الرجل قطبا موجبا استطاع أن يجذب الأنثى السالبة له انجذاب قطبي المغناطيس لبعضهما البعض. فالرجل يحتاج أن يفرغ شحنته الموجبة في المرأة السالبة التي تستطيع هي فقط أن تحتويه بعد أن تنجذب للقوة الكامنة فيه. وهكذا – نحن نتخيل- كانت حال زوج آدم عندما نزلت عند رغبة زوجها فيها، فقربا الشجرة معا ليتم تفريغ الطاقة الجنسية الجامحة عند آدم في زوجه. فكانا معا ظالمين لأنفسهما، ولكن آدم فقط هو من كان ظلوما.

لابد أن نشير أن صاحبنا الأخ محمد السيسي قد أبداء تحفظه على ما جاء في هذه الفقرة التي افترينا فيها هذه العلاقة الجنسية بين آدم وزوجه بهذه الطريقة التي ربما قد خرجت عن نطاق الأدب الاجتماعي.

والله أعلم.

إن هذا الطرح يدعونا إلى طرح التساؤلات المثيرة على الفور:

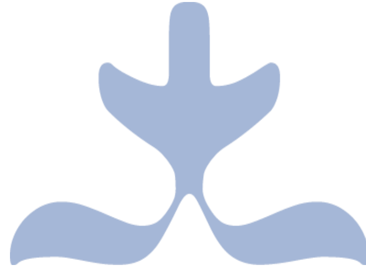
- ⇐ ما علاقة الشجرة بذلك؟
- ⇐ لماذا كان بحاجة أن يقربا الشجرة ليتم ذلك؟
- ⇐ وما هي الشجرة التي قرباها معا إذن؟
- ⇐ وكيف فعلت تلك الشجرة فعلتهما فيهما؟
- ⇐ ولماذا كانت النتيجة على ذلك النحو بنزع اللباس؟
- ⇐ ولماذا حصل الهبوط من الجنة بعد تلك الفعلة؟
- ⇐ الخ.

فالله نسأل أن يأذن لنا الإحاطة بشئ من علمه لا ينبغي لغيرنا - آمين

المدّكرون: رشيد سليم الجراح محمد عبد العزيز السيسي علي محمود سالم الشرمان

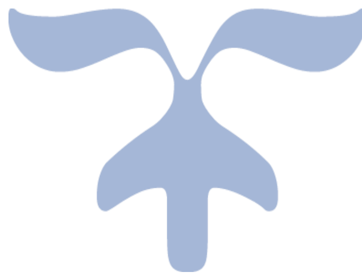
بقلم د. رشيد الجراح & م. محمد السيسي

8 تموز 2014



نظرية الأمانة

الجزء الثامن



الجزء الثامن: نظرية الأمانة

زعمنا في الجزء السابق الظن بأن آدم وزوجه قد وقعا في فعل ظلم نفسيهما معا، فأقرا بذلك، وطلبا المغفرة والرحمة من ربهما لأن النتيجة بخلاف ذلك ستكون الخسران:

- ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: 23]

ولكن بالرغم من اشتراكهما معا في فعل ظلم نفسيهما إلا أن الأمر بالنسبة لآدم كان مختلفا بعض الشيء وذلك لأنه لم يكن فقط ظالما لنفسه وإنما كان ظلوما، أي موقعا الظلم (نحن نفتري القول) على غيره، وبهذا الفهم المفترى من عند أنفسنا حاولنا تسليط الضوء على الآية الكريمة التي تتحدث عن الإنسان (آدم) الذي حمل الأمانة نتيجة ظلمه وجهله بعد وقوعه في المعصية:

- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: 72]

والفروقات بين ظلم زوج آدم لنفسها وظلم آدم لنفسه ولغيره واضحة في السياقات القرآنية الأخرى، نذكر منها:

1. كان آدم (الإنسان) هو الذي جحد نعمة الله عليه التي لم تكن تحصى وآثر النزول عند رغبة الشيطان:

- ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: 34]

2. وقع آدم وحده في فعل المعصية (وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ)
3. وقع آدم وحده في فعل الغواية (فَغَوَىٰ)
4. حصل الشقاء نتيجة ذلك لآدم فقط (فَتَشْقَىٰ)

- ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ [طه: 121]
- ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ [طه: 117]

5. جاء الاجتباء الإلهي بعد ذلك لآدم فقط (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ)
6. كانت التوبة الإلهية خاصة بآدم فقط (فَتَابَ عَلَيْهِ)
7. كان الهدى خاصا بآدم فقط (وَهَدَىٰ)

- ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: 122]

فزعمنا الظن بأن المعصية والغواية والشقاء ومن ثم الاجتباء و التوبة والهدى كانت جميعا من نصيب آدم وحده و لم تكن من نصيب زوجه بالرغم أنها اشتركت معه في فعل قرب الشجرة.

وقد حاولنا تبرير ذلك بالافتراء التالي: حاولت زوج آدم أن تقاوم رغبة قرب الشجرة تنفيذا للأمر الإلهي لها ولزوجها من ذي قبل (بعدم قرب الشجرة) حتى لا يكونا من الظالمين:

- ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥﴾ [البقرة: 35]

﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٩﴾ [الأعراف: 19]

فهي لم ترضخ (نحن نتخيل) لوسوسة الشيطان بسهولة، ولكنها وجدت نفسها بعد ذلك تحت تأثير رغبة زوجها (كما هي رغبة الشيطان) بقرب الشجرة، ففعلت ذلك (نحن نفتري الظن) ليس رغبة خالصة منها بالقرب من الشجرة ذاتها ولكن تلبية لرغبة زوجها فيها. فنزلت عند ذلك مترددة، فكان قربها الشجرة تلبية لنداء الرغبة القوية من زوجها، وليس لحاجة ملحّة عندها. لذا ظننا أن فعل قرب الشجرة قد حمل في ثناياه فعل الشهوة الجنسية ذاتها، وبكلمات أكثر دقة هي (نحن نظن) شهوة الرجل في زوجه.

فخلصنا في نهاية ذاك الجزء بالافتراء الخطير جدا التالي: كان النهي الإلهي لآدم وزوجه قد جاء خاصا قرب تلك الشجرة:

- ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٩﴾ [الأعراف: 19]

وظننا أن فعل القرب ذاك قد حمل في ثناياه فعل قرب الرجل (آدم) من المرأة (زوجه) في معاشرة جنسية. وقد تولدت رغبة قوية جدا عند آدم بعد وسوسة الشيطان له على انفراد:

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ۝١٢٠﴾ [طه: 120]

وكان ذلك قد حصل بعد التحذير الإلهي الذي كان المخاطب فيه هو آدم فقط، وانظر – إن شئت- في السياق كله:

- ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ۝١١٧ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ۝١١٩ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ۝١٢٠﴾ [طه: 117-120]

وما أن حاول آدم القيام بذلك (أي قرب الشجرة) مع زوجه حتى وجدها (نحن نتخيل) ممانعة له، فما كان من الشيطان إلاّ أن عاود الكرة في فعل الوسوسة ولكن هذه المرة لكليهما معا (آدم وزوجه):

- ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝٢٠﴾ [الأعراف: 20]

فوجدت زوج آدم نفسها في موضع تأثير خارجي من الشيطان ومن زوجها، فما كانت هي (نحن نجزم الظن) سبب المعصية والغواية وما كانت هي بحاجة إلى التوبة والهداية كما كان زوجها بحاجة إلى ذلك. فكانت ظالمة لنفسها ولكنها لم تكون ظلومة، ولكن - بالمقابل- كان زوجها ظالما لنفسه وظلوما (أي ظالما لغيره بمن فيهم زوجه).

وقد حاولنا في نهاية ذاك الجزء أن نطرح جملة من التساؤلات المثيرة، نذكر منها:

⇐ لم جاء النهي الإلهي أصلا عن قرب الشجرة؟
⇐ ما علاقة الشجرة بذلك؟
⇐ لماذا كان بحاجة أن يقربا الشجرة ليتم ذلك؟
⇐ وما هي الشجرة التي قرباها معا إذن؟
⇐ وكيف فعلت تلك الشجرة فعلتها فيهما؟
⇐ ولماذا كانت النتيجة على ذلك النحو بنزع اللباس؟
⇐ ولماذا حصل الهبوط من الجنة بعد تلك الفعلة؟
⇐ الخ.

السؤال الأول: لِمَ جاء النهي الإلهي لآدم وزوجه عن قرب الشجرة؟

جاء الأمر الإلهي الأول لآدم وزوجه بالسكن في الجنة والأكل منها حسب مشيئة آدم وزوجه، فلم يكن هناك تقييد لهذه المشيئة إلا خاصا بشجرة واحدة محددة بذاتها، فأشار إليها النص القرآني بصيغة القرب المكاني (هَذِهِ الشَّجَرَةَ):

- ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥﴾ [البقرة: 35]
- ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٩﴾ [الأعراف:19]

وهنا عمد الشيطان إلى الإيقاع بآدم في شركه من هذا الباب، معللا لهما السبب الإلهي في منعهما من القرب:

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝٢٠﴾ [الأعراف: 20]

وقد كان الشيطان قد أثار حفيظة آدم لوحده من ذي قبل عندما وسوس له على انفراد، وقد صور له تلك الشجرة على أنها شجرة الخلد التي سيتحصل لآدم من خلالها الخلد:

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ۝١٢٠﴾ [طه: 120]

لنطرح من خلال هذا النقاش سؤالين اثنين لا ثالث لهما:

1. لماذا نهى الله آدم وزوجه عن قرب الشجرة؟
2. لماذا جهد الشيطان على أن يقرب آدم وزوجه هذه الشجرة على وجه الخصوص؟

جواب مفترى للسؤال الأول: نهى الله آدم وزوجه عن قرب هذه الشجرة لأنه كان يريد أن يكون آدم هو خليفة في الأرض، مادان أن ذلك كان أصلا هو سبب خلق الله لآدم:

- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: 30]

جواب مفترى للسؤال الثاني: جهد الشيطان للإيقاع بآدم وزوجه بقرب الشجرة نفسها لأنه كان يريد أن لا يكون آدم خليفة في الأرض.

تخيلاتنا: نحن نظن أن الله قد خلق آدم ليجعله خليفة في الأرض:

- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ...﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: 30]

ولمّا كان هذا الأمر لا يرضي جمع الملائكة (ذكور الجن ومنهم إبليس نفسه)، اظهروا احتجاجهم علانية على هذا القرار الإلهي:

- ﴿... قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: 30]

ولكنهم رضخوا للقرار الإلهي بعد أن تأكّد لهم العلم الإلهي الذي ينقصهم بهذا الخصوص:

- ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة: 31-32]

فسجدوا جميعا لآدم باستثناء شخص واحد منهم وهو إبليس الذي رفض رفضا قاطعا بدليل أنه أبى السجود لآدم:

- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: 34]
- ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الحجر: 30-31]
- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾ [طه: 116]

لكن مهمة إبليس لم تتوقف عن ذلك الحد، أي عدم السجود لآدم وكفى، فقد نذر نفسه لعداوة هذا الخليفة الجديد، بدليل أنّ الله قد حذر آدم من عداوته له ولزوجه وأنه لن يهدأ له بال حتى يخرجهما من الجنة، ليكون الشقاء (بدل الرغد) هو نصيب آدم:

- ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾﴾ [طه: 117]

فإبليس لا يريد أن يتمتع آدم بهذه النعمة الإلهية وهي خلافة الأرض لأنه هو وقومه من كانوا يسكنوها، فجاء آدم ليخلفهم في وراثة الأرض، فحل آدم وجنسه (الإنس) محل إبليس وجنسه (الجن) في وراثة الأرض، فكان آدم (نحن نفتري الظن) هو من خلف إبليس، وكان قوم آدم هم من سيحلون محل قوم إبليس كخلائف في الأرض:

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ١٦٥﴾ [الأنعام: 165]
- ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا ٣٩﴾ [فاطر: 39]
- ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٣ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٤﴾ [يونس: 13-14]

(وسنتعرض لهذه القضية بالتفصيل عند حدينا عن ذي القرنين في سلسلة مقالاتنا تحت عنوان قصة يأجوج ومأجوج بحول الله وتوفيقه)

إن ما يهمنا قوله هنا هو الافتراء بأنه ما أن علم إبليس بأن الله قد اتخذ قراره بأن يكون آدم وذريته (الإنس) هو الخليفة بدلا من إبليس وذريته (الجن) حتى عمد إبليس إلى بذل ما بوسعه للتشويش على آدم، وليفسد عليه وذريته من بعده حياته الرغد في تلك الجنة. فكيف سيفعل ذلك؟

رأينا المفترى: بعد أن حبك الشيطان خطته جيدا، كان الحل الوحيد المتوافر عنده هو أن يقنع آدم بوجاهة البديل الذي يطرحه عليه، فهو لا شك لم يأخذ آدم من حيث لم يحتسب بدليل أنه ذكّره بنفسه بالنهي الإلهي عن قرب الشجرة:

- ﴿فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ٢٠﴾ [الأعراف: 20]

ولكنّه قدّم له البديل:

- ﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ١٢٠﴾ [طه: 120]

نتيجة مفتراة 1: كانت الإرادة الإلهية لآدم أن يكون خليفةً في الأرض

نتيجة مفتراة 2: كانت إرادة الشيطان لآدم أن يكون من الخالدين

السؤال: ما الفرق؟ أي ما الفرق بين أن يكون آدم خليفة (كما كانت الإرادة الإلهية له) أو أن يكون من الخالدين (كما كانت إرادة الشيطان له)؟

جواب مفترى: إنه الشقاء بدلا من الحياة الرغد

رأينا المفترى: عندما حذر الله آدم من النزول عند رغبة الشيطان حتى لا يخرجه وزوجه من الجنة علّمه بأن النتيجة ستكون (إن حصل ذلك) لا محالة هي الشقاء بعينه:

- ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ١١٧﴾ [طه: 117]

نتيجة مفتراة 1: مادام آدم يعيش في الجنة كخليفة فإن حياته ستكون رغدا

نتيجة مفتراة 2: إذا استطاع الشيطان أن يخرج آدم وزوجه من الجنة فسيكون الشقاء هو حليف آدم

السؤال: كيف سيستطيع الشيطان أن يقنع آدم بالنزول عند رغبته؟

جواب: أن تصبح إرادة آدم تميل إلى الخلد بدلاً من الخلافة.

السؤال: ما الفرق بين الخلافة والخلد؟ ما الفرق بين أن يكون آدم خليفة أو أن يكون من الخالدين؟

رأينا: لا شك (نحن نظن) أن هناك فرقا جوهريا بين الخلافة (التي كانت هي إرادة الله لآدم) والخلد (الذي كان هو إرادة الشيطان لآدم). وأن من أبسط الفروقات بينهما – برأينا- هو الفرق بين الرغد والشقاء. فلو بقي آدم يعيش كخليفة لله في الجنة لما حصل له شقاء قط، ولكنه لمّا آثر النزول عند إرادة الشيطان فقد اختار الشقاء على الرغد.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا: لكي نستطيع أن نتفهم الأمر لابد لنا من تجلية الآلية التي تحصلت في كل حالة: حالة الخلافة مقابل حالة الخلد. فكيف يمكن أن نتخيل كلا منهما؟

جواب مفترى خطير جدا هو لا شك من عند أنفسنا: نحن نفتري القول أن الخلافة تنطوي على انتفاء وجود علاقة الأنساب لأنها الحياة الأمثل للسكن في الجنة:

- ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾ [المؤمنون: 101]

فكما أن الحياة في الجنة بعد النفخ في الصور تخلو من وجود الأنساب بين الناس، فقد كانت حياة آدم في الجنة من المفترض أن تخلو من الأنساب مادام أنها حياة مبنية على الخلافة. فعلى سبيل المثال، سيستطيع إبراهيم أن يتنعم بالجنة بينما يغط والده حينئذ في نار جهنم وذلك لأن علاقة النسب بينهما ستكون مقطوعة، فإبراهيم الذي سيتنعم لا شك في الجنة لن يفكر حينها بذاك الشخص (الذي كان في يوم ما هو أبوه) وهو الآن غارق في نار جهنم، وكذلك الحال بالنسبة لنوح وولده، وهي الحال نفسها بالنسبة لكل مرضع:

- ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ٢﴾ [الحج: 2]

لتكون كل نفس بما كسبت رهينة:

- ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ١٧﴾ [غافر: 17]
- ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ٣٨﴾ [المدثر: 38]

فلا يجزى حينئذ والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ٣٣﴾ [لقمان: 33]

نتيجة مفتراة مهمة جدا: لو بقي آدم يعيش في الجنة بطريقة الخلافة لما اضطر (نحن نفتري القول) إلى وجود علاقة الأنساب بينه وبين ذريته. ولكن ما أن نزل آدم عند رغبة الشيطان له بالخلد حتى كان الشقاء هو حليفه وذلك لأن علاقة الأنساب (نحن نزعم القول) قد نشأت بينه وبين ذريته.

السؤال: كيف حصل ذلك؟

جواب مفترى: كان لابد لآدم من أن يقوم على تربية ذريته والعناية بها حتى تصبح ملكا خاصا به كجزء من ملكه الذي لا يبلى.

السؤال: وكيف سيكون ذلك؟

جواب مفترى: بالحمل والولادة.

السؤال: وكيف سيحصل ذلك؟

جواب: بالتزاوج الجنسي البدني

السؤال: وما النتيجة؟

جواب: تتشابك العلاقات بين الناس كما تتشابك جذوع الشجرة التي قربها آدم وزوجه نفسها

تخيلات: كان من المفترض أن يعيش آدم في الجنة كخليفة فلا تنشأ علاقة الأنساب بين ساكني الجنة، لأن العلاقات بينهما ستكون على نحو علاقة الخليفة بمن خلفه كما حصل مع هارون عندما خلف موسى في قومه:

- ﴿۞وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةًۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ١٤٢﴾ [الأعراف: 142]

فهارون كان خليفة لموسى في قومه (أي في قوم موسى) لأن هارون لم يكن من ذرية موسى ولم يكن من آل موسى، كما لم يكن موسى من ذرية هارون أو من آله، فهناك آل موسى وهناك آل هارون:

- ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ٢٤٨﴾ [البقرة: 248]

والعلاقة بين هارون وموسى هي علاقة الأخ بأخيه غير الشقيق مما دام أن الأم فقط هي الرابط بينهما:

- ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥٠﴾ [الأعراف: 150]
- ﴿قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ٩٤﴾ [طه: 94]

فالعلاقة بين هارون وموسى لم تكن علاقة الوالد بالولد، ولو كان هارون هو ولد موسى لما كانت العلاقة بينهما (نحن نظن) علاقة مبنية على الخلافة ولكانت (نحن نجزم القول) مبنية على الملك كما في حالة سليمان الذي ورث والده داوود:

- ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ١٦﴾ [النمل: 16]

الذي كان بدوره خليفة وذلك لأن الملك لم يصله (أي داوود) عن طريق والده، وإنما من عند طالوت:

- ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾ [ص: 26]

نتيجة مفتراة: كان داوود خليفة لأنه كما يقول المثل الشهير "مقطوع من شجرة". فما وصله من الحكم لم يكن بسبب علاقة النسب بمن سبقه وهو ذلك الملك الذي بعثه الله ملكا على بني إسرائيل (أي طالوت). ولا زلنا حتى الساعة نستخدم هذه المفردات على ذاك النحو: فنحن نقول أن أبا بكر مثلا كان خليفة رسول الله وأن عمر كان خليفة أبي بكر، وهكذا. وذلك لأنه (في ظننا) لا علاقة أنساب بينهم، فكل منهم منفصل في نسبه عن الآخر. ولكن – بالمقابل - كان يزيد خليفة معاوية لأن الملك وصله بطريقة النسب، فمعاوية هو والد يزيد. لذا هناك فرق (نحن نظن) بين حكم أبي بكر الذي أُسس على مبدأ الخِلافة وحكم معاوية الذي أُسس على المُلك.

نتيجة مفتراة: وبمثل هذا الظن نحن نفهم أنه لمّا نزل آدم عند رغبة الشيطان وآثر المُلك (بالرفع) على الخِلافة (بالجر) كان لابد من وجود ذرية خاصة به، مبنية على علاقة الوالد بالولد.

السؤال: كيف سيتأتى له ذلك؟

جواب: كان لابد من أن يقرب الشجرة التي نهاه اللهُ وزوجَه عن قربها:

- ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾ [البقرة: 35]

ومن هذا الباب نفسه دخل الشيطان على الخط موسوسا لآدم:

- ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [طه: 120]

ومنذ تلك اللحظة تولدت عند آدم الرغبة في الخلد والملك الذي لا يبلى. فكيف نفهم ذلك؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نزعم الظن بأنه منذ تلك اللحظة أصبحت رغبة آدم أن تكون علاقته بغيره ممن سيسكن الجنة معه لاحقا (الذرية) هي علاقة مبنية على الأنساب: علاقة الوالد (آدم) بهم جميعا (الولد). فآثر آدم أن يكون والدا لهم جميعا، فيكون بذلك من الخالدين.

السؤال: وكيف سيتحصل ذلك لآدم؟

رأينا: كان لابد من أن يتم ذلك بطريقة العلاقة الحميمية بين آدم من جهة وزوجه من جهة أخرى.وهنا كان لزاما أن تشترك زوجه معه في تلك العلاقة الحميمة. ولكن آدم وجد الممانعة منها واضحة، فهي لا تريد أن تعصي ربها كما يريد أن يفعل زوجها. فانبرى الشيطان من جديد ليوسوس لهما معا هذه المرة مزينا في الوقت ذاته الأمر لزوج آدم:

- ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأعراف: 20]

ولكن زوج آدم لم تكن تريد أن تنزل عند رغبة الشيطان فتغوى كما كان من أمر زوجها:

- ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ [طه: 121]

فكان ما فعلته زوج آدم هو (في مخيالنا) محض فعل إجبار وإكراه لا رغبة وإصرار، ولربما كانت ممن ينطبق عليهم قول الحق في الآية الكريمة التالية:

﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [النحل: 106]

السؤال التالي: وما علاقة الشجرة بذلك كله؟

رأينا المفترى: من أجل إنشاء تلك العلاقة الحميمة كان لابد من أن تُبد لآدم وزوجه سوآتهما كجزء من سوءاتهما التي ووريت عنهما، وهذا بالضبط ما حصل بمجرد الأكل من الشجرة:

- ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأعراف: 20]
- ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۖ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف: 22]

ملحوظة مهمة جدا: راقب - عزيزي القارئ الكريم- مفردة السوءة التي بدت في الآيات السابقة: **سَوْآتُهُمَا** **سَوْءَاتِهِمَا**. ففي حين أن الكلمة الأولى كانت غير مهموزة (**سَوْآتُهُمَا**) وردت الثانية بالهمزة

(سَوْءَاتِهِمَا). ولو دققنا في ذلك لوجدنا أن هدف الشيطان كان يتمثل في أن يبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما (لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا) ربما ليدلنا بأن هناك جزءا محددا بذاته (ربما هي الأعضاء التناسلية) من سَوْءَاتِهِمَا (أي جسده كله) كانت قد ووريت عن آدم وزوجه، وهو ما كان هدف الشيطان أن يبديه لهما. فالسوءة (بالهمزة) تعني (نحن نظن) الجسد بأكمله بدليل ما كان من ابن آدم الذي كان يريد أن يواري سوءة أخيه بعد أن قتله:

- ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِيۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ۝٣١﴾ [المائدة: 31]

وما أن أكل آدم وزوجه من الشجرة حتى بدت لهما تلك السوْة (بدون الهمزة):

- ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١﴾ [طه: 121]

فكانت تلك هي ذلك الجزء الذي كان الشيطان يطمح أن يبديه لهما، ألا وهو الأعضاء التناسلية.

نتيجة 1: السوءة هي الجسد بأكمله (لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا)

نتيجة 2: السوة هي الجزء الذي كان قد وري عنهما من سوءاتهما وهي في ظننا الأعضاء التناسلية (فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا)

السؤال: لماذا كان الشيطان يطمح إلى ذلك؟

جواب: لكي يتمكن آدم من الخلد بديلا عن الخلافة. أي لكي يستطيع آدم أن ينشئ علاقة حميمة (بدنية جنسية) مع زوجه يمكن من خلالها أن تتحصل له الذرية بطريقة الوراثة (الملك) بديلا عن طريقة الخلافة التي كان من المفترض أن تكون هي سبيله الوحيد للبقاء في الجنة يعيش فيها مع زوجه حياة رغدا.

تخيلات: ما أن قرب آدم وزوجه من الشجرة حتى بدت تلك السوة (الأعضاء التناسلية) من السوءة، وهي – في ظننا- ذاك الجزء الذي كان قد ووري عنهما من سوءاتهما (أي جسدهما كله)، فبدت أعضاءهم التناسلية التي ما انفك آدم وزوجه أن يحاولا جهدهما تغطيته من ورق الجنة:

- ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١﴾ [طه: 121]

تساؤلات مهمة جدا سنحتاج إليها لاحقا: لِم لَم يحاول آدم وزوجه أن يخصفا عليهما من ورق الشجرة نفسها التي أكلا منها؟ ألم يكن لتلك الشجرة من الورق ما يمكن أن يغطي تلك السوة التي بدت

لهما؟ لماذا طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة؟ وما هو ذاك الورق الذي استخدماه ليخصفا على سوآتهما منه؟ وكم كان حجمه؟ وكيف كان شكله؟ الخ.

(دعاء: فالله وحده أسأل أن يعلمني ما لم أكن أعلم، إنه هو الواسع العليم)

نتيجة مفتراة: ما أن أكل آدم وزوجه من تلكم الشجرة حتى بدت لهما سوآتهما (أي أعضاءهم التناسلية) وكذلك سوءاتهما (أي كامل جسدهما).

فكيف حصل ذلك؟

رأينا: نحن نظن أن أجسادهم الفيزيائية كانت قد ووريت عنهما من ذي قبل لأنها كانت منفوخ فيها من روح الله:

- ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩﴾ [الحجر: 29]
- ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٧٢﴾ [ص: 72]

نتيجة مفتراة: كانت سوءة آدم غير بادية مادام أن الله هو من نفخ فيه من روحه، فكانت نورانية تماما بدليل أن الله (الذي نفخ في آدم) هو نفسه نور السموات والأرض:

- ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣٥﴾ [النور: 35]

وقد اكتسبت زوج آدم تلك النورانية من آدم مادام أنها قد خلقت من نفسه:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء: 1]

ولمّا كانا على تلك الهيئة لم تكن سوءاتهما (وسوآتهما على وجه التحديد) بادية لهما تماما، فقد ووريت عنهما، فما كان الأكل من الجنة يسبب لهما التغوط أو التبول، فما كان بحاجة أن يعريا أو أن يضحيا:

- ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ۝١١٩﴾ [طه: 118-119]

وهي الأعضاء نفسها التي تستخدم في العلاقة الجنسية الحميمية، لذ لم تكن تلك العلاقة (كما نعرفها اليوم) قائمة بينهما على هذه الشاكلة، وجل ما كان بينهما هو المودة والرحمة من أجل السكن:

- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: 21]

وما أن بدت لهما سوآتهما حتى أصبحت العلاقة الحميمية (نحن نتخيل) علاقة ممكنة بينهما، ولما بدت لهما سوءاتهما أصبح الحمل والوضع هو السبيل إلى الذرية.

تساؤل مثير مهم: لم جاء التناسل بالذرية من نفس الأعضاء التي تستخدم في قضاء الحاجة (التبول). فالإنسان يخرج من مجرى البول مرتين، فهل جاء هذا صدفة؟ من يدري؟!!!

تخيلات: لمّا كانت الذرية قد أصبحت تتحصل لآدم بتلك الطريقة الجنسية السوآوية (إن صح القول)، أصبحت العلاقة بين آدم وتلك الذرية هي علاقة خلد وملك، مادام أنها علاقة الوالد بولده. فكان آدم هو الأب وكانت زوجه هي الأب كذلك، فكانا معا أبوينا:

- ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف: 27]

ومنذ تلك اللحظة أصبح من الممكن للشيطان أن يصبّ لجام غضبه علينا (نحن ذرية آدم) وذلك لأن بإمكانه أن يرانا من حيث لا نراه وقبيله. وكان ذلك -في ظننا - هو السبب الذي من أجله جهد الشيطان لأن ينزع عن أبوينا لباسهما الذي ألبسهما إياه ربهما عندما أسكنهما في الجنة. فقد كان ذاك اللباس هو الوقاية الحقيقية من تأثير الشيطان، وهو الحاجز الفعلي الذي يمنع عنا ضره. وما أن استطاع أن ينزع ذلك اللباس عنا حتى أصبح الشيطان قادرا على أن يمسنا بنصب وعذاب:

- ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ [ص: 41]

وأصبحنا نحن بني آدم عرضة لضر الشياطين جميعا:

- ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة: 102]

السؤال: ما الذي كان يمكن أن يحدث لو لم ينزل آدم عند رغبة الشيطان هذه؟

جواب مفترى: لن يستطيع الشيطان أن يمسنا بنصب وعذاب حتى لو استفزز علينا خيله ورجله، لأن عباد الله لن يكون للشيطان عليهم سلطانا:

- ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۝٦٤ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ۝٦٥﴾ [الإسراء: 64-65]

(دعاء: اللهم أسألك أن أكون وذريتي من عبادك الذين ليس للشيطان عليهم سلطانا)

السؤال: وكيف كانت الذرية يمكن أن تتحصل لآدم وزوجه في الجنة لو لم تبد لهما سوءاتهما (وبالتحديد سوآتهما)؟

جواب مفترى خطير جدا جدا: بالنفخ. بالضبط كما حصل في حالة المسيح ابن مريم. فنحن نتخيل التكاثر في الجنة في حالة الخلافة (لو بقيت) على نحو ما حصل في ميلاد المسيح عيسى ابن مريم، فالله هو من أرسل رسوله إلى مريم لينفخ فيها منه، فكان المسيح عيسى ابن مريم كلمة الله:

- ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ۝١٧١﴾ [النساء: 171]

نتيجة: حصل الحمل عند مريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها بطريقة الإلقاء:

- ...إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ ...

لذا، نحن نتخيل بأنه لو بقي آدم وزوجه يسكنان الجنة بطريقة الخلافة لكان الحمل يتم بطريقة الإلقاء.

السؤال: وكيف ستكون الآلية؟

جواب: بالنفخ بالفرج كما حصل مع مريم:

- ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝٩١﴾ [الأنبياء: 91]
- ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ۝١٢﴾ [التحريم: 12]

السؤال: وما فائدة ذلك؟

رأينا: لو كان الحمل يتم بطريقة الإلقاء (بالنفخ بالفرج) لخرج المولود (نحن نتخيل) على الفور يشهد لربه بالوحدانية كما فعل المسيح عيسى بن مريم:

- ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ٣١ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ٣٢﴾ [مريم: 30-32]

ولكانت النتيجة (وهي الأهم) أنه لم يكن شقيا:

....وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ٣٢

وهو الهدف الذي من أجله حذر الله آدم من عداوة الشيطان له ولزوجه:

- ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ١١٧﴾ [طه: 117]

السؤال: كيف أصبحت العلاقة بعد أن بدت السوة (الأعضاء التناسلية) من السوءة (الجسد بأكمله)؟

جواب: لو تفقدنا السياقات القرآنية الخاصة بقرب النساء لوجدنا السياقات القرآنية التالية:

1. الاتيان

- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [البقرة: 222]
- ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦٥ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ١٦٦﴾ [الشعراء:165-166]
- ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ٥٤ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ٥٥﴾ [النمل: 54-55]

2. الرفث والمباشرة

- ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ١٨٧﴾ [البقرة: 187]
- ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٧﴾ [البقرة:197]

3. الملامسة

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ٤٣﴾ [النساء: 43]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾ [المائدة: 6]

4. المسس

- ﴿قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٧﴾ [آل عمران: 47]

5. الغشي

- ﴿۞هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٨٩﴾ [الأعراف: 189]

النتائج:

عدم قرب النساء في الحيض

الاتيان من حيث أمر الله: أي قرب النساء بعد أن يتطهرن

الرفث إلى النساء في ليل رمضان وعدم الرفث في نهار رمضان أو في أشهر الحج (أي في يومه وليلته)

الملامسة التي تتطلب الغسل أو التيمم في حالة عدم توافر الماء

التغشية وهي الملامسة التي تؤدي إلى الحمل

السؤال: كيف ستكون العلاقة الحميمية في الجنة؟

رأينا: بالطمث:

- ﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ٧٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٣ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ٧٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٥﴾ [الرحمن: 72-75]

لكننا نعتقد أن عملية الطمث تلك لن يتحصل من جراءها الإنجاب (الحمل والولادة). فسكان جنة الخلد لن يتكاثروا، وإنما هي فقط المتعة الشخصية بحد ذاتها (للتفصيل انظر مقالتنا: ماذا ستفعل النساء في الجنة؟)

لكن هناك فرق بين حياة الناس في جنة الخلد بعد البعث (نحن نظن) وحياة آدم وزوجه في جنة المأوى عندما خلقه الله ليكون خليفة. فمما لا شك فيه عندنا أن آدم كان سيتكاثر بالذرية، فكيف كانت الذرية ستتحصل لآدم وزوجه في الجنة لو أنه لم ينزل عند رغبة الشيطان بالأكل من الشجرة؟

رأينا المفترى: نحن نعتقد أن ذلك كان سيتم على شاكلة غير هذه التي نعرفها نحن بني آدم الآن، فما الفرق؟

جواب مفترى: نحن نظن أن الآية الكريمة التالية (كما نفهمها) ربما سترشدنا (إن كان الله قد أذن لنا الإحاطة بشيء من علمه) إلى إجابة على هذا التساؤل، فدعنا نستعرض الآية الكريمة أولا، ثم نحاول أن نبين ما نراه فيها:

- ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ۝١٧٢﴾ [الأعراف: 172]

السؤال المربك: أين كانت الذرية؟ ومن أين أخذ الله تلك الذرية؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نزعم الفهم أن الذرية لم تتواجد في ظهر آدم إطلاقا، وإنما تواجدت في ظهور بني آدم (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ)، كما نؤمن أن الله قد أخذ تلك الذرية من ظهورهم على وجه التحديد عندما أشهدهم على أنفسهم (وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ).

السؤال: لماذا لم تكن الذرية في ظهر آدم نفسه؟

رأينا المفترى والخطير جدا: لأن آدم لم يكن مخلوقا لتكون له ذرية من ظهره، فالذرية بطريقة الظهور تولدت بعد الأكل من الشجرة فقط. ولو بقي آدم يعيش في الجنة بطريقة الخلافة لما كان له (نحن نفتري القول) ذرية من ظهره قط. فالذرية من الظهور ارتبطت بالملك الذي وعده الشيطان لآدم، وبالشجرة التي أكل منها:

- ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ۝١٢٠﴾ [طه: 120]

السؤال: ما الذي أكله آدم من تلك الشجرة؟ وكيف كانت آلية الأكل من الشجرة؟ وما علاقة زوجه بكل ذلك؟

جواب مفترى خطير جدا جدا نطلب من القارئ الكريم أن لا يصدقه ما لم يجد أن الدليل من كتاب الله يثبته: عندما أكل آدم من الشجرة فهو قد أخذ منها بطريقة مباشرة وزوجه (بطريقة غير مباشرة) ما مكّنه من نقل الذرية التي لم تكن في ظهره إلى ظهور أبناءه.

السؤال: أين كانت ذرية آدم قبل أن يأكل من الشجرة؟

تخيلات مفتراة: نحن نتخيل الأمر على النحو التالي: كانت عملية التكاثر في الجنة (لو بقي آدم يعيش حياة الخلافة فيها) ستتم بالنفخ (كما حصل في حالة الرسول الذي نفخ في فرج مريم ليكون المسيح عيسى

بن مريم)، فكان آدم مؤهلا أن ينفخ في فرج زوجه حتى تتحصل له الذرية، فيتم الحمل بسرعة فائقة كما حصل في حالة المسيح، ولخرج المولود يشهد لربه بالوحدانية على الفور كما فعل عيسى بن مريم.

لكن ما أن قَبِل آدم النزول عند رغبة الشيطان بالملك الذي لا يبلى حتى اقترب وزوجه من الشجرة، فأكل آدم منها مباشرة، وقام بصب ذلك في زوجه، عندها انطفأ ذلك النور (النفخ الرباني)، فذهبت القدرة على النفخ، وحل محلها القدرة على الجماع بعد أن بدا لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما (أي سوآتهما)، وبفعل الجماع ذاك نقل آدم كل ما كان عنده من الذرية التي لم تكن متواجدة أصلا في ظهره إلى ظهور أبناءه الذين ولدوا له بطريقة الجماع وليس بطريقة النفخ. وهنا كان لابد لهذه الذرية أن تشهد على نفسها مادام أنها لن تخرج على الفور شاهدة لله بالوحدانية:

- ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢﴾ [الأعراف: 172]

السؤال: لماذا أخذ الله من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم أصلا؟ وبماذا شهدوا؟

رأينا: لما انتقل التكاثر من طريقة الخلافة (النفخ) إلى طريقة الملك (المسس والتغشي بالجماع)، انتقل ذلك المخلوق من أن يكون بشرا (كما كان أصلا آدم وكما كان المسيح) إلى أن يصبح إنسانا (كما أصبحنا نحن ذرية آدم جميعا).

السؤال: ما الفرق بين البشر والإنسان؟

رأينا: نحن نظن أن البشر هو الذي يشهد لربه بالوحدانية بمجرد أن يُخلق كما كان المسيح عيسى بن مريم:

- ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٧﴾ [آل عمران: 47]
- ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ٢١﴾ [مريم: 20-21]

فكان عيسى بن مريم هو الوحيد من بين خلق الله جميعا من شبّه بآدم:

- ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾ [آل عمران: 59]

السؤال: لماذا كان مثل عيسى بن مريم فقط كمثل آدم؟

رأينا: لأنهما لم يكونا من الناس بدليل أنهما لم يخلقا من ذكر وأنثى كما كان الحال بالنسبة لنا جميعا:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ١٣﴾ [الحجرات: 13]

نتيجة مفتراة: من خلق من ذكر وأنثى فهو من الناس، ومن لم يخلق من ذكر وأنثى فهو ليس من الناس كما كان آدم وكما كان المسيح عيسى بن مريم.

السؤال: ما الفرق بيننا جميعا من جهة وآدم والمسيح عيسى بن مريم من جهة أخرى؟

جواب مهم جدا: نحن من أصبحنا شعوبا وقبائل لنتعارف، فنحن لا يعرف بعضُنا بعضًا إلا بطريقة الأنساب، ولكن آدم وعيسى بن مريم هم من دون خلق الله جميعا الذين يعرفون بأنفسهم فلا نسب لهم.

نتيجة 1: إن آدم هو آدم بنفسه، فلا أحد يسأل عن أبيه أو عن قبيلته أو عن نسبه
نتيجة 2: إن عيسى بن مريم هو المسيح بنفسه فلا أحد يسأل عن أبيه أو عن قبيلته أو عن نسبه
نتيجة 3: أما نحن فلا نعرف ولا نتعارف إلا بأنسابنا:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات: 13]

ما هي تبعات هذا الظن؟

1. لما كان آدم وعيسى بن مريم لا أنساب لهم، كان الله هو معلمهم، فجاءوا يتحدثون بعلم الأسماء كما علمهم إياه ربهما. فجاء قوله تعالى بحق آدم على النحو التالي:

- ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١﴾ [البقرة: 31]

وجاء قوله على النحو التالي بحق المسيح

- ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ٣٤﴾ [مريم: 30-34]

2. لما كنّا نحن (الناس الذين خُلقنا من ذكر وأنثى) شعوبا وقبائل، جاء تعليمنا من آبائنا، فتحدثنا بلسان آبائنا وأجدادنا بالأسماء التي علمونا إياها، فما كانت إلا أسماء ما أنزل الله بها من سلطان، فما كانت أكثر من إتباع الظن وما تهوى الأنفس:

- ﴿قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٧١﴾ [الأعراف: 71]
- ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ٢٣﴾ [النجم: 23]

3. جاءت كل رسل الله (باستثناء المسيح عيسى بن مريم) يخاطبون الناس بلسان أقوامهم:

- ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤﴾ [إبراهيم: 4]

4. أصبحت مشكلة البشرية هي هذه الأسماء التي سميناها وآباؤنا إتباعا للظن وما تهوى الأنفس، فتفرقنا شعوبا وقبائل، كل يغني على ليلى آآآه.
5. أصبح شغلنا الشاغل هو البحث عن الأسماء الحقيقية التي ضاعت بعد الأكل من الشجرة

السؤال: كيف حصل ذلك؟

جواب: بالنسيان

- ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ١١٥﴾ [طه: 115]

وكذلك حصل لجميع ذرية آدم الذين جاءوا من ظهور آبائهم ودخلوا بطون أمهاتهم بطريقة الجماع:

- ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل: 78]

(دعاء: اللهم أسألك وحدك أن تعلمني علم الأسماء الذي علمته آدم وعيسى بن مريم، وأسألك أن تعلمني كل ما نسيته في بطن أمي)

السؤال: كيف حصل ذلك كله؟

تخيلات: كان التكاثر في الجنة من المفترض أن يتم بالنفخ بالفرج دون ظهور السوة (بالضبط كما حصل عندما نفخ رسول رب العالمين في فرج مريم بنت عمران التي أحصنت فرجها)، لاحظ أن رسول رب مريم قبل نفخ في فرجها وليس في سوآتها، وهذا يدل على أن رسول رب مريم لم يطلع على سوة مريم، فهي التي أحصنت فرجها، فتم النفخ فيه دون الاطلاع على سوآته.

وكان من المفترض أن يتم ذلك بالسرعة القصوى، فلا يمكث المولود في بطن أمه طويلا، وعندما يخرج لا يخرج ناسيا، فيشهد على الفور بأنه عبد لله كما فعل المسيح عيسى بن مريم، عندها لا يكون النافخ هو أب للمولود، وسيكون المولود هو ابن أمه كما كان المسيح هو عيسى ابن مريم. فيبقى المولود بشرا، ونكون خلفاء بعضنا بعضا، فلا تنشا علاقة الأنساب ولا نتفرق حينها إلى شعوب وقبائل لنتعارف.

لكن عندما آثر آدم أن يكون من الخالدين، وآثر الملك على الخلافة، أصبح هو الوالد، وأصبح التكاثر بطريقة المسس والتغشي بعد أن ظهرت السوة (كجزء من السوءة)، وحصل ذلك كله بعد الأكل من الشجرة مباشرة. فانتقلت الذرية التي كانت متواجدة في آدم في غير ظهره إلى ظهور أبناءه، ودخلت تلك الذرية ظهور الآباء لتنتقل من هناك إلى بطون الأمهات فتمكث تسعة أشهر كاملة، فعاشت هناك (في بطون

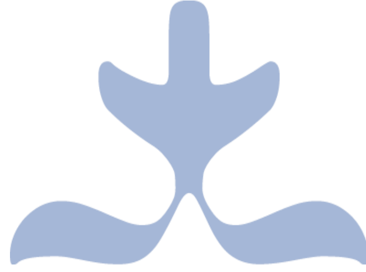
الأمهات) في ظلمات بعضها فوق بعض حتى خرجت ناسية العهد الذي أخذوه على أنفسهم أمام ربهم عندما أشهدهم على أنفسهم بأنه هو ربهم جميعا:

- ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: 172]

والله أعلم

دعاء: اللهم أعوذ بك أن أكون ممن يفترون عليك الكذب وهم يعلمون، وأعوذ بك أن أقول عليك ما ليس لي بحق، وأسألك وحدك أن تأذن لي الإحاطة بشيء من علمك وأن تعلمني ما لم أكن أعلم، إنك أنت الواسع العليم .

المدّكرون: رشيد سليم الجراح
بقلم: د. رشيد الجراح
6 آب 2014



نظرية الأمانة

الجزء التاسع



الجزءالتاسع: نظرية الأمانة

كان النقاش منصبا في الجزء السابق على التفريق بين التكاثر بطريقة الخلافة (النفخ) والتكاثر بطريقة الملك (الوراثة). وحاولنا تمرير زعمنا بأنه لو بقي آدم يعيش في الجنة دون أن يقرب وزوجه تلك الشجرة التي نهاهما الله عن قربها لتم التكاثر في الجنة بطريقة الخلافة، وربما كانت الآلية مشابهة تماما لما تم في حالة المسيح عيسى بن مريم، فما كان سينشأ عن ذلك أنساب، ولعُرِف الشخص منا بذاته كما في حالة آدم والمسيح عيسى ابن مريم، ولما اضطررنا أن نكون شعوبا وقبائل لنتعارف:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: 13]

فلقد أصبحنا شعوبا وقبائل بطريقة الجعل، فنحن لم نخلق على تلك الشاكلة أصلا. لذا عندما انتقلت الذرية (نحن نتخيل) من التكاثر بطريقة النفخ (الخلافة) إلى طريقة الملك (الظهور) انتقلت الذرية جميعا من آدم (ولم تكن في ظهره) إلى ظهور أبناءه. وكان سبب ذلك كله هو تلك الشجرة التي قربها آدم وزوجه نزولا عند إرادة الشيطان ورفضا لإرادة الله ربهما الذي خلقهما.

السؤال: كيف حصل ذلك؟

للإجابة على هذا التساؤل، نجد لزاما أن نعود مرة أخرى إلى إشكالية خلق المسيح عيسى بن مريم، لنطرح التساؤل الكبير التالي: لم قضت مشيئة الله أن يُخْلَق شخصٌ كالمسيح عيسى بن مريم؟ وبكلمات أكثر دقة نحن نتساءل: ماذا لو لم يُخلق المسيح عيسى بن مريم أصلا؟ هل كانت ستثار كل هذه الجلبة حول طريقة هذا الخلق المختلفة تماما عن خلق البشر جميعا (حتى آدم نفسه)؟ ألم يخلق المسيح فقط من أنثى؟ وما بال رسول رب مريم الذي تمثل لها بشرا سويا؟ لم لا نعتبر أن ذاك الرسول المتمثل لمريم بشرا سويا والذي قام بالنفخ في مريم هو والد المسيح عيسى؟ أي لم لا نفترض أن عيسى هو ابن ذلك الروح؟

هذا ما سنحاول الخوض فيه، وهدفنا الرئيس هو محاولة فهم آلية الخلق بالنفخ التي نعتقد جازمين أنها لا تؤدي إلى وجود الأنساب للتعارف على عكس طريقة الملك (بالوراثة) التي تؤدي إلى وجود الأنساب، فيكون هناك والد وهناك ولد:

- ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ [البلد: 3-4]

وهذه الطريقة هي طريقة الخلق في كبد. أما طريقة الخلق بالنفخ فهي طريقة الخلق التي لا كبد فيها.

أما بعد،

حاولنا في جزء سابق التمييز بين الملائكة من جهة والروح من جهة أخرى، وزعمنا أن الروح (جمع) عبارة عن كيان متعدد الكيانات المنفصلة، يشكل كل واحد منه روحا (مفرد) يقوم بوظيفة موكلة إليه. فزعمنا أن الله ينفذ قوله بإرادته في واحدة من مشيئته بتلك الروح:

- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: 85]
- ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: 82]
- ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍۖ سُبْحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾ [مريم: 35]

وحاولنا الترويج لزعمنا بأن الله أرسل إلى مريم ابنت عمران رسولا هو "روحنا":

- ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ [مريم: 16-17]

وكانت مهمته تكمن في أن يهب لها غلاما زكيا:

- ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ [مريم: 19]

وتم النفخ فيها (في فرجها) من ذلك الروح:

- ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنبياء:91]
- ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم: 12]

فزعمنا القول أن شيئا من تلك الروح قد انفصلت عن ذلك الكينونة (روحنا) الذي تمثل لمريم بشرا سويا، ودخل في فرج مريم، وحاولنا تشبيه ذلك بصورة الدخان الذي يدخل في مكان ما بعد أن ينفصل عن مصدره (النار) التي جاء منها.

ولو توقفنا مع الآيات الكريمة التالية مرة أخرى، لربما وجدنا مفارقة عجيبة:

- ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ [مريم: 16-19]

ليكون السؤال الآن هو: من الذي وهب لمريم غلاما زكيا حسب نص الآيات الكريمة هذه؟ أليس هو الروح؟ ألم يقل لمريم (**إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا**)؟ ألا يحق لنا إذن أن نطرح التساؤل المربك التالي: من الذي يهب للناس الذرية سواء ذكورا أو إناثا ؟ أليس هو الله مصداقا لقوله تعالى؟

- ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾﴾ [الشورى:49]

فلماذا قال ذلك الروح الذي أرسله الله إلى مريم (**قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا**)؟ ولِم لَم يقل (ليهب الله لك غلاما زكيا)؟

جواب مفترى: لا شك عندنا إذن أن الروح يشترك في فعل الهبة، ولننظر في السياقات القرآنية الأخرى التي ورد فيها هذا الفعل (يهب)، فقد جاء في حالة إبراهيم بصيغة الجمع:

- ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤﴾ [الأنبياء: 84]

وكذلك جاء الفعل نفسه في حالة داوود:

- ﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٣٠﴾ [ص: 30]

وفي حالة زكريا:

- ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: 90]

ولا تقتصر الهبة على الولادة بل تتعداها إلى الرسالة مثلا:

- ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ٥٣﴾ [مريم: 53]

السؤال: لماذا؟ أي لماذا يرد الفعل "يهب" بصيغة الجمع؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن السبب في ذلك ربما يكمن في أن الهبة تتطلب نفاذ إرادة الله بواحدة من مشيئته، ولا يتحقق ذلك على أرض الواقع إلا من خلال الروح الذي هو من أمر ربي:

- ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [الإسراء: 85]

وتكون الآلية على نحو ما تصوره الآية الكريمة التالية:

- ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس: 82]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: الهبة من الله ينفذها الروح بأمر من ربه، فترد بالنص القرآني بصيغة الجمع (وَهَبْنَا)، ربما لتدل - في رأينا - على اشتراك الروح بالفعل.

ولكي نستجلي الصورة لابد من العودة إلى وقت خلق البشري الأول (آدم).

وقت خلق آدم

- ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٢٩﴾ [الحجر: 29]
- ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢﴾ [ص: 72]

لنجد أن الذي قام بالنفخ في ذلك المخلوق هو الله نفسه (**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي**). ولكن في حالة المسيح فقد جاء فعل النفخ بصيغة الجمع:

- ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾ [الأنبياء:91]

- ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم: 12]

ربما ليدل ذلك -حسب ظننا- على أن الروح (ككينونة) قد اشترك في عملية النفخ في مريم. فكان هو من نفّذ مراد الله بمشيئته فيما يتعلق بالمسيح عيسى بن مريم:

- ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ [آل عمران: 34-35]

كما يدل على أن تلك خصوصية لم تحصل إلا في حالة عيسى وآدم فقط، لذا فهي حادثة فريدة غير قابلة لأن تتكرر.

نتائج مفتراة

تم خلق آدم بطريقة النفخ وجاء النفخ مباشرة من الله، فعرف آدم بذاته فليس له نسب

تم خلق المسيح بطريقة النفخ وجاء فعل النفخ من رسول رب مريم الذي وهب له غلاما زكيا (وهو روحنا)، فعرف المسيح بذاته ولم يكن له نسب

جاء خلق الناس من ذكر وأنثى وجعلوا شعوبا وقبائل ليتعارفوا، فأصبح لهم أنساب: يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ

وهنا ربما تكمن الإجابة على السؤال الذي طرحناه سابقا والذي مفاده: ما دلالة عبارة (**عِنْدَ اللَّهِ**) في الآية (﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: 59])؟

وربما يرشدنا مثل هذا الطرح إلى أنه ما أن حصل ذلك النفخ في آدم وفي عيسى حتى أصبحا بشرا خالصا، ولم يكونا من الناس، فاكتسبا من الصفات البشرية ومن القدرات الفريدة التي لم تتحصل لغيرهما من البشر، نذكر منها اعتمادا على ما جاء في سلسلة: كيف تم خلق عيسى بن مريم؟ ما يلي مع التصرف:

1- لم يمكث عيسى في بطن أمه سوى ليلتين ويوم واحدة

- ﴿۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ [مريم: 22-23]

فالذي تمثل لها بشرا سويا جاءها في الحجاب (مكان نومها) في الليلة الأولى، فوهب لها غلاما زكيا، وفي الصباح الباكر خرجت مريم بعد أن دخل عليها زكريا وسألها عن ما في بطنها:

- ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران:37]

فزكريا هنا يشير إلى ما في بطن مريم (قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا)، فترد عليه على أنه من عند الله (قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)، وهنا تخرج مريم متجهة إلى مكان قصيا (مكان المسجد الأقصا) لتضع مولودها المسيح هناك. فتضعه في تلك الليلة وتبيت هناك حتى الصباح حيث تقفل راجعة إلى محرابها لتأتي به قومها تحمله.

2- لم يأكل عيسى طعام أهل الأرض قط، بل كان يأكل مما ينزله الله له من رزق من السماء فقط:

- ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦﴾ [مريم: 26]

3- كلم عيسى الناس في المهد

- ﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ٢٩ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠﴾ [مريم: 29-30]

4- ولد عيسى صبيا ولم يولد طفلا – أي لم يمر بمرحلة الطفولة مطلقا:

- ﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ٢٩﴾ [مريم: 29]

وسنحاول أن نثير بعض هذه النقاط التي نظن أن لها علاقة مباشرة بفحوى الموضوع الذي نتحدث عنه هنا وهو قضية الروح في الخلق بالنفخ. ولنبدأ بالتساؤل التالي: ما دلالة وجود عبارة عند الله في الآية الكريمة التي تبرز التشابه الجزئي بين عيسى وآدم؟

- ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾ [آل عمران: 59]

للإجابة على هذا التساؤل ظننا سابقا في مقالتنا عن خلق عيسى بن مريم أنه لابد من العودة إلى الآية الكريمة التالية التي تصور ما قالته مريم في يوم من الأيام لزكريا وهو الذي كفلها في المحراب:

- ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٧﴾ [آل عمران:37]

فحاولنا تسويق ظننا في سلسلة كيفية خلق عيسى بن مريم المتمثل باستحالة أن يكون اسم الإشارة (هَذَا) يعود على الطعام كما ظن السادة العلماء أهل الدراية من قبلنا، وذلك لسببين اثنين على الأقل:

1. يستحيل أن زكريا كان يسأل مريم السؤال نفسه كلما دخل عليها المحراب (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا) كما يستحيل أن يكون رد مريم (إن كان هذا ما قصده زكريا في كل مرة) هو الرد نفسه في كل مرة أيضا. فهل تتخيل – عزيزي القارئ- أن زكريا كان سيسأل مريم عندما يدخل عليها المحراب ليجد عندها الرزق السؤال: يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا في كل مرة؟ وهل تتخيل إذا سألها هذا السؤال في المرة الأولى والثانية والثالثة، الخ. هل سيكرر السؤال نفسه كلما دخل عليها المحراب؟ ألا يصبح ذلك أمرا مملا؟ ألا ترى أن مثل هذا الفهم ربما يصور زكريا وكأنه شخص فاقد الذاكرة؟ من يدري؟!!!

رأينا: كلا وألف كلا، فنحن نظن بأنه لو حصل وسأل زكريا مريم عن ذلك الطعام (الرزق) لما كان سيسألها أكثر من مرة أو مرتين أو حتى ثلاث مرات على أكثر تقدير. لذا لابد من طرح السؤال التالي: ما معنى سؤال زكريا لمريم يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا؟ فإلى ماذا كان يشير زكريا في تلك اللحظة عندما استخدم اسم الإشارة (هَذَا): إلى الرزق أم إلى شيء آخر؟ من يدري؟!!!

2. لو تفقدنا رد مريم على سؤال زكريا لوجدناها ترد بالصيغة التالية : قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ؟ ليكون السؤال التالي على الفور هو: لماذا استخدمت الضمير **هُوَ**؟ لِم لَم تقل شيئا كهذا (إنه من عند الله) ؟ فهل يمكن أن نتحدث عن الطعام باستخدام الضمير "**هُوَ**"؟ من يدري؟!!!

رأينا المفترى من عند أنفسنا: نحن نعتقد أن الآية الكريمة يجب أن تقرأ – وليعذرنا السادة العلماء أهل الاختصاص في القراءات القرآنية على ظننا هذا- بالوقف التام بعد مفردة رِزْقاً. لتصبح علامات الوقف التام (م) واجبة على الآية على النحو التالي:

- ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا ۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٧﴾ [آل عمران:37]

لتكون الصورة (إن صح ظننا هذا) التي حصلت على أرض الواقع على النحو التالي: يدخل زكريا المحراب على مريم فيجد عندها الرزق، فيسألها عن مصدره فتخبره بأنه من عند الله، ولكن هذا السؤال (إن حصل فعلا) لم يكن ليتكرر كثيرا من زكريا، فـ لربما سأل زكريا مريمَ مثل هذا السؤال مرة أو اثنتين، فأصبح زكريا يدرك أن كل رزق يجده عند مريم في محرابها هو من عند الله، لذا لم يكن زكريا بحاجة أن يكرر السؤال نفسه كلما دخل عليها المحراب ووجد عندها رزقا، ولا أظن أن مريم كانت ستجيب بنفس الصيغة لو أن زكريا كان يكرر السؤال نفسه في كل مرة كان يدخل فيها عليها المحراب، لذا لابد أنه قد أصبح من المعلوم عند زكريا أن مريم يأتيها رزقها من عند ربها في محرابها. ليكون السؤال الآن على النحو التالي: على ماذا كان يشير زكريا عندما سأل مريم (**يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذاَ**)؟

رأينا المفترى الخطير جدا جدا: نحن نظن أن زكريا كان في تلك المرة على وجه التحديد قد سأل مريم عن بطنها الذي انتفخ بالحمل

تخيلات مفتراة: نحن نتخيل زكريا يدخل على مريم المحراب كل يوم ليتفقد رزقها، وليقيم الصلاة فيه:

- ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا ۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٧﴾ [آل عمران:37]

ولا ننسى أن مريم نفسها كانت مأمورة أن تركع مع الراكعين في ذلك المحراب:

- ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾ [آل عمران: 43]

فكان يجد زكريا عندها الرزق الذي يأتيها من السماء، لذا أصبح زكريا يعي تماما مصدر هذا الرزق الوافر عند مريم، فلم يحاول زكريا (نحن نفتري القول) أن يطلب من مريم شيئا من ذلك الرزق لنفسه أو

لغيره، لأنه يعلم أن هذا رزق خاص بمريم لا يحق لغيرها أن يأكل منه، وفي واحدة من المرات (نحن لا زلنا نتخيل) يدخل زكريا المحراب على مريم وكان أول ما شدّه فيما رأى في تلك المرة هو انتفاخ بطن مريم بالحمل، فيستغرب تماما مما يجد من أمر مريم، فهو قد تركها البارحة لا حمل فيها، وها هو يعود إليها اليوم وقد انتفخ بطنها بالحمل ويكأنها امرأة في شهرها التاسع، فالبطن منتفخ جدا، ويكأنها على وشك أن تضع ما في بطنها، فيصعقه المشهد، فما يكون منه إلا أن ينطلق لسانه على الفور بالسؤال التالي: **يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا**؟ مشيرا (نحن نظن) إلى ما في بطنها.

فما يكون من مريم إلا أن تستخدم الضمير **هُوَ** الذي يدل على العاقل (كما يرغب أهل اللغة أن يسمونه)، وتضيف إليه عبارة "**مِنْ عِندِ اللّهِ**". ولو حاولنا أن نربط هذا التركيب (**هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ**) الذي ورد في هذه الآية الكريمة مع ما جاء في الآية الكريمة الأخرى التي تتحدث عن التشابه الجزئي بين عيسى وآدم لوجدنا التطابق الذي يسلب الألباب. وانظر – إن شئت- في الآيتين معا، مركزا على ما وضعنا تحته خط:

- ﴿... قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٧﴾ [آل عمران: 37]
- ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾ [آل عمران: 59]

نتيجة مفتراة: لقد كان عيسى بن مريم من عند الله ولكنه لم يكن من الله.

فما الفرق؟

- ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ٧٨ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩﴾ [النساء: 78-79]

ليصبح لزاما علينا التفريق بين ما هو من الله وما هو من عند الله. وليكون عيسى بن مريم من عند الله، لينفي بذلك كليا أن يكون عيسى بن مريم من الله، لأنه لو كان كذلك، أي لو كان عيسى بن مريم من الله، لصحّ أن نقول بأنه ولد الله، ولكن لما كان عيسى بن مريم من عند الله، لذا يستحيل أن يكون ولد الله: **فَمَا لِهَؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا**؟

نتيجة: كان عيسى بن مريم كما جاء على لسان مريم من عند الله: قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ

نتيجة: كان عيسى بن مريم كما جاء التأكيد الرباني على ذلك من عند الله: إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ

ثانيا: نحن نظن أن عيسى بن مريم لم يمر بمراحل الخلق التي مر بها الناس أجمعون (نطفة- علقة - مضغة):

- ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخٗاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلٗا مُّسَمّٗى وَلَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٦٧﴾ [غافر: 67]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥﴾ [الحج: 5]

ونحن نظن أن السبب في ذلك يعود إلى أن من مر بهذه المراحل فلابد أن يكون له أب. وهذا يستحيل أن يكون قد حدث في حالة المسيح عيسى الذي هو كلمة الله وروح منه. وهذا فرق جوهري (نحن نظن) بين الخلق بالنفخ (الخلافة) والخلق بالوراثة (الملك).

ثالثا، نحن نزعم الظن بأن عيسى لم يمر بمرحلة الطفولة أيضا.

السؤال: لماذا لا يمكن أن يكون عيسى بن مريم قد مر بمرحلة الطفولة؟

جواب مفترى: لوجود نفخة من روح الله فيه، لذا يستحيل أن يمر بمراحل الضعف والقوة التي نمر بها نحن من خلقنا من النطاف:

- ﴿۞ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ٥٤﴾ [الروم: 54]

كما يستحيل أن يكون عيسى بن مريم قد مر بمرحلة النسيان التي مررنا بها نحن من مكثنا في بطون أمهاتنا شهور تسعة، فخرجنا لا نعلم شيئا:

- ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل: 78]

نلاحظ في مجموع هذه الآيات الكريمة بأن أول مراحل الحياة بعد الولادة (بعد الخروج من بطون أمهاتنا) هي مرحلة الطفولة (فالطفل يخرج من رحم أمه عند الوضع)، ولو حاولنا تفقد صفات هذا المخلوق في تلك اللحظة لوجدنا أنها الضعف – عدم معرفة أي شيء – عدم القدرة على فعل أي شيء – الاعتماد الكلي على غيره في كل شيء

السؤال: فهل كان المسيح ابن مريم كذلك عندما وضعته أمه؟

رأينا: كلا وألف كلا. فلقد خرج المسيح صبيا، متكلما بما أتاه الله الكتاب، وجعله نبيا وجعله مباركا، وأوصاه بالصلاة والزكاة، وبرا بوالدته مادام حيا، ولم يكن جبارا شقيا:

- ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١ وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۝٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۝٣٣﴾ [مريم: 30-33]

وبناء عليه فإننا نفتري القول بأن المسيح ابن مريم لم يمر بمرحلة الطفولة مطلقا ولا ينبغي له، وذلك مرده إلى أن فيه نفخة من روح الله، ومن كان به نفخة مباشرة من روح الله فقد صار قويا (ليس ضعيفا) عالما (ليس جاهلا) وزكيا (لا شيء من الحرام فيه).

الخلق بالملك (الظهور)	الخلق بالنفخ (الوراثة)
– تراب هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ	– تراب إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ
– نطفة – علقة – مضغة ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ	– لا ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ
– الطفولة ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا	– صبيا قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا
– الأشد ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ	– كهلا وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً
– الشيخوخة ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا	– لا

الخلق بالظهور (الملك)

- ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٨﴾ [النحل: 78]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥﴾ [الحج: 5]
- ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤﴾ [المؤمنون: 14]

الخلق بالنفخ (الخلافة)

- ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عمران: 59]
- ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ۝٢٩﴾ [مريم: 29]
- ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٤٦﴾ [آل عمران: 46]

- ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١١٠﴾ [المائدة: 110]

الدليل

لو دققنا النظر في دقة التعبير القرآني لوجدنا أن القرآن يصور حالة المسيح في تلك اللحظة التي أتت به أمه قومها تحمله على أنه كان صبيا:

- ﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ٢٩﴾ [مريم: 29]

ولو عقدنا مقارنة مع يحيى (ابن زكريا) لوجدنا أن يحيى قد أخذ الكتاب بقوة وآتاه الله الحكم وهو لازال صبيا:

- ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢﴾ [مريم: 12]

السؤال: فهل أخذ يحيى الكتاب في اللحظة التي خرج فيها من بطن أمه؟ وهل آتاه الله الحكم في تلك اللحظة؟

رأينا: كلا وألف كلا، وذلك لأن يحيى قد خرج من بطن أمه طفلا، ثم انتقل بعد ذلك إلى مرحلة أن يكون صبيا. ولكن المفارقة في حالة المسيح عيسى ابن مريم تكمن في أنه خرج من بطن أمه صبيا مباشرة، فما مر بمرحلة الطفولة التي من أهم خصائصها الضعف وعدم العلم.

لقد أدرك بنو إسرائيل في تلك اللحظة هذه الحقيقة، فالغلام الذي تحمله مريم ليس بطفل وإنما هو أكثر نضوجا من الطفل، فهو صبيا.

الدليل

نحن نعلم من مشاهداتنا اليومية استحالة تمييز جنس المولد (ذكرا كان أم أنثى إذا كان لازال طفلا حديث الولادة. ونحن ندعو كل من يجادل أن يذهب بزيارة إلى أحد مستشفيات الولادة ليرى بأم عينه كيف يلبسون الطفل الذكر شيئا من اللباس ذات اللون الأزرق بينما يلبسون الطفلة الأنثى شيئا من اللون الوردي لتمييز الجنس للناظر. ولكن ما هي إلا أشهر قليلة وربما لا تتعدى السنة الأولى من العمر حتى يستطيع الناظر تمييز الذكر عن الأنثى من المواليد الجدد. وهناك نحن نظن تبدأ مرحلة الصبا. إنها المرحلة (نحن نظن) التي يمكن أن تميّز فيها جنس المولود من شكله.

ولو أمعنا في ردة فعل بني إسرائيل لوجدنا أنهم لم يجدوا كثير عناء في تحديد جنس من أتت مريم به قومها تحمله، لقد انطلق لسانهم على الفور بالقول بأنه صبي (وليس أنثى):

- ﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ٢٩﴾ [مريم: 29]

لذا، نحن نظن بأن المشهد كان على النحو التالي: تأتي مريم بعد وضعها ولدها عيسى تحمله في مهده، فيقابلها القوم من بني إسرائيل، فيسألوها عن ما جاءتهم به تحمله، فينكرون عليها فعلتها تلك:

- ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ۝٢٧﴾ [مريم: 27]

مستذكرين لها في الوقت نفسه تاريخ أبيها وأمها من قبل:

- ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۝٢٨﴾ [مريم: 28]

فما صدر من مريم أكثر من إشارة إليه:

- ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِۖ ... ۝٢٩﴾ [مريم: 29]

فمريم لم تحاول أن تنطق بكلمة واحدة تشير إلى ما في داخل المهد، فما يكون من القوم إلا أن ينظروا ما في المهد بأنفسهم، ليجدوا أنه صبيا (أي يستطيعون تحديد جنسه) بمجرد النظر إليه. وانظر – إن شئت تتمة الآية السابقة نفسها:

- ﴿... قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ۝٢٩﴾ [مريم: 29]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نظن أنه لما نظر القوم في المهد بأم أعينهم لم يروا طفلا حديث الولادة عمره يوما أو بعض يوم فقط، ولكنهم يرون صبيا يانعا وجيها مكتمل الصورة والشكل الذي يبين دون أدنى شك جنسه (صَبِيًّا) ، فيقولون بلسان حالهم جميعا إنه ليس طفلا بل صبيا (صَبِيًّا).

رابعا، نحن نظن أن المسيح ابن مريم لم يبلغ مرحلة الشيخوخة نهائيا، فمادام أن عيسى لم يبدأ مراحل حياته بالضعف (الطفولة) فلن تنتهي إلى الضعف (الشيخوخة):

- ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُۖ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٦٧﴾ [غافر: 67]

فلابد لمرحلة الشيخوخة (الضعف الأخير) أن تكون قد بدأت بمرحلة الطفولة (الضعف الأول) ، وإذا لم تكن هذه، فلن تكون تلك (نحن نظن طبعا).

الدليل

لو تفقدنا النص القرآني كله لوجدنا أن المسيح ابن مريم لم يكلم الناس من حوله (بني إسرائيل) سوى مرتين فقط : (1) في المهد و(2) كهلا:

- ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٤٦﴾ [آل عمران: 46]
- ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًاۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ

كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِيۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِيۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِيۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ [المائدة: 110]

مفردة (كهل)

عند البحث و التنقيب عن هذه المفردة في النص القرآني و جدنا ما يلي :

1- لم تذكر هذه المفردة سوى مرتين فقط في الآيتين السابقتين، و ليس لها أي ذكر أو اشتقاق أو تصريف آخر في آية أخرى
2- لم تذكر هذه المفردة سوى للمسيح عيسى بن مريم حصرا

و بالبحث في قواميس اللغة لمعرفة معناها و جدنا اختلافات كبيرة ، مثل جاوز سن الشباب و لم يصل للشيخوخة أو الرجل في عمر (30 -50) سنة ، أو الرجل الذي خطه الشيب من عمر (34 – 60) سنة ، أو من عمر (30 – 40) سنة ، و هذا كله ديدن من يعتمد على المرويات و التراث لفهم كلام الله. و لكن باعتمادنا فقط على ما جاء في كتاب الله وجدنا عند البحث عن مراحل حياة الإنسان في القرآن بأنه لا ذكر مطلقا لما يسمى (مرحلة الكهولة أو الكهل)، فمراحل حياة الناس جميعا في الكتاب تصورها الآيات الكريمة التالية:

- ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَاۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ [البقرة: 233]
- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ [القصص: 14]
- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةًۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ [الروم: 54]
- ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُۖ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ [غافر: 67]
- ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًاۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًاۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ [الأحقاف: 15]

و بعد النظر في كل هذه المراحل العمرية المفصلة في كتاب الله، نحن نفتري الظن بأن مفردة (كهلا) لا تعني بأي حال من الأحوال أي من هذه المراحل العمرية من عمر الإنسان التي جاءت في كتاب الله. ولما كانت هذه المفردة قد ارتبطت حصرا بالمسيح عيسى بن مريم ، تأكد لنا صحة هذا الظن الذي أوضح لنا معناه عندما زعمنا في مقالاتنا السابقة أن "كهلا" تعني الفترة الزمنية التي قام فيها المسيح عيسى بن مريم بنشر تعاليم الشريعة الجديدة وهو يسمى عند أهل الديانة النصرانية بفترة (الكرازة).

لتكون المراحل العمرية للإنسان كما شرحناها في مقالة من هي زوجة موسى؟) هي :

⇐ مرحلة الطفولة (ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا)
⇐ مرحلة بلوغ الأشد (ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ)
⇐ مرحلة الشيخوخة (ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا)

و هناك – لا شك- تقسيمات فرعية بين هذه المراحل الرئيسة، و لكن أكثر الذي يهمنا هنا هو مرحلة بلوغ الأشد (ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ)، التي نحاول أن نربطها بكهولة المسيح ابن مريم. فمرحلة بلوغ الأشد (بَلَغَ أَشُدَّهُ) تبدأ – نحن نظن- بعد مرحلة بلوغ النكاح، ليكون الشخص الذي بلغ أشده قد أقترب من سن (20) عشرين سنة (كما في قصة يوسف)

- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف: 22-23]

وبالإضافة إلى هذه، فهناك مرحلة بلوغ أشده مع الاستواء كما في حالة موسى:

- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [القصص: 14]

وهناك أيضا مرحلة بلوغ الأشد في الأربعين من العمر كما في حالة الإنسان الموصى بوالديه إحسانا:

- ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: 15]

لتكون مرحلة بلوغ الأشد منقسمة إلى ثلاث مراحل هي – كما افتريناها من عند انفسنا – على النحو التالي:

1- مرحلة بلغ أشده : هي مرحلة سن العشرين سنة من العمر
2- مرحلة بلغ أشده و استوى : هي مرحلة سن الثلاثين سنة من العمر
3- مرحلة بلغ أشده و بلغ أربعين سنة : هي مرحلة سن الأربعين سنة من العمر

السؤال المفترى: إذا كانت مرحلة الكهولة بالنسبة للمسيح عيسى – كما نظن – هي فترة قيامه بوظيفته في نشر التعاليم والرسالة والشريعة في بني إسرائيل (أي سن الكرازة)، فهل يمكن تحديد عمر المسيح عيسى عند هذه الفترة؟

رأينا: لمّا لم ترد مفردة (كَهْلًا) إلا خاصة بالمسيح ابن مريم، حاولنا البحث و التنقيب في النص القرآني عن ما يمكن أن يسعفنا في فهم هذه المفردة، فوجدنا مفردة أخرى – نحن نظن –يمكن أن تفيدنا في تحديد عمر المسيح عيسى عندما كان كهلا، ألا وهي مفردة "وجيها"

باب : وجيها

لم ترد هذه المفردة (وَجِيهًا) في النص القرآني إلا في سياقين، كان أحدهما خاصا بالمسيح ابن مريم:

- ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [آل عمران: 45]

وجاءت مرة أخرى خاصة بموسى:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ [الأحزاب:69]

ليكون السؤال إذن هو: لماذا قال الله عن عيسى أنه (وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) وعن موسى أنه (وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا) ؟ فما وجه الشبه؟ وما الفرق بينهما إذن ؟

الجواب : بعيدا عن ما جاء في كتب التراث عن هذه المفردة، فمن شاء أن يأخذ من ذلك العلم الغزير فلينبش بنفسه عنه فهو موجود في أماكن كثيرة سهل الوصول إليها.

أما نحن، فإننا نظن – مفترين القول من عند أنفسنا- بأن مفردة (وجيها) ربما تحمل في ثناياها الافتراض التالي : الهيئة (أي الشكل) التي لا تتغير حتى مع مرور الزمن، أي أن هيئة الإنسان تبقى ثابتة على الدوام، لا تتغير بفعل تأثير عوامل الزمن فيها.

الدليل

لاحظ عزيزي القارئ أن عيسى (وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) ، بينما موسى (وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا)، ليكون السؤال الحتمي هو: ما الفرق بين وجاهة عيسى من جهة ووجاهة موسى من جهة أخرى؟

لنبدأ بوجاهة موسى، فنحن نفتري الظن بأن وجاهة موسى قد كانت عند الله (وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا)، أليس كذلك؟ فمتى إذن حصلت؟

افتراء خطير جدا من عند أنفسنا: نحن نظن أن وجاهة موسى قد حصلت بعد حصول أمر جلل حدث لموسى، ألا وهو حادثة "الصعق"

- ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: 143]

توضح الآية الكريمة أن موسى قد خر صعقا بعد أن رأى الجبل الذي دك بسبب التجلي الإلهي له، ليكون السؤال الآن هو: ما معنى أن يكون موسى قد صعق؟

جواب مفترى خطير جدا جدا لا تصدقوه: نحن نظن أن موسى قد مات بسبب تلك الصاعقة

الدليل

ها هم قوم موسى يطلبون من نبيهم موسى نفسه أن يريهم الله جهرة:

- ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [البقرة: 55]

فما وجد موسى بدّا – نحن نظن- من الإذعان لطلبهم هذا، فيختار سبعين رجلا لميقات ربه:

- ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا ۖ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ۖ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأعراف: 155]

فما يكون من هؤلاء إلا أن يذهبوا لميقات رب موسى لينظروا إليه، فما الذي حصل؟

جواب: أخذتهم الصاعقة، وانظر - إن شئت - في تتمة الآية السابقة:

- ﴿... فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [البقرة: 55]

تخيلاتنا: طلب بنو إسرائيل من نبيهم موسى أن يروا الله جهرة، فما كان الله ليرد طلبهم، ولما جاءوا لميقات ربهم، نظر بنو إسرائيل إلى ربهم ليتجلى لهم، فجاءهم ربهم في ظلل من الغمام:

- ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ [البقرة: 210]

وما أن بدأ الغمام يتجلى، حتى حصلت الصاعقة، فتجلي الغمام يكون (نحن نفتري القول) مصحوبا على الدوام بحصول الصاعقة، وهناك كان النفر من بني إسرائيل ينظرون إلى تجلي الغمام حتى أخذتهم الصاعقة المصاحبة له:

- ﴿... فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [البقرة: 55]

ولكن ما الذي حصل بعد ذلك، أي بعد أن أخذتهم الصاعقة وهم ينظرون إلى التجلي الإلهي؟

جواب: لا شك أنهم قد ماتوا جميعا بدليل أن الله قد بعثهم من موتهم بعد ذلك، وظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى:

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة: 57]

(للتفصيل في هذا الموضوع انظر مقالتنا تحت عنوان: صلات قرابة: نوح وإبراهيم وموسى)

ولو تدبرنا السياقات الخاصة "بالصعق" لوجدنا أنها ملازمة للموت ثم البعث بعد ذلك، وليس أدل على ذلك مما سيحصل عندما ينفخ في الصور:

- ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: 68]
- ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الطور: 45]

لكن يبقى التساؤل التالي قائما: ماذا حدث بعد أن (**وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا**) ؟

جواب: لقد أفاق:

- ﴿...وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: 143]

نتيجة: من يصعق، فلا بد أن يفيق من الصعقة، وهذا بعث من بعد الموت.

السؤال: ما علاقة ذلك بوجاهة موسى؟

رأينا: في تلك اللحظة التي أفاق فيها موسى من موته، وكان ذلك عند الله (أي عندما تجلى الله للجبل في حضور موسى) اكتسب موسى شيئا من ذلك النور الإلهي، فما عاد جسمه أو شكله سيغيره عوامل الزمن. فجاءت التبرئة الإلهية جلية لموسى لتكذب كل من آذى موسى:

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ۚ وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ [الأحزاب:69]

ولم يتوقف الكرم الإلهي على موسى عند هذا الحد، وإنما زاده بأن

اصطفاه على الناس (**إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ**)

أعطاه الرسالة (**إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي**)

اصطفاه بكلامه (**إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي**)

كتب له الألواح (**وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ**)

الدليل

- ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأعراف: 143-145]

السؤال: متى تمت نعمة الله على موسى بالكتابة له في الألواح وبالاصطفاء على الناس بالرسالة وبالكلام؟ أي في أي مرحلة عمرية حصل ذلك كله؟

رأينا: لو راجعنا الآية الكريمة التالية، لوجدنا أن الله قد آتى موسى الحكم والعلم عندما بلغ أشده واستوى (أي بلغ الثلاثين من العمر – كما زعمنا سابقا):

- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [القصص: 14-15]

ولو راجعنا الآية الكريمة التالية، لوجدنا أن موسى قد لبث بعد ذلك ما يقرب من العشر سنين في أهل مدين يرعى الغنم عند من أنكحه إحدى ابنتيه:

- ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [القصص: 27]

خرج موسى من هناك وسار بأهله متجها إلى الأرض المقدسة من جديد، الأمر الذي يدفعنا إلى الظن بأن موسى قد قارب الأربعين سنة من العمر عندما قضى الأجل في مدين وقفل عائدا من هناك:

- ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ * فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [القصص: 27-29]

وهناك قابل ربه في الواد المقدس، فأرسله وأخاه هارون إلى فرعون:

- ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ۝٤٢ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ۝٤٤ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ۝٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ۝٤٧﴾ [طه: 42-47]

فلبث هناك بعض الوقت، حتى استطاع (بتأييد من ربه) أن يخرج ببني إسرائيل من أرض مصر، وهناك كانت نهاية فرعون:

- ﴿۞وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٩٠﴾ [يونس: 90]

وهناك بدأ ميقات موسى مع ربه، فذهب للميقات، و حدثت الصعقة، واصطفاه بالرسالة وبالكلام، وكتب له في الألواح:

- ﴿وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ۝١٤١ ۞وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝١٤٢ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٤٣ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٤٤ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝١٤٥﴾ [الأعراف: 141-145]

السؤال: كم كان عمر موسى حينئذ؟

رأينا: لا شك أن موسى قد دخل مرحلة الاستواء والأربعين سنة من العمر (40 سنة)

لننتقل الآن إلى وجاهة عيسى. ليكون السؤال على النحو التالي: لماذا كان عيسى فقط (وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)؟

رأينا: إذا كانت وجاهة موسى قد حصلت بسبب تلك الصاعقة، وإذا كانت قد حصلت عندما آتاه الله الكتاب وحصل له الاصطفاء بالرسالة وبالكلام، فإن وجاهة المسيح ابن مريم قد بدأت منذ اللحظة الأولى لولادته وحتى وفاته. فالمسيح هو كلمة الله وروح منه:

- ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ۝٤٥﴾ [آل عمران: 45]

لذا يستحيل أن تؤثر عوامل الزمن بتلك الكلمة، فكان وجيها في هيئته. ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، لأن المسيح قد بدا بالتبشير بالرسالة الجديدة التي وكله الله بها منذ اللحظة الأولى التي تكلم فيها مع من هم حوله:

- ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۝٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۝٣٣ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٣٤﴾ [مريم: 30-34]

فكان وجيها في رسالته.

ويمكن لنا أن نستنبط مما سبق ظننا المفترى التالي: لما كان موسى قد اصطفاه الله برسالاته وكلامه وكتب له في الألواح بعد أن وصل (وربما تجاوز بقليل) سن الأربعين من العمر، فإن الظن يميل عندنا إلى أنه السن نفسه الذي بدأ فيه المسيح عيسى بن مريم نشر دعوته وتعاليم الشريعة الجديدة إلى بني إسرائيل، خاصة للحواريين الذي أوحى الله لهم أن يؤمنوا برسوله. فتكون "الكهولة" هي الفترة التي وصل فيها المسيح إلى عمر (**بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً**)، فمن بلغ سن الأربعين من العمر، فهو من يتلفظ بحق الوالدين عليه:

- ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٥﴾ [الأحقاف: 15]

وها هو المسيح يبر بوالدته مادام حيا:

- ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۝٣٢﴾ [مريم: 31-32]

وربما يؤكد زعمنا هذا التشابه بين المسيح عيسى بن مريم من جهة والنبي محمد من جهة أخرى فيما يخص مفردة وردت في كتاب الله في سياق حديث المسيح ابن مريم بالبشارة بالرسول الذي سيأتي من بعده (وهو أحمد):

- ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦﴾ [الصف: 6]

فكان الرسول محمد مبشرا :

- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٥٦﴾ [الفرقان: 56]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥﴾ [الأحزاب: 45]
- ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨﴾ [الفتح: 8]

وكذلك كان عيسى بن مريم مبشرا

- ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٦﴾ [الصف: 6]

نحن نظن بأن هذا مما يمكن أن نسوقه لتأكيد زعمنا السابق بأن المسيح عيسى كان في سن الأربعين من العمر (40 سنة) عندما بدأ بتعليم الحواريين من حوله تعاليم الدين الجديد، وكذلك كان النبي محمد عندما بدأ دعوته في سن الأربعين من العمر (40 سنة) ، أي كان مبشرا عندما (بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً)

الخلاصة

إن التكاثر بالخلافة يتحصل بطريقة النفخ، فلا يمر المولود بمراحل الخلق التي نعرفها وهي التراب والنطفة والمضغة المخلقة وغير المخلقة والاستقرار في الأرحام (تسعة أشهر) ثم الخروج طفلا ثم بلوغ الأشد وأخيرا الشيخوخة، فيبدأ ضعيفا وينتهي ضعيفا:

- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤﴾ [القصص: 14]
- ﴿۞ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ٥٤﴾ [الروم: 54]
- ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخٗاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلٗا مُّسَمّٗى وَلَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٦٧﴾ [غافر: 67]
- ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٥﴾ [الأحقاف: 15]

ولكن التكاثر بالخلافة (النفخ) لا يمر إلا بمراحل ثلاث فقط وهي:

⇐ التراب
⇐ الصِبا
⇐ الكهولة

والله أعلم

المدّكرون: رشيد سليم الجراح & محمد عبد العزيز السيسي & علي محمود سالم الشرمان
بقلم: د. رشيد الجراح & م. محمد السيسي